دار الطباعة العامرة

HACI MAHMUD EFENDİ
BEŞİKTAŞ
Vakıf Kütüphanesi

Süleymaniye U. Kütüphanesi
Kısmı: Hacı Mahmud ef.
Yeni Kayıt No: 3401
Eski Kayıt No:

قصیدهٔ برده شرحی
خرپوتی

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الذى ملأ قلوب الشاعرين بحكمته ❊ وزين نفوس العاشقين بوصلته ❊ والصلوة على محمد الذى مدحه الواصفون بالقصائد والاشعار ❊ وعجزوا عن بيانه واعترفوا بالاقرار ❊ وعلى آله الذين هم اهل الهدى والاقتداء ❊ واصحابه الذين من اقتدى بهم اهتدى (وبعد) فيقول العبد العليل والفقير الكليل ❊ عمر بن احمد الخربوتى اكرمهما الله تعالى فى الاولى والآتى ❊ لما بدأت بقراءة القصيدة البردة المباركة فى سنة احدى واربعين بعد المأتين والالف من الهجرة على مولانا العلامة ❊ واولانا الفهامة ❊ ذى القلب السديد والرأى الشديد ❊ العاشق لجمال رسول الله ❊ الصادق فى حب نبى الله ❊ استاذنا محمد بن عبدالله القيصرى ❊ سمى نبى الله الملك القوى ❊ جعله الله تعالى لنا آية تامة ورحمة عامة ❊ ونفعنا بظل وجوده ورفعنا بايادى جوده ❊ و وجدت تقريراته بهذه القصيدة الرائقة منظومة كنظم اللآلى الفائقة اردت ان اجمعها بلا نقصان مع ازدياد منى من القواعد والبيان ❊ مع عجزى وعدم استطاعتى فى هذا الميدان ❊ بل وجب ان يقال لمثلى فى هذا الشان تنكب لا يقطرك الزحام ❊ ولكن تشبثت باذيال همم علماء هذا العام ❊ لانهم كالاعلام بين الانام ومعينوا الاسلام ❊ مستعينا من الملك اللطيف الجميل وهو المعين فى كل امر جليل ❊ فجاء بحمدالله تعالى كتابا مطلوبا وشرحا مرغوبا ❊ وسميته (بعصيدة الشهدة ❊ شرح قصيدة البردة) فشرعت بعون الله تعالى

الملك العظيم ولطف ربنا الرحيم الكريم ❊ فقلت يجب اولا نقل بعض احوال الناظم وسبب تأليف هذه القصيدة المشتملة على مدايح النبى ابى القاسم وبيان الشروط المبينة فى قراءتها والوجوه المذكورة فى تسميتها وبيان بعض تأثيراتها ليرغب الناس فى تعظيماتها (اعلم ان الناظم الفاهم رحمه الله كان ساكنا بمصر واسمه محمد البوصيرى نسبة الى البوصير قرية من قرى مصر وكان قدس الله سره عالما بالعلوم العربية فصيحا فى غاية الفصاحة وبليغا فى نهاية البلاغة بل لا يوجد له مثل ولا نظير ❊ فى الفصاحة والبلاغة فى الجم الغفير ❊ وكان قدس سره فى بداية عمره من مقربى السلاطين وكان مقبولا عندهم ومرضيا فيما بينهم وكان يصفهم بالابيات والاشعار الفصيحة ويهجو اعداءهم بالاوصاف القطيعة ❊ وكان قد جاء يوما من عند احد السلاطين الى بيته فدخل السكة فصادف شيخا مليحا فقال الشيخ له انت رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الليلة فى المنام قال البوصيرى انى لم ار النبى فى تلك الليلة لكن امتلاء قلبى من ذلك الكلام بعشقه ومحبته عليه الصلاة والسلام فجئت الى بيتى فنمت فاذا انا رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع الاصحاب كالشمس بين النجوم فانتبهت وقد ملئ قلبى بالمحبة والسرور ولم يفارق بعد ذلك عن قلبى محبة ذلك النور وانشدت فى مدحه قصائد كثيرة كالمضرية والهمزية ❊ ثم قال الامام اصابنى خلط فالج فابطل نصفى وقطعنى عن الحركة ففكرت ان اعمل قصيدة مشتملة على مدايح النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واستشفى بها من الله تعالى فانشدت هذه القصيدة ونمت فرأيت النبى عليه الصلاة والسلام فى المنام فقرأت عليه عليه السلام هذه القصيدة على التمام فمسح بيده الكريمة على اعضائى الحقيرة فقمت من المنام ملابسا بالعافية من الآلام فخرجت من بيتى غدوة فلقينى الشيخ ابو الرجاء الصديق لى فقال لى يا سيدى هات قصيدتك التى مدحت بها النبى عليه الصلاة والسلام والحال انى لم اكن اعلمت بها احدا من الناس فقلت اى قصيدة تريد فانى مدحته عليه الصلاة والسلام بقصائد كثيرة فقال هى التى اولها

❊ أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ بِذِى سَلَمِ ❊ مَزَجْتَ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ ❊

فقلت من اين حفظتها يا ابا الرجاء وما قرأتها على احد ممن الى جاء قال لقد سمعتها البارحة تنشدها بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يتمايل ويتحرك

استحسانا تحرك الاغصان المثمرة بهبوب نسيم الرياح فاعطيته اياها فنشر الخبر بين النـاس (ثم اعلم انه يلزم فى قراءتهـا على الوجه المرضى شروط لتكون موثرة فيمـا قرئت له اولها التوضى وثانيها استقبال القبلة وثالثها الدقة فى تصحيح الفاظها واعرابها ورابعها كون القارى عالما بمعانيها لان الدعوات لولم يكن القارى عالما بمعانيها لايكون فيها تأثير كما اشار اليه على القارى فى مقدمة حزبه الاعظم بقوله فعليك بحفظه مبانيه والتأمل فى معانيه وخامسها قراءتها بالنظم لانها وردت منظومة لامنثورة وسادسها حفظها وسابعها ان يكون القارى مأذونا بقراءتها من اهلها وثامنها قراءتها مع التصلية على النبى عليه السلام لكن يلزم ان تكون التصلية بالصلاة التى صلى بهـا الامام البوصيرى وهى

﴿ مَوْلَاىَ صَلِّ وَسَلِّمْ دَائِمًا اَبَدًا ۞ عَلَى حَبِيبِكَ خَيْرِ الْخَلْقِ كُلِّهِمِ ﴾

لابغيرهـا والا فلا تكون موثرة كما روى ان الامام الغزنوى كان يقرأ هـذه القصيدة فى كل ليلة ليرى النبى عليه الصلاة والسلام فى منامه ولم توفق له الرؤيا فشكا ذلك الى شيخ كامل وسأل عن سره فقال الشيخ انك لا تراعى شرائطها فقـال لابل اراعيها فراقب الشيخ فقال بعدهـا وقفت على سره وهو انك لاتصلى بالصلاة التى صلى بها الامام البوصيرى اذ هو يصلى عليه عليه السلام بقوله

۞ مولاى صل وسلم دائما ابدا ۞ على حبيبك خير الخلق كلهم ۞

وسر تصليته بهذه الصلاة دون غيرها انه لما انشدها قرأها عليه عليه السلام ولما جاء الى قوله ۞ فمبلغ العلم فيه انه بشر ۞ وقف الامام فيه فقال عليه السلام اقرأ فقال الامام انى لم اوفق للمصراع الثانى لهذا البيت يا رسـول الله فقال عليه السلام قل يا امام ۞ وانه خير خلـق الله كلهم ۞ فادرج الامام هذا المصراع الذى قرأه عليه السلام فى صلاته وكرره فى آخر كل بيت لشدة حرصـه وكمال محبته للنبى عليه السـلام كذا ذكر فى شرح هذه القصيدة المسمى بالشفـا وتابعهـا الصلاة بتلك الصلاة فى تمـام كل بيت ثم انهم بينوا تأثيراتها قال الشارح الشهير بشيخ زاده وحكاية ماشوهد من آثار بركاتها فى الكتب مشهورة عند جماهير الانام فاغنانى عن الاكثار فى وصفها واطالة الكلام وحكى كثير من الشارحين انه لما كان فى عينى سعد الفار وفى رمد عظيم حتى اشرف على العمى رأى النبى عليه السـلام يقول امض الى فلان وخذ منه

القصيدة البردة واجعلهـا على عينيك فجاء اليه فاخذ القصيدة و وضعها على عينيه وقرأ فشفاه الله بها و قال فى شرح معتمد من قرأ هذه القصيدة فى كل ليلة جمعة بين المغرب والعشاء مع مراعاة شروطها يموت على الايمان والاسلام ثم انهم اختلفوا فى اسمها فقال بعضهم اسمهـا برءة بضم البـاء مع الهمزة لانه لما كان الامام قد برئ من مرضه بهذه القصيدة سميت برءة من قبيل تسمية السبب باسم المسبب وقال بعضهم اسمها بردة بضم البـاء وفتح الدال وانما سمى بها لانها فى المعنى كسوة شريفة قرضت على قد النبى عليه الصلاة والسلام حيث ذكر فيها مدائحه عليه السلام فسميت الصفات باسم الكسوة لان الصفات بتمامها استوعبت بدنه عليه السلام مثل الكسوة وقيل اسمهـا بردية بياء النسبة لان البوصيرى قرأها حين الاتمام على النبى عليه السـلام فالبسه عليه السلام بردته الشريفة فشفى بها فسميت بردية واما مااشتهر بين النـاس من تسميتها بالقصيدة البريدة فغلط صريح ثم قال النـاظم الفاهم اقتداء بالكتاب الكريم وامتثالا لحديث النبى الفخيم و جريا على سنن السلف

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

بحث البسملة مشهور بين ارباب الافادة والاستفادة فلا حاجة لنا الى الاعادة لكن يرد ان ترك الناظم الفاهم الحمدلة والتصلية مع ورود الآثار فى حقهمـا لايخلو عن سـوء ادب ونجيب عنه بانه لانسـلم انه تركهما كيف وقد سمع من بعض العرب ان الناظم الفاهم ذكرهمـا فى بيت مستقل وهو قوله

۞ الحمد لله منشى الخلق من عدم ۞ ثم الصلاة على المختـار فى القدم ۞

و لو سـلم عدم ورود هذا البيت منه قدس سره فلم لايجوز ان تكون الهمزة فى امن تذكر الخ اشارة الى لفظة الجلالة و يشعر بالحمدلة كما هو المشهور بين ارباب التصوف ولو سـلم عدم جوازه فلا نسلم انه ورد فى حقهمـا اعنى فى كتابتهما حديث بل الحديث الوارد فى حقهما يدل على الذكر اللسـانى والنظم الفـاهم وان لم يكتبهما لكن تلفظ بهمـا ولو سـلم انه سـوء ادب كيف وتركهما لهضم النفس كما وقع مثله من كبار العلمـاء ثم اعـلم ان الناظم الفـاهم جعل قصيدته مرتبة على عشرة فصول و ذكر فى الفصل الاول شدة حبه وهوى قلبه فقـال مخـاطبا نفسـه اى ذاته على سبيل التجريد

مستفهما عن بكائه الشديد وسائلا عن موجب مزج دموعه بالدم السائل فلله در القائل

امن تذكر جيران بذى سلم ❊ مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

الهمزة للاستفهام ومن متعلقة بمزجت وانما قدم للحصر اوللضرورة اولكونه علة لمزج الدمع بالدم فقدم وضعا ليوافق الوضع الطبع واما تقديم الهمزة فلما تقرر من ان الاستفهام انما يدخل على المسؤل عنه والمسؤل عنه هنا ليس مزج الدموع بالدم بل سبب المزج وهو تذكر الجيران ولانها تقتضى الصدارة كما لايخفى والتذكر مصدر تذكر فهو اما من الذكر بكسر الذال واما من الذكر بضمها والفرق بينهما ان الاول يستعمل فى الذكر اللسانى الثانى يستعمل فى الذكر القلبى كذا بينه الخيالى فى بحث العلم والتذكر مضاف الى مفعوله وفاعله محذوف وهو كاف الخطاب اى امن تذكرك بقرينة مزجت والخطاب لنفسه ففيه تجريد بديعى حيث جرد من نفسه شخصا آخر فخاطبه وانما احتاج الى التجريد ولم يخاطب صاحبه لعدم وجدانه محبا صادقا فى الدنيا وفيه التفات اذ مقتضى الظاهر ان يقول تذكرى بياء المتكلم فتركه وعدل الى صيغة الخطاب ففيه التفات على مذهب السكاكى وهو ظاهر اذ هو لم يشترط سبق التعبير بمقتضى الظاهر سواء سبق اولا بخلاف الجمهور حيث اشترطوا سبق التعبير بماهو مقتضى الظاهر بل يجوز ان يتحقق الالتفات على مذهبهم ايضا حيث سبق التعبير فى البسملة بالتكلم فان قلت انما يتحقق مذهب الجمهور اذا كانت البسملة جزأ من الكتاب وفيه شبهة قلت كونها جزأ من الكتاب ههنا محقق لدلالة القرينة عليه وهى كون الناظم الفاهم شافعى المذهب على ماقاله اكثر الشارحين وعندهم البسملة جزء من الكتاب كما لايخفى على اولى الالباب فان قلت فانكتة الالتفات هنا قلت قال العصام فى اطوله نكتة الالتفات ثلاث من جهة المتكلم ومن جهة الكلام ومن جهة المخاطب فاما النكتة ههنا من جهة المتكلم فالاشارة الى انه قادر على ان يأتى بالكلام على اساليب مختلفة واما من جهة الكلام فهو تزيين الكلام اوورود ان تغيير الاسلوب تنشط به القلوب واما من جهة المخاطب فهو اخراج الكلام من البيان الى العيان اذ الخطاب عيان والتكلم بيان والجيران جمع جار كالنيران جمع نار والجار من قرب داره الى داره والمراد بالجيران ههنا

المحبوب على طريق المجاز والاستعارة بان شبه المحبوب بالجار الحقيق فى كثرة الاختلاط معه والالتفات اليه فكذلك الناظم صنع بمحبوبه وادعى ان المحبوب من جنس الجار ثم استعير الجار للمحبوب وذكر الجيران واريد به المحبوب وعلى هذا يكون جمع الجيران للتعظيم كما فى قوله تعالى (فنعم الماهدون) وتنوينه للتفخيم كما فى قوله تعالى (فيه آيات بينات) والباء فى بذى سلم بمعنى فى والظرف مستقر صفة لجيران اى جيران كائنين فى مكان ذى سلم والسلم بفتح اللام اسم شجر وبكسرها اسم جنس للسلمة كما فى كلم وكلمة وهى ايضا اسم شجرة فى الوادى بين مكة والمدينة فالمراد ههنا هذه الشجرة لان مراده من الجيران محبوبه اعنى النبى عليه الصلاة والسلام وهذه الشجرة لها مناسبة بالنبى عليه الصلاة والسلام لانه عليه السلام كان كلما ذهب الى مكة وسلك ينزل تحت هذه الشجرة ويستريح فيه فالمعنى امن تذكر المحبوب الكائن والملابس فى مروره بمكان ذى شجرة معهود وقيل المراد من السلم دار السلام من الجنان فيكون فيه استعارة بان شبه روضة النبى عليه السلام بالجنة المسماة بدار السلام فى كونهما شريفتين وكونهما خير مكان وادعى ان الروضة من جنس دار السلام ثم استعير دار السلام للروضة فذكر اللفظ الدال على دار السلام واريد منه الروضة المباركة وقيل المراد من السلم معنى السلامة من الآثام لان قوله ذى سلم صفة موصوف محذوف اى مكان ذى سلامة والمراد من المكان اعلى عليين فعلى هذا يكون المراد من الجيران ارواح الانبياء والاولياء والصالحين والمراد بجواريتهم جواريتهم فى عالم الارواح قبل حلولها فى الابدان كما فى قول النبى عليه السلام (الارواح جنود مجندة ماتعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف) فحاصل المعنى امن تذكرك الجيران فى عالم الارواح الكائنين فى محل ذى سلامة لان محل الارواح اعلى عليين قبل حلولها فى البدن واعلى عليين محل ذو سلامة من الآثام والآلام قال العصام ان كلمة ذى ان كان صفة لنكرة فهى تضاف الى نكرة وان كان بالعكس فهو بالعكس والفرق بين ذى وصاحب ان فى ذى يكون المضاف اشرف من المضاف اليه كما فى قوله تعالى (ذو العرش المجيد) وفى صاحب يكون بالعكس كقولهم لابى هريرة رضى الله تعالى عنه صاحب النبى عليه السلام دون ذو النبى مزجت بصيغة المخاطب خطاب للشخص الذى جرده من نفسه عبر بصيغة الماضى اشارة الى تحقق وقوعه والمزج الخلط

واكثر العلماء لم يفرق بينهما لكن فرق بعضهم بان المزج انما يقال لما كان بعد الاختلاط حقيقة واحدة كالحلوى المطبوخ من العسل والدهن والدقيق والخلط اعم سواء كان بعد الاختلاط حقيقة واحدة كما فى المزج اوحقائق مختلفة كخلط الدراهم بالدنانير فبينهما عموم وخصوص مطلق فكل مزج خلط بدون العكس فاختيار الناظم المزج على الخلط للمبالغة كما لايخفى والدمع ماء مالح يجرى من العين عند الحزن وفرقوا بين بكاء الحزن و بكاء السرور بان الماء السائل من العين فى السرور بارد وفى الحزن حار والدمع اسم جنس كتمر وتمرة ولم يقل دمعة اما للاشارة الى ان الجارى من عينيه ليس واحدا بل هو كثير و اما للنظم وجرى من الجرى والجريان وهو السيلان و الجملة صفة دمع لكنه وصف وقوعى لااحترازى كما فى قوله تعالى (ولاطائر يطير بجناحيه) ومن مقلة متعلق بجرى و المقلة هى البياض والسواد اللذان فى داخل العين كما قال الشاعر

✻ اذا مامقلتى رمدت فكحلى ✻ تراب من نعالى ابى تراب ✻
✻ هو البكاء فى المحراب ليلا ✻ هو الضحاك فى يوم الضراب ✻

و بدم متعلق بمزجت والتنوينات فى دمع وفى مقلة وفى دم عوض عن المضاف اليه وهو كاف الخطاب ثم ان مزج الدمع بالدم اما حقيقة كما يشعر به قوله الاتى واثبت الوجد خطى عبرة وضنى ✻ واما كناية عن لازمه وهو شدة الحزن و الالم ثم اعلم الشخص المجرد من نفسه كانه لما ستر عشقه وانكر محبته عملا بما فى كتب التصوف من ان العشق فى القلب كلما ازداد زاد طيبه لانه كالمسك كلما كان مستورا كان منشورا اثبته الناظم الفاهم فى مقابلة الشخص المجرد من نفسه بقوله مزجت الخ بترتيب قياس استثنائى ترتيبه هكذا سلطان المحبة فى مدينة قلبك والا اى وان لم يكن سلطان المحبة فى مدينة قلبك لما مزجت الدمع بالدم لكن التالى باطل و المقدم مثله فثبت نقيضه وهو ان سلطان المحبة فى مدينة قلبك والمانع من جهة الشخص المجرد من نفسه ملازمة هذا القياس اثبته بقوله امن تذكر مع ماعطف عليه لانه علة له كما سبق وماعطف عليه قوله

﴿ ام هبت الريح من تلقاء كاظمة ✻ واومض البرق فى الظلماء من اضم ﴾

فترتيب قياسه هكذا مزجك الدمع بالدم من آثار المحبة لان مزجك الدمع

اما من تذكر الجيران واما من هبوب الريح من تلقاء كاظمة واما من ايماض البرق فى الليلة الظلماء من جانب اضم وتذكير الجيران دال على آثار المحبة وهبوب الريح من تلقاء كاظمة دال على آثار المحبة وايماض البرق دال على آثار المحبة ينتج ان مزجك الدمع بالدم دال على آثار المحبة ثم ان كلمة ام متصلة اومنقطعة واكثر الشارحين رجحوا الاولى لان ام المنقطعة هى الواقعة بين جملتين كل منهما مستقل بفائدة مستغن عن الآخر وههنا ليس كذلك لان هذا البيت بمصراعيه والبيت الاول كلام واحد علة لكون مزج الدمع بالدم من آثار المحبة كما عرفت وليس كل واحد منهما مستغنى عن الآخر واما ام المتصلة فهى التى ماقبلها ومابعدها لايستغنى احدهما عن الآخر وههنا كذلك ومن اختار المنقطعة قال ان هذا البيت منقطع عما قبله كانه قيل امن تذكر جيران مزجت لابل من هبوب الريح وهى واحدة الرياح يذكر و يؤنث والريح من الروح وهو بمعنى الذهاب سمى الريح ريحا لكونه رائحا دائما ومن تلقاء متعلق بهبت وتلقاء بمعنى الجانب والجهة كما فى قوله تعالى (تلقاء مدين) وكاظمة اسم من اسماء المدينة نورها الله تعالى الى يوم القيمة وهى اسم فاعل من الكظم وهو تسكين الغضب كما فى قوله تعالى (والكاظمين الغيظ) فاسناد الكاظمة الى المدينة مجازى مثل جرى النهر لان المدينة غير كاظمة الغضب بل من خواصها ان من سكن فيها يسكن غضبه وقيل المراد من الكاظمة روضة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مجازا من ذكر العام وارادة الخاص ثم المراد من هبوب الريح من جانب المدينة اما حقيقة لانه اذا جاء الريح من جانب المحبوب يحرك حزن العاشق و يورث له البكاء واما المراد منه لازمه اعنى وصول آثار المعشوق واخبار المحبوب لان الريح من لوازمها ايصال شئ كالرائحة والكلاء اليابس مثلا من مكان الى مكان آخر فعلى هذا يكون مجازا مرسلا مركبا على قول القائلين به ويكون حاصل المعنى ام وصلت اليك الاخبار والآثار من طرف الكاظمة او المراد من الريح الرائحة الطيبة كما فى قوله تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام (انى لاجد ريح يوسف) اى رائحته فعلى هذا يكون الهبوب بمعنى النشر مجازا من ذكر الملزوم وارادة اللازم فالمعنى ام شم انفك الرائحة الطيبة التى نشرت من تلقاء كاظمة او المراد من الريح ريح الصبا فيكون المراد به اوصاف النبى عليه الصلاة والسلام مجازا

واستعارة بان شبه اوصاف النبي عليه السلام واخلاقه العظيمة بريح الصبا فى كونهما باعثين للسرور فكما ان ريح الصبا يعطى الفرح لمن اصابه كذلك اوصافه عليه السلام واخلاقه تعطى السرور لمن سمعها وادعى ان اوصاف النبي من جنس ريح الصبا ثم استعير ريح الصبا لاوصاف النبي عليه السلام فذكر ريح الصبا واريد منه اخلاقه عليه الصلاة والسلام فعلى هذا يكون هبت ترشيحا للاستعارة المصرحة بمعنى التحريك اوالنشر والواو فى واومض اما على حقيقته اى للجمع فيكون سبب البكاء اما تذكر الجيران واما مجموع هبوب الريح وايماض البرق واما بمعنى او الفاصلة فيكون على هذا سبب البكاء اما تذكر الجيران فقط واما هبوب الريح فقط واما ايماض البرق فقط وتكون نكتة لمجاز اى التعبير بالواو دون او الاشارة الى ان الترديدات الثلاثة مانعة الخلو اى سبب البكاء لايخلو من هذه الامور الثلاثة بل يجوز جمعها ثم ان كلا من هبت الريح واومض البرق فى تأويل المصدر معطوف على تذكر اى هبوب الريح وايماض البرق واومض ماض من الايماض وهو اللمعان والظهور والبرق بالرفع فاعل اومض وفى الظلماء متعلق باومض و الظلماء صفة موصوفه محذوف اى الليلة الظلماء وهى مؤنث اظلم ولمعان البرق فى الليلة الظلماء اما على حقيقته لانه اذا لمع البرق فى جانب المعشوق بنور ذلك الجانب و يورث دهشة للعاشق اوالمراد من الليلة الظلماء بداية العشق واوله مجازا واستعارة كما فى قوله

❊ صدغ الحبيب وحالى ❊ كلاهما كالليالى ❊

فكانه شبه ههنا بداية العشق واوله بالليلة الظلماء فى وقوع التحير وفقدان الطريق فكما ان فى الليلة الظلماء يتحير كل من سلك و يفقد طريقه فكذلك العاشق فى بداية الامر يعرض له احوال فيتحير و يفقد طريقه ثم استعير الليلة الظلماء لبداية العشق وذكر الليلة الظلماء واريد بداية العشق فعلى هذا يكون فى ايماض البرق ايضا استعارة حيث شبه وصلة الحبيب ونهاية العشق بلمعان البرق فى سرعة الذهاب فكما ان لمعان البرق يذهب سريعا فكذلك الوصلة اذ تقرر فى موضعه ان العاشق متى وصل معشوقه لايبقى فى الدنيا بل يذهب سريعا ومن اضم متعلق باومض واضم بكسر الهمزة وفتح الضاد اسم جبل قريب من المدينة وهو محله عليه السلام اذ فى اكثر اوقاته كان يسكن فيه فهو اما على حقيقته و اما ان يراد به المحبوب

من ذكر المحل وارادة الحال وهو المناسب ان اريد بلمعان البرق ظهور نور النبي عليه السلام على وجه الاستعارة المصرحة بان شبه ظهور نور النبي عليه السلام بلمعان البرق فى الاضاءة ورفع الظلمة ثم يستعار لمعان البرق لظهور نور النبي عليه السلام وذكر المشبه به واريد المشبه فعلى هذا تكون الليلة الظلماء على حقيقتها و يؤيد هذا المعنى ماروى انه كلما دنا الحاج من المدينة ظهر منها نور النبي عليه السلام لبعض الخلصاء من الحجاج والناظم الفاهم من اخاص الخلصاء فكيف لايظهر له وقال المصنف يلزم لهبوب الريح وايماض البرق بعد مسافة للمحبوب ومن عادة البلغاء انهم يجعلون بعد المسافة استعارة لبعد المرتبة وعلو المكان لعلو القدر كما قال الشاعر

❊ هى الشمس مسكنها فى السماء ❊ فعز الفؤاد عزاء جميلا ❊

❊ فلن تستطيع اليها الصعودا ❊ وان تستطيع اليك النزولا ❊

❊ فَمَا لِعَيْنَيْكَ اِنْ قُلْتَ اكْفُفَا هَمَتَا ❊ وَمَا لِقَلْبِكَ اِنْ قُلْتَ اسْتَفِقْ يَهِمِ ❊

فكانه لماورد المنع على صغرى القياس للناظم الفاهم من طرف الشخص المجرد من نفسه بان يقال لانسلم ان امتزاج دمعى بالدم اما من تذكر الجيران اوهبوب الريح وايماض البرق لم لايجوز ان يكون من سبب آخر من مرض اصاب الجسم اواصابة مصيبة ترك الناظم ماوجب عليه من اثبات مقدمته الممنوعة وانتقل الى دليل آخر مثبت لكون مزجه بسبب العشق والمحبة فقال فما لعينيك الخ اى مزج الدمع بالدم من العشق والمحبة ولو لم يكن مزجك الدمع بالدم من المحبة والهوى لكنت ما لكا لعينيك وقلبك لكن التالى باطل والمقدم مثله فثبت نقيضه وهو مزج الدمع بالدم من المحبة والهوى واثبت التالى بقوله ان قلت الخ اى انك غير مالك لعينيك وقلبك ولو كنت مالكا لهما لكف عيناك ان قلت لهما اكففا واستفاق قلبك ان قلت له استفق لكن التالى باطل لانك لو قلت لهما اكففا لاتكفان بل تهميان ولو قلت له استفق لايستفيق بل يهيم والمقدم مثله فثبت نقيضه فان قلت الانتقال من دليل الى دليل آخر لايجوز للمعلل لانه الخام من وجه فكيف يجوز للناظم الفاهم قلت انما لايجوز الانتقال من دليل الى دليل آخر اولم يكن المعلل قادرا على اثبات الحكم الاول بانواع الدلائل كما كان فى محاجة ابراهيم عليه السلام مع نمرود عليه اللعنة واما اذا كان قادرا ويكون

مراده اثبات اصل المطلوب بانواع الدلائل فلا يضر الانتقال وما وقع ههنا من قبيل الثانى كما لا يخفى ثم ان الفاء فى فافصحة وافاء الفصيحة هى التى تدل على الشرط المحذوف وههنا ان لم يكن مزجك الدمع بالدم من العشق والمحبة فما حصل لعينيك الخ هذا عند الكشاف وعند السكاكى هى التى تدل على السبب اى على السبب المحذوف غير الشرط كما فى قوله تعالى (فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت) اى فضرب فانفجرت واما عند غيرهما فالفاء الفصيحة هى التى دلت على سبب محذوف سواء كان شرطا او معطوفا عليه وما استفهام فهو اما يسئل به عن الجنس او الصفة وههنا سؤال عن الجنس ولعينيك اللام فيه متعلق بالمقدر اى ما حصل لعينيك وفى الكاف الخطابى تجريد ايضا فتذكر وجملة ان قلت اكففا همتا تفسير لما وقلت على صيغة الخطاب ومقوله محذوف اى اهما فالقول هنا بمعنى الخطاب لما تقرر ان القول يجئ لمعان بحروف لانه ان استعمل بالباء يكون بمعنى الحكم واذا استعمل بعلى يكون بمعنى الاعتراض واذا استعمل بفى يكون بمعنى الاجتهاد واذا استعمل باللام يكون بمعنى الخطاب وقال فى دده جنكى فى حاشية شرح سعد الدين من الصرف القول فى استعماله بالباء يجئ لمعان نحو قال بيده اى اخذ بيده وقال برجله اى ضرب بها او مشى بها وقال برأسه اى اشار برأسه وقال بالماء على يده اى قلب وقال بثوبه اى ارفعه وجملة اكففا مقول قول له واكففا على صيغة التثنية امر من كف اى منع كما قيل ✵ خير المرء من كف فكه وفك كفه ✵ وشر المرء من كف كفه وفك فكه ✵ فان قلت ان الادغام فى اكففا واجبا ففكه خلاف القياس ومخل بالفصاحة قلت اجاب عنه الشارحون بوجوه قال العصام يجوز ان يكون فكه لضرورة الشعر كما قال الشاعر

في عد ضرورات الشعر

✵ واشباع تحريك وفك بمدغم ✵ وتذكير وتأنيث وعكس بندرة ✵

وقيل تعدد العين انما هو فى الصورة واما هو فى الحقيقة فواحد فلفظ اكففا بالنظر الى الحقيقة مفرد وان كان تثنية فى الصورة وفك ادغام المفرد جائز وهذا الجواب تكلف جدا لانه مبنى على مذهب الوجودية من المتصوفة فانهم قالوا العين فى الانسان واحد لا اثنان ولهذا لا يرى الانسان شيئا شيئين والتعدد الصورى لا يقدح الوحدة فى الحقيقة وقيل فك الادغام على توهم

الافراد ولا يخل بالفصاحة كما يخل فى قوله الحمد لله تعالى العلى الاجلل وقال بعضهم انه اشارة الى ان الناظم الفاهم قال به بلسان دهشة وحيران كانه لم يعقل قواعد البرهان ومثل هذا يعد ظرافة فى البيان فلا يعاتب بسنان اللسان همتا ماض مثنى من همى يهمى هميانا بمعنى سالتا وضميرا التثنية راجع الى العينين واسناده الى العين مجاز اذ العينان لا تسيلان بل يسيل منهما الماء من قبيل سال الميزاب ورد السكاكى هذا المجاز الى الاستعارة المكنية والتخييلية وانكر المجاز العقلى فعلى هذا شبه العين فى الذهن بالمطر فى الشرافة فكما كان المطر فاسناده اليهما اشرف المياه كذلك كانت العين اشرف الاعضاء ثم ادعى للمشبه به فردان فرد متعارف وهو المطر وغير متعارف وهو العين ثم استعير المشبه به فى الذهن وهو الفرد المتعارف اعنى المطر للفرد الغير المتعارف اعنى العين ثم ذكر فى الخارج المشبه وهو الفرد الغير المتعارف اعنى العين واريد العين الغير المتعارف ثم انتزع من جانب المشبه وهو سيلان العين امر وهمى وشبه بجريان الماء فى سرعة الجريان ثم ذكر اللفظ الدال على المشبه به وهو سالتا واريد المشبه ويجرى فيه ايضا مذهب الجمهور بان يشبه العين فى الذهن بالمطر فى سرعة السيلان ثم استعير المطر فى الذهن للعين وفى الخارج ذكر المشبه اعنى العين واريد هو والرمز والاشارة الى الاستعارة التى كانت فى الذهن اثبت همتا التى من لوازم المشبه به لى المشبه وهذا الاثبات تخييلية عندهم ثم ان جملة همتا جزاء قوله ان قلت اكففا فان قلت الشرط سبب الجزاء على ما تقرر فى النحو وكيف يكون قوله ان قلت اكففا سببا للهميان وسيلان الماء بل عكسه سبب له قلت السبب اعم من السبب العقلى والعادى والعرفى وهذه الجملة الشرطية وان لم تكن سببا عقليا او عاديا لهذا الجزاء لكنها سبب عرفى والمراد من العرف عرف العاشقين لان فى عرفهم العشق يفعل خلاف ما يأمر به العقل فههنا وان امر العقل بترك البكاء ومنع عنه لكن العشق عمل ذلك لامر بخلافه فسال من عينيه ماء اشد السيلان وما لقلبك اى وما حصل لقلبك والقلب شكل صنوبرى تحت الضلع الايسر وهو منبع الحياة والايمان قال بعض العارفين خلق الله تعالى اولا الروح ثم الجسد وكان الروح مذكرا والجسد مؤنثا ثم امر الروح بالازدواج مع الجسد فازدوجها فحصل منهما ولدان ذكر وهو القلب الذى هو موضع الايمان وتبع هو للروح وانثى وهو النفس محل الفساد وتبعت هى للشيطان والجسد لان النتيجة تابعة لاخس المقدمتين واستفق امر من استفاق بمعنى افاق والسين

للوجدان اى كن مفيقا و يهم من هام يهيم بمعنى تحير حذف ياؤه للجزم وجملته جزاء لما قبله ويرد عليه ايضا السؤال السابق ويجاب بما يجاب فيه فتذكر واختار الماضى فى جزاء الشرط الاول لكونه محققا واختار ههنا المضارع لان ما فى القلب مضمر والاطلاع عليه متعذر ثم ان فى هذا البيت من صنايع البديع جناسا شبيها بالمشتق بين الهميان والهيمان كما فى قوله تعالى (قال انى لعملكم من القالين) الاول من القول والثانى من القلى ثم اعلم ان خاصة الابيات الثلاثة انه اذا كان عندك بهيمة لا تقبل التعليم فاكتب هذه الابيات الثلاثة فى زجاج وامحها بماء المطر واسقها للبهيمة فانها تتعلم وتذلل قال الاستاذ طول الله بقاه جربته فوجدته صحيحا و ايضا اذا كتبت هذه الابيات الثلاثة فى رق غزال وعلقت على عضد من فى لسانه ركاكة وضيق يتعلم باذن الله تعالى و يكون فصيحا

﴿ أيحسب الصب ان الحب منكتم ❊ ما بين منسجم منه و مضطرم ﴾

لما كان للناظم الفاهم حرص شديد على اثبات دعوى كون المحبة فى قلب الشخص المخاطب لم يكتف بدليل واحد بل اتى على دعواه بدليل آخر ولذا قال ايحسب الصب الخ اى اولم تكن محبتك ثابتة لما كنت دائرا بين دمع منسجم وقلب مضطرم لكن التالى باطل والمقدم مثله فثبت نقيضه ثم الهمزة للاستفهام الانكارى وهو بمعنى النفى ههنا كما كان فى قوله

❊ ايقتلنى والمشرفى مضاجعى ❊ ومسنونة زرق كانياب اغوال ❊

و يحسب بالكسر والفتح من افعال القلوب والحسبان الظن والمعنى لا يظن العاشق كون المحبة منكتمة لان الظن منهى عنه لكونه اثما لقوله تعالى (اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم) وفى يحسب التفات من الخطاب الى الغيبة على مذهب الجمهور والسكاكى ونكتة الالتفات عامية وخاصية فالنكتة العامية تنشيط القلوب بتغير الاسلوب والخاصية اجراء الصفة المادحة على نفسه وهى الصب لانه لو قال اتحسب بصيغة المخاطب لما امكن اجراؤها على نفسه فان قيل لو قال تحسب لامكن ايضا اجراء الصفة المادحة عليه بان يجعل الصب صفة لفاعل تحسب اعنى تاء الضمير او بدلا منه قلنا لا يمكن على هذين التقديرين لان الضمير لا يوصف ولا يوصف به كما قال الشاعر

❊ اضمرت فى القلب هوى شادن ❊ مشتغل بالنحو لا يوصف ❊
❊ فقلت ما اضمرت يوما له ❊ فقال لى المضمر لا يوصف ❊

ولان الضمير لا يبدل المظهر منه الا اذا كان غائبا وفيما نحن فيه مخاطب فان قلت لا نسلم كون الصب صفة مادحة قلت ان الصب فى الاصل مصدر بمعنى الاراقة لكن المراد منه ههنا العاشق الكامل انما سمى العاشق الكامل به لانه يبكى فى كل احواله كما قال الشاعر

❊ وما فى الخلق اشقى من محب ❊ وان وجد الهوى حلو المذاق ❊
❊ تراه باكيا فى كل حال ❊ مخافة فرقة و الاشتياق ❊
❊ فيبكى ان نأوا شوقا اليهم ❊ و يبكى ان دنوا خوف الفراق ❊

وان للتأكيد والحب مصدر بمعنى المحبة ومنكتم من الانكتام اى مستتر وقابل للاستتار واكد هذا الكلام بالاداة والجملة الاسمية لكون المقام مقام الانكار وما زائدة وبين ظرف لمنكتم و منسجم صفة موصوفه محذوف اى دمع منسجم وهو من الانسجام بمعنى الهطل والصب اى دمع هاطل و منه متعلق بمنسجم و الضمير راجع الى الصب بطريق الاستخدام لان المراد من الصب العاشق الكامل ومن الضمير الراجع اليه العضو المخصوص اعنى العين كما لا يخفى و مضطرم معطوف على منسجم وهو ايضا صفة موصوفه محذوف اى قلب مضطرم وهو بمعنى ملتهب ومشتعل وفى المضطرم استعارة مكنية حيث شبه فى الذهن قلب العاشق وهو مذكور فيه بارجاع ضميره اليه بشجرة العود فى كونهما قابلين للايقاد و شاملين للرائحة الطيبة لان قلب العاشق اذا كان ملتهبا ينتشر منه الرائحة الطيبة على ما قاله المتصوفة وادعى لشجرة العود فردان فرد متعارف وهو شجرة العود حقيقة وفرد غير متعارف وهو القلب ثم استعير المشبه للمشبه به ثم ذكر فى الخارج المشبه واريد به المشبه ايضا اعنى القلب وهذه استعارة مكنية ثم انتزع من جانب المشبه امر وهمى وهو التهاب القلب وايقاده وكونه مكيفا بالرائحة الطيبة عند الايقاد وشبه بالتهاب شجرة العود ثم ذكر اللفظ الدال على المشبه وهو مضطرم اذ هو حقيقة فى شجرة العود واريد المشبه وهو التهاب القلب وهذه الاستعارة تخييلية وهذا عند السكاكى واما عند الخطيب فبان يشبه فى الذهن القلب بشجرة العود وفى الخارج اثبت ما هو من لوازم المشبه به الى المشبه للاشارة والرمز الى التشبيه فى الذهن قال المصنف فى هذا المصراع ايماء

الى ان الواشى اذا كان من قبيل صاحب السر فكتمان السر يعسر عليه بل يتعذر فكيف اذا كان ذلك الواشى جزأ منه خصوصا اذا كانا اثنين سيما اذا كانا متعاونين كما فيما نحن فيه انتهى وحاصل معنى البيت لاتظن ايها العاشق ان الحب مستتر كيف والدمع المنسجم والقلب المضطرم شاهدان على دعوى انكشاف الحب فكيف تظن انكتام الحب فكأن العاشق ادعى انكشاف المحبة والشخص المجرد من نفسه انكره فذهبا الى محكمة العشق فاستحكما من قاضى العشق فحكم القاضى بالاثبات للعاشق المدعى عملا بالحديث المشهور (البينة على من ادعى واليمين على من انكر) فاتى العاشق بشاهدين على دعوى انكشاف المحبة فقبل القاضى دعواه فان قلت الشاهد الاول مقبول لكن مقبولية الشاهد الثانى ممنوعة لان حاله مستور اذا القلب لا يطلع عليه احد الا الله تعالى قلت لشاهد الاول يقوى الثانى لان الدمع يدل على مافى القلب كما قال بعض الفضلاء اذا انفعل القلب سرى الاثر الى العين فعند اشتداد الحزن تدمع وعند اشتداد الفرح تلمع (ومن تقريرنا علم ان فى هذا البيت استعارة تمثيلية حيث شبه الهيئة المنتزعة من الامور المذكورة فى هذا البيت من كون الدمع المنسجم شاهدا والقلب المضطرم شاهدا آخر وكونهما مثبتين لدعوى مدع قد اثبت المحبة ومبطلين لدعوى من انكر المحبة بالهيئة المنتزعة من الامور المحسوسة وهى كون الشاهدين فى الخارج مثبتين لدعوى رجل على رجل آخر منكر ومبطلين لدعوى المنكر ونحو ذلك ثم استعير الهيئة المنتزعة من الامور المحسوسة للهيئة المنتزعة من الامور الغير المحسوسة فذكر المشبه واريد المشبه به فعلى هذا تجرى استعارة مصرحة فى مفردات هذه الامور بان يشبه بالدمع المنسجم ثم ذكر المنسجم واريد الشاهد وقس عليه السائر تدبر

لَوْلَا الهَوَى لَمْ تُرِقْ دَمْعًا عَلَى طَلَلٍ * وَلَا أَرِقْتَ لِذِكْرِ البَانِ وَالعَلَمِ

ثم شرع فى اثبات دعواه بدليل آخر ايضا للتأكيد والتقوية والاشارة الى ان دعواه صادقة غير زور و بهتان فقال لولا الهوى الخ يعنى ان سلطان المحبة فى مدينة قلبك ولو لم يكن سلطان المحبة فى مدينة قلبك لم ترق دمعا على طلل ولا ارقت لذكر البان والعلم لكن التالى باطل والمقدم مثله فثبت نقيضه ثم ان لولا يستعمل على اربعة اوجه الاول انه يدخل

على جملة اسمية ويكون لامتناع الشئ لوجود غيره وخبر المبتدأ بعده واجب الحذف والثانى ان يكون للتحضيض والعرض فيختص بالمضارع والثالث ان يكون للتوبيخ والتنديم فيختص بالماضى والرابع الاستفهام وهنا من قبيل الاول فتقديره لولا الهوى موجود فيك والهوى بالقصر مصدر هوى من باب علم وهوى من باب ضرب وهو ههنا بمعنى العشق والمحبة لان الهوى يجئ على ثلاثة معان الاول ميل النفس الى ما لا يقتضيه الشرع وهو مذموم كما فى قوله تعالى (افمن اتخذ الهه هواه) والثانى العشق والثالث بمعنى المهوى اى المحبوب كما فى قوله * هواى مع الركب اليمانين مصعد * ويحتمل ان يكون ان المراد من الهوى المعنى الثالث ايضا ويكون الالف واللام عوضا عن المضاف اليه اى لولا محبوبك ولم ترق مضارع من اراق يريق اصله يروق فاعل كاعلال يقيم ثم دخل عليه الجازم فحذف الياء والاراقة بمعنى الصب كما فى قول ابن الحاجب حين قتله

* ارى قدمى اراق دمى * وهان دمى وها ندمى *

وفى لم ترق التفات من الغيبة الى الخطاب والتفاته سر يعا الى الخطاب لاخراج الكلام من البيان الى العيان وتعريف الدمع قد مضى فامض اليه وتنوينه للتعظيم كما ان تنوين طلل للتحقير كما فى قوله

* له حاجب فى كل امر يشينه * وليس له عن طالب العرف حاجب *

وعلى متعلق بلم ترق والطلل بفتحتين اثر الدار الخربة فكانه يقول لولم تكن لك محبة مع اهل المنازل وسكانها لما صبيت من عينيك الدمع العظيم على اطلال المنازل الحقيرة ويحتمل ان يكون مراده بالطلل مكة المكرمة لانها بهجرة النبى صلى الله عليه وسلم منها صارت خربة معنى اذ معموريتها كانت بكون النبى عليه السلام فيها كما قال الله تعالى (لا اقسم بهذ البلد وانت حل بهذا البلد) حيث استفيد منها ان كون مكة المكرمة لائقة بكونها مقسما به لله تعالى لاجل حلول النبى عليه السلام فيها فبعد هجرته عليه السلام كانت الآثار الباقية الدائمة فى مكة المكرمة الآن هى الآثار الخربة معنى ولذا اتفقوا على ان التراب الماس لبدن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبره الشريف افضل الامكنة وافخمها كما سيأتى تفصيله وعلى هذا المعنى يكون على بمعنى اللام الاجلية اى لو لم تكن محبتك لم ترق دمعا لاجل ملاحظة مكة بان المحبوب قد هاجر منها وكانت الارض الباقية خربة فتأمل ويجوز

ان يكون فى طال استعارة مصرحة بان شبه آثار المحبة والعشق الكائنة فى قلب العاشق بآثار الدار الخربة فى كونهما اثرين بين الامرين اعنى عدم المعمورية بالكلية وعدم الانهدام بالكلية ثم استعير آثار الدار الخربة لآثار المحبة فذكر اللفظ الدال على المشبه به واريد المشبه ولا ارقت عطف على لم ترق ولا زائدة لتأكيد النفى وارقت من ارق يأرق من باب علم وهو بمعنى سهر الليالى وعدم النوم فيها فالمعنى اولم يكن سلطان المحبة فى مدينة قلبك لما سهرت الليالى لكن التالى باطل والمقدم مثله فثبت نقيضه لان المحب لا ينام كما قال الشاعر

﴿ عجبا للمحب كيف ينام ﴿ كل نوم على المحب حرام ﴾

واللام فى لذكر البان اجلية والذكر اما بالكسر او بالضم وهو مصدر مضاف الى مفعوله وفاعله متروك اى لاجل ذكرك البان والبان شجر لطيف الرائحة وقيل المراد به الشجر المعهود القريب من مكة الذى قد كان النبى عليه السلام يجلس تحته ويكالم الاصحاب رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فعلى هذا يكون مجازا من ذكر المحل وارادة الحال وقيل هو شجر طيب الرائحة والقد ففيه استعارة مصرحة حيث شبه النبى عليه السلام بتلك الشجرة فى حسن الطلعة ونهاية اللطافة ثم استعير الشجر المذكورة للنبى عليه السلام فذكر المشبه به واريد المشبه والعلم اسم جبل كما فى قوله

وان صخر التأتم الهداة به ﴿ كانه علم فى رأسه نار

قيل المراد منه ههنا جبل من جبال مكة فقيل هو جبل ابى قبيس وقيل جبل حراء وقيل جبل فيه غاره عليه السلام وعلى كل تقدير يكون مجازا مرسلا من ذكر المحل وارادة الحال لان هذه الجبال كانت امكنة النبى عليه السلام او استعارة مصرحة بان شبه المحبوب بالجبل فى العظمة والمهابة وحسن الهيئة والرفعة ثم استعير الجبل للمحبوب فذكر المشبه به واريد المشبه على هذا يكون اللام فى قوله لذكر البان للوقتية كما فى قوله تعالى (لدلوك الشمس) قال الاستاذ طول الله بقاه وجعل آخرته خيرا من اولاه خاصية هذا البيت وحده انه من كان فى قلبه ضيق وكربة وعسرة من الآلام والاكدار فليكتب هذا البيت بالحروف المقطعة على تفاحة وليأكلها فانه يزول ضيق قلبه وعسرته ولو كتبه على زجاجة ومحاه بالماء وشربه

يزول ضيق قلبه ايضا لكن فى الكتابة على التفاح يكون التأثير ازيد وقال الاستاذ جربناه مرارا فوجدناه صادقا

﴿ فَكَيْفَ تُنْكِرُ حُبًّا بَعْدَمَا شَهِدَتْ ﴿ بِهِ عَلَيْكَ عُدُولُ الدَّمْعِ وَالسَّقَمِ ﴾

لما جاء العاشق على دعواه بشاهدين كانه قيل من طرف الشخص المجرد من نفسه ان شاهديك غير عدلين فلا يثبت بهما دعواك فاثبت عدالتهما بقوله فكيف تنكر الخ الفاء فى فكيف فصيحة اى اذا دلت الادلة السابقة وبعدها شهدت الشواهد اللاحقة على دعوى ان سلطان المحبة فى مدينة قلبك فكيف الخ وكيف حال لا مفعول فيه والاستفهام اما للتعجب كقوله تعالى (كيف تكفرون بالله) او للتوبيخ او للاستبعاد اى لا ينبغى ان تنكره بعد هذا وتنكر من الانكار وهو الجحد ضد الاقرار وحبا مفعول تنكر وتنوينه للتعظيم كما فى قوله

﴿ صبت على مصائب لو انها ﴿ صبت على الايام صرن لياليا ﴾

وبعد با صب ظرف لتنكر وما اما مصدرية فضمير به للحب واما موصولة فضمير به له والشهادة خبر صادق صادر من شخص صادق وبقرينة الاسناد الى العدول فيه استعارة مصرحة وتبعية بان شبه الدلالة بالشهادة فى اعلام الشئ واظهاره ثم استعير الشهادة لمفهوم الدلالة ثم كانه ذكر الشهادة واريد منها الدلالة وتبعية هذه الاستعارة اشتق من الشهادة شهدت ومن الدلالة دلت وبواسطة العلاقة فى مصدرهما شبه هيئة دلت بهيئة شهدت ثم استعير شهدت لمفهوم دلت فذكر شهدت واريد مفهوم دلت وعلى فى عليك مستعمل فى الضرر كما فى قوله تعالى (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) وكقوله

﴿ فاصبحت ام الخيار تدعى ﴿ على ذنبا كله لم اصنع ﴾

وانما استعمل فى الضرر لان قلب العاشق غير راض باظهار عشقه واثباته بل ينكره غاية الانكار لئلا يتفرع عليه الاحوال والاسرار والعدول جمع عدل بمعنى عادل بمعنى الموثوق المعتمد فى الشهادة واضافته الى الدمع والسقم بيانية لغوية او بمعنى من اى العدول المستفادة من جهتهما واعلم انهم بينوا ان المضاف اليه اما مباين للمضاف وحينئذ ان كان ظرفا له فبمعنى فى والا فبمعنى اللام واما مساو او اعم مطلقا فالاضافة ممتنعة واما اخص مطلقا

كيوم الاحد فبمعنى اللام واما اخص من وجه فان كان المضاف اليه اصلا للمضاف فبمعنى من والافبمعنى اللام ولايلزم فيما بمعنى اللام ان يصح تصريح بها بل يكفى افادة الاختصاص الذى هومدلول اللام ثم انهم قالوا يشترط فى الاضافة البيانية الاصطلاحية اى النحوية العموم والخصوص من وجه وكون المضاف اليه اصلا للمضاف وفى اللغوية قديكون بينهما عموم مطلق وقديكون من وجه لكن يشترط على صورة الوجه ان لايكون المضاف اليه اصلا وفى الاضافة اللامية قديكون بينهما عموم مطلق فيجتمع مع الاضافة البيانية كما كان فى هذا المقام وقد يكون عموم من وجه ولايكون المضاف اليه اصلا للمضاف فاحفظ هذا الكلام فانه مماينفعك فى اكثر المقام و يجوز ان تكون اضافة العدول من قبيل اخلاق ثياب والدمع قدمر تعريفه غيرمرة والسقم المرض والالف واللام فيه عوض عن المضاف اليه اى سقم القلب ومن قال الالف واللام فى الدمع ايضا عوض عن المضاف اليه اى دمع العين فقدسها فافهم ثم ان استعمال صيغة الجمع اعنى العدول فى المثنى اعنى الدمع والسقم اماللتعظيم كما فى قوله تعالى (وانا له لحافظون) اومبنى على ماقيل ان اقل الجمع اثنان مستدلا بقوله عليه الصلاة والسلام الاثنان وما فوقهما جماعة فتأمل ويمكن ان يقال ايراد صيغة الجمع لكون كل من الدمع والسقم جمعا باعتبار الافراد والانواع من قبيل قوله تعالى (فقد صغت قلوبكما) فافهم ثم ان فى الدمع والسقم استعارة بالكناية بان يشبه كل واحد من الدمع وسقم القلب بالشخص الصادق فى اظهار شئ وقع فى نفسه وادعى للشخص الصادق فردان فرد متعارف وهو الشخص الصادق حقيقة وغيرمتعارف وهو الدمع اومرض القلب ثم استعير المشبه للمشبه به ثم ذكر فى الخارج المشبه واريد المشبه به ايضا وهذه الاستعارة مكنية ثم انتزع من جانب المشبه امر وهمى وهو شهادة الدمع والسقم وشبه بشهادة الشخص الصادق فى افادة الحكم واستعير الشهادة المحققة لمفهوم الشهادة المخيلة ثم ذكر الشهادة المحققة اى فى شهدت واريد منه الشهادة المخيلة ثم اثبات العدول ترشيح لهذه الاستعارة وهذا البيت اول الابيات الستة التى تمايل فيها النبى عليه الصلاة والسلام حين قراءه الامام فى رؤياه عليه الصلاة والسلام و ينبغى للقارئ لحاجة ان يقرأ هذا البيت ثلاثا كذا قاله شارح هذه القصيدة

جعفر پاشا الهى لاتجعلنا من زمرة اهل الفسق والهوى واجعلنا ممن قبه مملى بمحبة نبيك المصطفى وعينه فى كل وقت من عشقه جرى و بكى

وَاَثْبَتَ الوَجْدُ خَطَّىْ عَبْرَةٍ وَضَنًى   مِثْلَ البَهَارِ عَلَى خَدَّيْكَ وَالعَنَمِ

ولما شهد على دعوى الناظم بان فى قلبك محبة وعشقا شاهدان صادقان عادلان حكم القاضى فى دار الحكمة بان دعواه حق صادق وقال لكاتب دار الحكومة اكتب دعواهما اى سجلها فسجلها ولهذا قال الناظم الفاهم للمخاطب واثبت الوجد الخ عطف على شهدت اى كيف تنكر حبا بعد شهادة الشاهدين و بعد اثبات الكاتب دعوى بالكتابة و الاثبات جعل الشئ ثابتا مقررا سواء بالخط او بغيره لكن المراد هنا اثباته بالخط بقرينة سياقه والوجد الاحزان القلبية والحالات العشقية وهو بالرفع فاعل اثبت واسناده اليه مجازى لانه سبب لهما نحو اهلك المرض و فيه استعارة مكنية بان شبه فى الذهن الحالات العشقيه و الاحزان القلبية بكاتب دار الحكومة فى الاعلام والانباء وفى الكتابة على الصحيفة ثم استعير فى الذهن اللفظ الموضوع لكاتب دار الحكومة اعنى النائب مثلا لمفهوم الحالات و الاحزان القلبية ثم ترك هذه الاستعارة فى جانب الذهن وذكر فى الخارج اللفظ الدال على المشبه اعنى الوجد واريد ايضا معنى الوجد وهذه الاستعارة مكنية ثم اسناد الاثبات الذى هو من ملايم الكاتب الى الوجد تخييل و ايقاعه على الخط ترشيح والخط اما خط عربى وهو تصوير اللفظ بحروف هجائه واما حكمى وهو ماله طول فقط و قيل هو الذى يقبل الانقسام طولا لاعرضا ولاعمقا وهو على صيغة التثنية سقط نونه بالاضافة والعبرة بفتح العين الماء الجارى من العين على الوجه وضنى بالفتح مجرور تقديرا معطوف على عبرة وهو الهزال و الضعف الذى يلازمه عادة صفرة الوجه والمراد به ههنا لازمه واضافة الخط الى العبرة من اضافة المشبه به الى المشبه كما فى لجين الماء يعنى اثبت الحزن عبرة وصفرة كالخط لان الناظم الفاهم لمابكى طويلا ومزج الدمع بالدم ظهر على خده الشريف خطان رقيقان كالالف احدهما احمر وهو من اثر الماء الجارى من عينه وثانيهما اصفر وهو من حزن قلبه و مثل بالنصب على انه حال اومفعول ثان لاثبت بتضمينه معنى جعل و يجوز ان يكون صفة الخطى والبهار على وزن النار اسم لورد اصفر

ينبت فى اول الربيع والتشبيه فى صفرة اللون فقط لافى الجرم والصورة وعلى خديك متعلق بمقدر حال من خطى والعنم بفتحتين اسم شجرا حمر اين الاغصان يشبه البنان قيل هو الحناء وقيل هو البقم ورجح الاول قوله

* النشر مسك والوجوه دنا ■ نير واطراف الاكف عنم ■

واياما كان فالمماثلة فى الاحمرار فقط فى هذا البيت من صنايع البديع اف ونشر معكوس حيث ذكر الحمرة ثم الصفرة فى المصراع الاول وعكس الحال فى هذا المصراع ونكتة للوزن والنظم وحاصل المعنى كيف تنكر المحبة بعد ان شهد بها شاهدا عدل ما استطعت على جرحهما وحكم عليك قاض لاينقض حكمه وكتب على صحيفة خديك منشور المحبة بخطين احمرين فكل من يراك يقرأ آية المحبة من خديك فانكارك لايسمن ولايغنى من جوع

■ اغفرلى يامن بسعة مغفرته شوقنى * واعف عن الفعل الذى من رضاك فرقنى ■ ولاتحرقنى بنارا الجحيم لان عشق نبك احرقنى

* نَعَمْ سَرَى طَيْفُ مَنْ اَهْوَى فَاَرَّقَنِي * وَالْحُبُّ يَعْتَرِضُ اللَّذَّاتِ بِالْاَلَمِ *

فلما اثبت العاشق دعواه بان سلطان المحبة فى مدينة قلبك وانكر الشخص المجرد من نفسه المخاطب ثم اثبت ثم انكر الى ان يأتى العاشق بشاهدين عادلين واثبت دعواه وكتب الكاتب وسجله فلم يبق لذلك المخاطب مجال الى الانكار فاقر بتلك الدعوى بالتصديق والاقرار فقال نعم الخ فنعم حرف تصديق مخبر بعد قول القائل قام زيد واعلام مستخبر بعد قوله اقام زيد ووعد طالب بعد قوله افعل اولا تفعل وههنا من قبيل الثانى والفرق بينه وبين بلى ان نعم حرف تصديق لكن يقع تصديقا للايجاب والنفى فى الخبر والاستفهام جميعا وبلى يختص بالنفى خبرا واستفهاما على معنى انها انما يقع تصديقا للنفى على سبيل الايجاب ولايقع تصديقا ولهذا قالوا قال القائل بلى كان مؤمنا فى جواب الست بربكم لانه فى قوة بلى انت ربنا ولوقال القائل نعم فيه لكان كافرا لانه فى قوة نعم لست ربنا وقد نظمه بعضهم

■ بعد نفى قل نعم لابعد ايجاب كذا ■ بعد ايجاب نعم لابعد ايجاب بلى ■

وجملة سرى استينافية لانه لما اقر بالعشق واعترف بالشوق كأن سائلا قال كيف كان الحال فقال سرى الخ وهو من السرى وهو مختص بالسير ليلا كما فى قوله تعالى (سبحان الذى اسرى بعبده ليلا) الآية لايقال لانسلم

ان اسرى فى الاية السير ليلا كيف وكونه فى الليل مأخوذ من قوله ليلا والا لكان مستدركا لانانقول ذكر المفسرون ان اسرى هو السير ليلا وذكر ليلا بعده فى الاية اشارة الى ان السير كان فى بعض الليل لافى كله اذتنوين ليلا للتقليل وسيأتى تفصيله والطيف الخيال ومن اسم موصول عبارة عن المحبوب ابهمه للتفخيم واهوى نفس متكلم من هوى يهوى وضمير المفعول الراجع الى الموصول محذوف اى اهواه واحبه والفاء فى فارقنى جواب شرط محذوف اى لماجاء الى خيال المحبوب ومحبة المعشوق فارقنى وفيه التفات من الخطاب الى التكلم على عكس مافى المطلع وارق من التأريق وهو التسهير والايقاظ من النوم والنون فيه وقاية والايقاظ من النوم اما على حقيقته لانه اذا امتلاء قلب المشتاق بخيال المحبوب والاشواق يسلب النوم من عينيه ولايحجب عنهما ابدا فيكون فى اليقظة فى كل حال سرمدا واما مجاز من سلب الغفلة باحوال الدنيا ولذاتها وهو المناسب لسياقه كما ترى والواو فى والحب اما حاليه واستينافية معانية كانه قيل هل شغلت فى اثناء عشقك باللذات فقال كيف والحب يعترض اللذات بالالم ويقول الفقير يمكن ان يكون الواو عاطفة من عطف العلة على معلولها اذهو علة لماقبله فكأن النظم الفاهم قال اذا الحب يعترض فيمكن فيه ترتيب قياس تقريره هكذا الحب سالب النوم ودافعه لان الحب يعترض اللذات بالالم وكل شى شانه كذلك فهو سالب النوم ودافعه ينتج الحب سالب النوم ودافعه ويعترض من اعترض له بسهم اذا اقبل به فرماه فقتله فيعترض بمعنى يقتل ففى اسناده الى الحب مجاز واستعارة تبعية حيث شبه القتل باعتراض فى شدة التأثير والتبديل اذكما فى القتل تبديل الشكل فكذا فى الاعتراض ثم استعير الاعتراض لمفهوم القتل فذكر الاعتراض واريد القتل وبتبعية هذه الاستعارة اشتق من الاعتراض صيغة يعترض ومن القتل صيغة يقتل وشبه هيئة يقتل بهيئة يعترض بواسطة العلاقة التى فى مصدرهما ثم ذكر يعترض واريد يقتل وعلى مذهب السكاكى فى الحب استعارة مكنية كمالايخفى واللذات جمع لذة بالنصب مفعول يعترض وبالالم متعلق بيعترض والالم كالكدر لفظا ومعنى لكن هنا مجاز ومستعار من السهم حيث شبه الالم بالسهم فى كونه مهلكا ويحتمل ان يكون فى هذا المصراع استعارة تمثيلية بان شبه الهيئة المأخوذة من الامور المعقولة هو كون الحب قاتلا وكون الالم الحاصل منه مهلكا وكون اللذات

مهلكا به وكون الحب راميا بالالم الى جانب اللذات بالهيئة المنتزعة من الامور المحسوسة وهو كون الشخص راميا وكون السهم مرميا به وكون شخص آخر او حيوان مرميا اليه وكون السهم مهلكا ثم استعير الهيئة المنتزعة من الامور المحسوسة لمفهوم الهيئة المأخوذة من الامور المعقولة ثم ذكر الهيئة المنتزعة من الامور المحسوسة واريد الهيئة المنتزعة من الامور المعقولة تدبر وحاصل المعنى ان العشق والمحبة يمرض و يهلك اللذات بسبب الالم كما ان الشخص الرامى يهلك الشخص المرمى اليه بالسهم لان العشق الحقيقى اذا دخل قلب احد يقطعه عن لذائذ الدنيا ونعيمها فلا يبقى له الذوق بشئ من الاشياء لان العشق الحقيقى والالتذاذ بنعم الدنيا ضدان والضدان لا يجتمعان كما ان الدنيا والآخرة ضدان لا يجتمعان فى شخص كما روى ان هارون الرشيد نظر يوما فى نفسه انى اجمع الدنيا مع الآخرة بغير تركهما فاطلع البهلول الولى على ما فى قلب هارون بالمكاشفة وجاء الى بيت هارون وكان فى بيته امام قصره عمود عظيم متروك من سنين فاخذ البهلول رأس العمود فرفعه ثم ترك ذلك الطرف وجاء الى الطرف الآخر فرفعه ايضا وتركه ثم جاء الى وسطه فاخذه فما رفعه لعدم قدرته وهارون الرشيد ينظر الى ما فعله البهلول فطلب الرشيد البهلول فجاء البهلول فقال الرشيد ما الغرض من هذا الفعل يا بهلول قال ارشادا للملك انى اردت ان جمع الدنيا فقدرت عليها لكن لم يكن معها الآخرة ثم تركت الدنيا واردت الآخرة فقدرت عليها لكن بترك الدنيا ثم اخذت الوسط لاجمع الدنيا والآخرة فما حصل لى ذلك ففهمت ان تفكرك بان تجمع الدنيا والآخرة باطل وخاصية هذا البيت انك اذا كنت تتهم امرأة فلتكتب هذا البيت على ورقة اترج وضعها على ثديها الايسر وهى نائمة فانها تنطق فى حال النوم بجميع ما فعلت من مليح او قبيح وهذا مجرب صحيح وكذا اذا كنت شككت فى احد انه هل اخذ شيأ من مالك فاكتب هذا البيت فى جلد ضفدع مدبوغ وعلقه فى عنقك فان السارق يندهش ويقر من ساعته باذن الله تعالى

﴿ يَا لَائِمِي فِي الْهَوَى الْعُذْرِيِّ مَعْذِرَةً ❋ مِنِّي إِلَيْكَ وَلَوْ أَنْصَفْتَ لَمْ تَلُمِ ﴾

لما كان المخاطب فيما قبل منكرا للدعوى بانه مبتلى بالهوى كان المكالمة

والخطاب بينهما بالكاف والضمير ثم لما اقر المخاطب بتلك الدعوى بعد منه المتكلم قليلا اذ الخصم اذا اقر بالدعوى التى انكرها فيما مضى يرخى له العنان و يوسع عليه فى ذلك الزمان و يفرق عنه خصمه برهة من الاوان فعدل عن الخطاب والضمير الى الخطاب بصيغة النداء فقال يا لائمى الخ اذ صيغة النداء تدل على البعد ويجوز ان يكون عدوله الى الخطاب بصيغة النداء لامالة المقصود بالنداء الى الاداء كذا ذكره سعدى چلبى فى تفسير قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام) الآية والمقصود بالنداء هنا الاعتذار من المحبة والهوى ورجاء قبول عذره من اللائم واللائم اسم فاعل من اللوم كما فى قوله تعالى (ولا يخافون لومة لائم) وهو مضاف الى ضمير المتكلم والمعنى يا من يلومنى بلومه ويعاتبنى بعتابه وفى الهوى ظرف للملامة وانما كان ظرفا لها لكون الهوى سببا لها اذ من وقع فى الهوى يلام فى كل صبح ومساء اذ المحب يكون له فى كل حاله انين و يبكى فى جميع وقته بكاء شديدا ويقع فى ملامة ومذلة جدا ولذا قيل

❋ نون الهوان من الهوى مسروقة ❋ فصريع كل هوى صريع هوان ❋

والعذرى بالجر صفة الهوى وهو بضم العين بمعنى المنسوب الى قبيلة بنى عذرة وهى قبيلة فى اليمن مشهورة بكثرة العشق معروفة بوفرة الشوق وكثير شبابهم يموت بهذا الداء لعدم وجد انهم لمرضهم دواء لان فى قلوب رجالهم ضعفا اى ليس فيهم غش ولادناءة وفى نسائهم عفة اى ليس فيهن فحش ولاخباثة والمعنى يا من يلومنى فى وقوعى الى الهوى الذى مثل هوى قبيلة بنى عذرة فى الحب الشديد والعشق المديد والمعنى فى وقوعى الى الحب المستولى الذى من شانه ان يقبل العذر من صاحبه كل احد لان ذلك الحب مستولى بالاضطرار فلا يلام من ابتلى به عند الصغار والكبار ويمكن ان يرتب فيه قياس لطيف من الشكل الاول بان يقال هواى عذرى لان هوى العذرى عذرى ينتج ان هواى عذرى اى مقبول حكى ان الاصمعى اراد ان يذهب الى قبيلة من الاعراب مشهورة بالفصاحة والبلاغة عند اولى الالباب ليتعلم منهم الفصاحة حتى يذهب من لسانه الركاكة ففتش فى القبائل فسمع ان قبيلة بنى عذرة مشهورة بالفصاحة فيما بين العرب فذهب الى تلك القبيلة فى اليمن فاضافه بعضهم وكان لصاحب البيت بنت رشيقة القد صبيحة الخد فصيحة الكلام

ملمحة الملام فجر الاصمعى منها المحبة لكونه مضافا اليها والمشهور ان الجر من عمل الاضافة ويقول الاصمعى ثم خرجت من بيت المضيف لاتفرج واطوف فى هذه القبيلة فرأيت شابا لطيفا كالهلال نحيفا كالخلال مصفر اللون من العشق كالعنم وعلامة المحبة فى وجهه كالشمس على العلم فى قلبه ايقاد واشتعال كانه مرتحل الى الآخرة بارتحال فسألته عن الحال وما فى جسمه من الملال فاجاب بالرعشة والاضطراب الحبيبة التى كنت فى بيتها ضيفا بنت عم ذلك المصاب ولنيران هواها فى قلبه اشتعال والتهاب وما رأها منذ سنين وله من فراقها ازفرة وانين قال الاصمعى فمضيت الى بنت عمه لاحصل مرام هذا الفتى وارجو منهم بلعل وايت وبتى وقلت يا راحة جراحة كل قلب كئيب ارى فيكم حرمة وذماما لكل غريب فجئت اليكم متشفعا فى امر هذا الشباب فتعطفى عليه باستمالة قلبه المصاب قالت صلاحه وفلاحه فى فراقنا وفوزه فى الاحتراق بلواعج اشواقنا فبعد اللتيا والتى قبلت انجاح منيتى فذهبت الى ذلك الشاب وقلت استعد لمشاهدة المحبوب وكن مراقبا للمواصلة لمطلوب فبينا ذلك هاج الغبار من جانب المحبوب فغشى عليه ووقع فى النار التى كانت بين يديه فاحترقت بعض اعضائه فمشيت الى الحبيبة وحكيت الحال فقالت ياسليم القلب انه لايطيق مشاهدة غبار نعالنا فكيف يطيق مشاهدة انوار جمالنا كذا ذكره شيخ زاده وقال الشار الشبراخيتى وحكى ايضا ان الاصمعى فى اثناء طوافه فى هذه القبيلة رأى حجرا قد كتب عليه هذا البيت

* يا معشر العشاق بالله اخبروا * اذا اشتد عشق بالفتى كيف يصنع *

فكتب الاصمعى على الحجر تحت هذا البيت بيتا وهو

* يدارى هواه ثم يكتم سره * ويصبر فى كل الامور ويخشع *

فلما جاء الاصمعى رأى مكتوبا بعد بيته هذا البيت

* فكيف يدارى والهوى قاتل الفتى * وفى كل يوم روحه يتقطع *

فكتب الاصمعى تحته هذا البيت

* اذا لم يطق صبرا وكتما لسره * فليس له شىء سوى الموت انفع *

فلما جاء الاصمعى فى اليوم الثالث رأى شابا واضعا رأسه على الحجر ميتا وقد كتب على الحجر هذا البيت

* سمعنا اطعنا ثم متنا فبلغوا * سلامى الى من كان للوصل يمنع *

﴿ وقدذكر ﴾

وقدذكر هذه الحكاية قره باغى فى محاضراته ايضا ومعذرة مصدر من العذر منصوب بفعل مقدر اى اقبل بصيغة الخطاب او اعذرونى متعلق به واليك صلة معذرة وقال شيخ زاده رحمه الله تعالى يجوز ان تكون معذرة مفعولا له من اللوم واليك اسم فعل اى بالاثمى اطلب معذرة ابعد فانك ظالم وقوله ولو انصفت الواو ابتدائية او حالية ولو لانتفاء الثانى لانتفاء الاول نحو لوجئتنى لاكرمتك والانصاف العدل اى لوعدلت لما هجوتنى بالملام واعذره من ابتلائى برزايا الالام ولم تلم فعل جحد مطلق من الملامة وياء المتكلم مفعوله اى تنفى الملامة عنى فى هذا المقام قياس استثنائى تقريره هكذا انك لم تنصف لانك لو انصفت لاتلومنى لكن التالى باطل لانك لمتنى كما فهم من قوله بالاثمى والمقدم مثله لانك لم تنصف فثبت انك غير منصف

﴿ عَدَتْكَ حالِي لاسِرِّي بِمُسْتَتِرٍ * عَنِ الوُشاةِ ولا دائِي بِمُنْحَسِمِ ﴾

لما كان العاشق ارتجى من اللائم ان يقبل عذره ويترك الملامة له لكون عشقه غير اختيارى بل هو عذرى ولم يقبل اللائم عذره بل لامه فقابل العاشق ذلك اللائم بقوله عدتك حالى الى آخره كلمة عدا ان تعدى بالى يكون بمعنى سرى وان تعدى بعلى يكون بمعنى ظلم وان تعدى بعن يكون للبعد والمجاوزة وهنا اما متعد بالى اى عدت اليك فيكون من قبيل الحذف والايصال كما فى قوله تعالى (واختار موسى قومه) فعلى هذا جملة عدت اما دعاء على اللائم او دعاء له اما كونه دعاء على اللائم فلكونه لاتماله صورة فحينئذ يكون فيه اشارة الى قوله عليه الصلاة والسلام (من عير اخاه المسلم بذنب لم يمت حتى ابتلاه الله به) واما كونه دعاء له فاما لكونه ناصحا له حقيقة واما عملا بقوله عليه الصلاة والسلام (صل من قطعك واعف عن ظلمك واحسن الى من اساء اليك) واما متعد بعن اى عدت عنك والجملة ايضا اما دعاء عليه بالحرمان من الوصول الى مرتبة العشاق الى رسول الله فيكون المعنى تجاوز عنك حالى ولم يبق فيك واما دعاء له بانى ادعو الله ليتجاوز عنك حالى اى سقم القلب وبكاء العين والكون ملوما وعلى كل تقدير جملة عدت اخبارية مستعملة فى معنى الانشاء مجازا واستعارة بان يشبه النسبة الانشائية الكائنة فى ليبعد بالنسبة الاخبارية واريد النسبة الانشائية وبتبعية هذه الاستعارة استعملت الصيغة الموضوعة للنسبة

الاخبارية اعنى عدت حالى فى النسبة الانشائية اعنى ليتعد حالى و نظيرها كثير فى الحديث والقرأن كما لايخفى على اهل البيان ونكتة المجاز اما التفأول كأنه دعا واستجيب واما لاظهار شدة حرصه ورغبته على وقوعه كأنه لكمال حرصه تخيل وقوعه فعبر بالماضى وقوله حالى بالرفع على انه فاعل عدت وهى مؤنث سماعى وقد تذكر والحال فى اللغة نهاية الماضى وبداية المستقبل وفى اصطلاح النحو بين ما يبين هيئة الفاعل او المفعول به لفظا نحو ضربت زيدا قائما اومعنى نحو زيد فى الدار قائما وفى اصطلاح الحكماء كيفية فى النفس غير راسخة فيها لانهم قسموا الكيفيات النفسانية الى قسمين لانها ان كانت راسخة فى النفس فهى ملكة وان لم تكن راسخة فهى حال فالحال بهذا المعنى مالايكون معدوما ولاموجودا ولا دائما كالحزن والسرور الغير الدائمين والحال فى اصطلاح اهل الحق و التصوف معنى يرد على القلب من غير تصنع ولااجتلاب ولااكتساب من طرب اوحزن اوقبض او بسط اوهيبة اوخشية و يزول بظهور صفات النفس سواء يعقبه المثل اولا فاذا دام وصار ملكة يسمى مقاما فالاحوال مواهب والمقامات مكاسب والاحوال تأتى من عين الجود والمقامات تحصل ببذل المجهود والمراد ههنا الحال التصوفى فيكون المعنى سرى اليك ما كان فى قلبى من الحب الحقيقى لانك وان لمتنى صورة لكن ما لمتنى حقيقة وابتلاك الله بمثل ما ابتليت به ثم كأن سائلا قال كيف كان حالك فاجاب بقوله لاسرى الى آخره فتكون جملة لاسرى بمستتر استينافية معانية ولا مشبهة بليس وسرى مضاف الى ياء المتكلم وهو الامر الخفى و هو بالرفع محلا اسم لا فان قلت ان اسم لا المشبهة بليس لايكون معرفة فكيف يكون قوله سرى اسم لا مع كونه معرفة لكونه مضافا الى المعرفة قلت هذا مبنى على مذهب الاخفش فانه و ان لم يجوزه الجمهور لكن الاخفش جوزه والباء فى بمستتر زائدة وهو خبر لا وعن متعلق بمستتر والوشاة جمع واش كالنحاة و الغزاة والواشى بمعنى النمام والمنافق الذى يسعى بالفساد بين العاشق و المعشوق ليفرق بينهما قال الشاعر

﴿ لئن كنت قد بلغت عنى جناية ❊ لمبلغك الواشى اغش واكذب ﴾

وقال آخر

﴿ وقالوا الوشاة قد ادعى بك نسبة ❊ احزنت لما قلت قد صدقته ❊

وقوله ولادائى عطف على لاسرى واعادة حرف النفى للتأكيد والداء المرض مضاف الى ياء المتكلم والمنحسم اسم فاعل من الانحسام بمعنى الانقطاع اى ولامرضى بمنقطع بالوصول الى المحبوب و يمكن ان يرتب فيه قياس تقريره هكذا دائى ليس بمنحسم لان دائى لوكان منحسما لوجدله الاطباء ولووجدله الاطباء لوجد وصلة الاحباء ينتج انه لوكان دائى منحسما لوجدله وصلة الاحباب لكن التالى باطل والمقدم مثله فثبت نقيضه اعنى ان دائى ليس بمنحسم فحاصل معنى البيت بالاتمى انى رجوت الاعتذار منك كثيرا فاقبلت وماتركت الملامة فانا ارجوالله تعالى ان يبتليك مثل ابتلائى فكأن السائل سأل عن ابتلائه بانه كيف الحال فى ابتلائك فقال كنت ملابسا بحال لم يكن سرى بمستتر عن الغمازين بين المحب والمحبوب لانه سلب عنى الاختيار وكان سرى مكشوفا بالاضطرار اذورد عن الكمل والكبار العشق هتك الاستار وكشف الاسرار وكان ايضا مرضى اعنى العشق للنبى المختار غير منقطع عنى فى كل ليل ونهار ولا ينفعنى البعد عنه والفرار الا الوصلة الى جنابه الذى كلمه الاحجار والاشجار والى جماله الذى طلعت منه الانوار

﴿ محضتنى النصح لكن لست اسمعه ❊ ان المحب عن العذال فى صمم ﴾

ولما فهم الناظم ان لوم اللائم وان كان لومه له صورة لانه حمل عشقه على المجازى وقال ان عشقك لفلان ابن فلان لاللنبى ولاللرحمن لكنه فى الحقيقة نصح له بان العشق المجازى ليس كما ينبغى لانه تضييع الاوقات فيما لايعنى و بذل النفس فيما لايسمن ولايغنى فقال هضما لنفسه وانكارا لحبه الحقيقى احترازا عن العجب الذى هو اعظم الذنوب وافخمها ولذا قال عليه الصلاة والسلام (الولم تذنبوا لخشيت عليكم ماهو اعظم من ذلك العجب العجب) قوله محضتنى النصح الخ وهو بصيغة الخطاب خطاب لمن يلومه فى العشق المجازى وهو من التمحيص والتمخيص كالامحاض جعل الشئ محضا اى خالصا وصافيا عما لاينبغى والنصح منصوب على انه مفعول ثان له اى جعلت لى النصيحة محضا خالصا بحيث لايشوبها غرض من الاغراض الفاسدة والآراء الكاسدة والنصح من النصيحة وهو ارادة الخير للغير وكلمة لكن للاستدراك وهو دفع توهم نشأ من الكلام السابق لانه

لما فان محضتني النصح تواد منه توهم بانك هل نصحتني بنصح ودي
فقال لكن لست اسمعه الخ انتهى ولا يخلو ان يكون في الناظم الفاهم عشق مجازي حتى يتركه بنصح ناصح لان عشقه حقيقي لا مه النبي عليه الصلاة والسلام وقوله لست اسمعه بمعنى لم التفت اليه بطريق المجاز اللغوي بان يشبه الالتفات بالاسماع في توجه القلب فذكر الاسماع واريد الالتفات ثم شتق من الالتفات التفت ومن الاسماع اسمع فشبه التفت بالعلاقة التي في مصدرهما باسمع فذكر اسمع واريد التفت وقوله ان المحب الخ علة لعدم السماع فالتقدير لان المحب فحذف الجار لكونه قياسيا كقوله تعالى (عبس وتولى ان جاءه الاعمى) والالف واللام في المحب للاستغراق اي كل محب فان قلت الالف واللام الداخلة على اسم الفاعل والمفعول بمعنى الذي فكيف يكون اللام ههنا للاستغراق قلت الالف واللام الداخلة عليهما ليست بمعنى الذي مطلقا بل انما تكون بمعناه اذا كان الفاعل والمفعول بمعنى الحدوث نحو الضارب والمضروب بمعنى الذي ضرب واما اذا كان بمعنى الثبوت كالواجب والمؤمن وغيرهما فلا يكون كذلك بل يكون حكمه حكم الصفة المشبهة والالف واللام فيه للتعريف وما وقع ههنا من هذا القبيل فاحفظ هذا والمحب منصوب على انه اسم ان فان قلت ما النكتة في نصب ان اسمه ورفعه خبره ولم لم يجعل الامر بالعكس قلت تفصيله انها لما صار عاملا فلا يخلو اما ان يرفع المبتدأ والخبر معا او ينصبهما معا او يرفع المبتدأ وينصب الخبر او ينصب المبتدأ ويرفع الخبر والاول باطل لان الخبر والمبتدأ كانا قبل دخول ان عليهما مرفوعين فلو بقيا كذلك بعد دخول ان عليهما لما ظهر لها اثر ولانه اخذ العمل من المشابهة بالفعل والفعل لا يرفع الاسمين وكذلك ما يشابهه لان الفرع لا يكون اقوى من الاصل والثاني ايضا باطل لانه اخذه من الفعل وهو لا ينصب شيئين مع خلوه عن مارفعه والثالث ايضا باطل لانه لو رفع المبتدأ ونصب الخبر لكان بين الاصل والفرع تساو وهو باطل ولما بطلت الاقسام الثلاثة تعين القسم الرابع وكذا الكلام في اخوات ان وان مع اسمه وخبره جملة والجملة استينافية كأن قائلا قال لم لم تسمع النصيحة فاجاب بقوله ان المحب الخ وعن في عن العذال متعلق بالصم المؤخر فان قلت ان تقديم ما في حيز حرف الجر عليه ممتنع فكيف يصح تقديم معمول ما في حيز حرف الجر لان المعمول لا يقع الاحيث يصح وقوع العامل فيه قلت تقديمه هنا للاتساع في الظروف لان الظروف

يغتفر فيها ما لا يغتفر في غيرها او لضرورة الشعر كما قال الشاعر في بيان ضرورة الشعر

﴿ وقد جاء في التركيب بعض تصرف ﴿ كفصل وتقديم ومثل زيادة ﴾

والعذال جمع عاذل بمعنى اللائم ويجوز ان يكون العذال هنا بمعنى المتكلم مطلقا لانما كان او ناصحا من قبيل ذكر الخاص وارادة العام كما يشير اليه التعميم في الحديث وفي صمم اي في وقر عن سماع كلامهم وهو ظرف مستقر خبر ان والصمم بفتحتين ضد السمع والظرفية مجازية واستعارة تبعية بان يشبه شمول العموم المطلق بشمول الظرفية المطلقة في الاحاطة المطلقة فاستعير شمول الظرفية المطلقة لمفهوم شمول العموم المطلق فذكر شمول الظرفية المطلقة واريد شمول العموم المطلق وبتبعية هذه الاستعارة شبه شمول العموم الجزئي بشمول الظرفية الجزئية في الاحاطة الجزئية ثم استعير الكلمة الموضوعة لشمول الظرفية الجزئية اعني في لمفهوم شمول العموم الجزئي ثم ذكر كلمة في الموضوعة لشمول الظرفية الجزئية واريد شمول العموم الجزئي وبنكتة لمجاز المبالغة ويمكن ان تكون الاستعارة مكنية في مدخول في اعني صمم بان شبه الصمم بالكوز في الاشتمال واثبت له ما هو من خواص المشبه به اعني الاداة الدالة على الحلول الحقيقي وفي هذا البيت تلميح الى قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه البخاري (حبك الشيء يعمي ويصم) فاعلم انه يمكن ان يكون في هذا البيت قياس اقتراني ترتيبه هكذا اني لم اسمع نصحك لاني محب والمحب في صمم عن العذال ينتج اني في صمم عن العذال وكل من في صمم عن العذال لا يسمع نصحك ينتج اني لم اسمع نصحك وصغرى القياس الاول مسلمة عند الخصم ودليل كبراه الحديث السابق وتقريره بان يقال كل محب في صمم عن العذال لانه لما قال صلى الله عليه وسلم (حبك الشيء يعمي ويصم) كان هذا الحديث خاص اللفظ عام المعنى كان كل محب في صمم عن العذال لكن المقدم حق والتالي مثله وخاصية هذا البيت انك اذا كنت تخاف من شر احد او مكره فاكتب هذا البيت في كاغد ويكون الكاغد دائرة واجعلها على مقدم رأسك تحت العمامة فانك تكون باذن الله تعالى محفوظا من شره ومكره

﴿ إِنِّي اتَّهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي عَذَلٍ ﴿ وَالشَّيْبُ أَبْعَدُ فِي نُصْحٍ عَنِ التُّهَمِ ﴾

وللمورد المنع على دليل عدم سمعه نصيحة الناصح بانه لانسلم ان عدم قبولك واستماعك النصح من كونك محبا لم لايجوز ان يكون من حملك نصيحة الناصح على الحسد والطمع اثبت دعواه السابقة بقوله انى اتهمت الى آخره فتقدير انى لانى حذف الجار لكونه قياسيا فهو فى الحقيقة علة واتهمت نفس متكلم من باب الافتعال بمعنى حملت على التهمة يقال اتهمت فلانا بكذا اى نسبته الى شئ يورث العار والتهمة اسم منه وتاؤه بدل من الواو اذ اصله وهمة كما فى تخمة ونصيح الشيب منصوب على انه مفعول لاتهمت والنصيح فعيل بمعنى الفاعل اى الناصح مضاف الى الشيب والاضافة امامن قبيل اضافة الصفة الى موصوفها اى حملت الشيب الناصح على التهمة وامامن قبيل اضافة المشبه الى المشبه به اى الناصح كالشيب فى الاخبار عن قرب الموت او النصيح مصدر فاضافته الى الشيب من اضافة المصدر الى فاعله ويحتمل ان تكون الاضافة بيانية والشيب كون الشعر بياضا وقيل هو الشعر الابيض والمراد بنصيحة الشيب كون الشيب قائلا بلسان الحال قد قرب الارتحال وحان الزوال فهذا اوان التوبة من سيئ الاحوال كما قال الشاعر الفارسى

❊ موى سپيد ازكفن آرد پيام ❊ پشت خم ازمرك رساند سلام ❊

وورد فى الخبر ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما كان خليفة نبه اعرابيا ان ينادى فى كل صباح وراء داره يا عمر لاتنس موتك واعمل فى الدنيا بقدر مقامك فيها فلما وجد عمر رضى الله تعالى عنه فى لحيته بياضا قال للاعرابى اترك النداء لان مخبرى ومذكرى حصل فى نصب عينى فلم يبق لندائك حاجة وقوله فى عذلى متعلق باتهمت والعذل بسكون الذال المعجمة بمعنى اللوم حرك الذال لضرورة الشعر وللخفة وقال المحقق العصام هو بالتحريك على الاصل واضافته الى ياء المتكلم من اضافة المصدر الى مفعوله اى فى لومه اياى والمعنى انى حملت على التهمة النصيح الذى كالشيب اوناصح شيب اى شيخ فى لومه اياى لان الناصح يلوم ويعاتب لمن يلقى اليه النصح وقرئ ايضا فى عدلى بالدال المهملة فيكون مصدرا بمعنى العدول وعلى هذا يتعلق فى بنصيح واضافته اضافة المصدر الى الفاعل اى نصيح الشيب فى حق عدولى عن الاحوال السيئة وهذه القراءة احسن من جهة انه على هذا تكون اضافته الى الياء من اضافة المصدر الى فاعله فهو اصل

فى المصدر والواو فى والشيب حالية والشيب مبتدأ وابعد خبره وهو اسم تفضيل يلزم فى استعماله ولو تقديرا احد الشروط الثلاثة اعنى الاستعمال باللام او بمن او بالاضافة وهنا استعمل بمن المقدرة لان المعنى ان الشيب ابعد من كل شئ ناصح وفى نصح متعلق بابعد وتنوينه عوض عن المضاف اليه اى فى نصحه وعن التهم متعلق بابعد وفى بعض الرواية من التهم فان قيل فعلى هذا يلزم تعلق الجارين بمعنى واحد بمتعلق واحد مع انه غير جائز قلت فعلى هذا تكون من المذكورة متعلقة بمادة البعد لا بصيغة افعل التفضيل كما فى قولهم الانسان اعم من زيد كذا فان قولهم من زيد متعلق بمادة العموم لا بالصيغة والا لزم استعمال افعل التفضيل بمجموع الامرين اعنى اللام وكلمة من وهو باطل كما تقرر فى النحو كذا قاله كلنبوى فى حاشية التهذيب ثم اعلم انه لما كان هذا البيت علة لما قبله امكن ان يرتب ههنا قياس بان يقال انى لم اسمع لومك ونصحك لانى اتهمت نصيح الشيب فى عذلى مع ان الشيب ابعد فى نصح عن التهم وكل من شانه كذا فلا يسمع نصحك ولومك ينتج انى لم اسمع لومك ونصحك ويمكن ان يرتب بترتيب آخر احسن من الاول بان يقال انى اتهمت نصيح الشيب فى عذلى والشيب ابعد فى نصح عن التهم ينتج من غير متعارف الشكل انى اتهمت النصيح الابعد فى نصح عن التهم فنضم اليه الكبرى لينتج الدعوى بان يقال وكل من اتهم النصيح الابعد فى نصح عن التهم لايسمع لومك ونصحك ينتج من المتعارف انى لم اسمع لومك ونصحك

❊ فَاِنَّ اَمَّارَتِى بِالسُّوءِ مَا اتَّعَظَتْ ۞ مِنْ جَهْلِهَا بِنَذِيرِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ ❊

لما فرغ من الكلام السابق الذى فى العشق والهوى انتقل الى الكلام الذى فى داء النفس ودوائها بانتقال حسن اذ جعل قوله فان امارتى الى آخره علة لما سبق اى لقوله انى اتهمت الى آخره وبين العلة والمعلول مناسبة تامة كما لايخفى فالفاء فى فان للتعليل ويمكن ان يرتب ههنا قياس من الشكل الاول بان يقال انى اتهمت نصيح الشيب فى عذلى لان نفسى الامارة بالسوء ما اتعظت من جهلها بنذير الشيب والهرم وكل من شانه كذا يتهم نصيح الشيب فى عذلى ينتج انى اتهمت نصيح الشيب فى عذلى والامارة مبالغة اسم الفاعل بمعنى الآمر بالسوء مبالغة واضافته الى ياء المتكلم للعهد

اى امارتى المعهودة وهى النفس و يجوز ان يكون من حذف الموصوف وذكر الصفة وارادته منها فان الآمر بالسوء مبالغة صفة النفس بقرينة تخصيصه تعالى بالنفس فى قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام (ان النفس لامارة بالسوء) فيكون فى هذا البيت صنعة تلميح الى هذه الآية وقوله بالسوء صلة لامارة والسوء بالضمة اسم بمعنى الفتنة والعذاب والبلاء ▪ بالفتح مصدر يقال رجل سوء على طريق التوصيف بالمصدر للمبالغة مثل قولهم رجل عدل وقوله ما اتعظت ما نافية واتعظت من الاتعاظ بمعنى قبول الوعظ وجملته خبران ومن جهلها متعلق بالنفى ومن اما على معناه الاصلى اى عدم قبولها الوعظ ناشئ من جهلها او بمعنى لام التعليل فعلى هذا يمكن ترتيب قياس هكذا نفسى الامارة بالسوء ما اتعظت لان نفسى الامارة بالسوء جاهلة بنذير الشيب والهرم وكل نفس شانها كذا فلا تتعظ ينتج نفسى الامارة بالسوء ما اتعظت وقوله بنذير يجوز ان يكون متعلقا باتعظت وان يتعلق بجهلها فيكون من قبيل تنزيل العالم منزلة الجاهل لعدم جريه على موجب العلم والنذير اما بمعنى الانذار كالنكير بمعنى الانكار او بمعنى المنذر كالبديع بمعنى المبدع فعلى الاول تكون اضافته من اضافة المصدر الى فاعله وعلى الثانى يكون من قبيل الاضافة البيانية ▪ يجوز ان تكون اضافته من قبيل اضافة الصفة الى موصوفها وان اعتبرت المشابهة بين الشيب والنذير يكون من قبيل لجين الماء والهرم عطف على الشيب وهو بفتحتين او بكسر الراء تناهى الشيب وقال الجادمى والمراد لازمه اعنى انحراف القامة ثم اعلم ان هذا المقام يقتضى بسطا من الكلام حتى يفهم المرام فنقول اولا اختلفوا فى ان النفس ماهى ذهب بعض المتكلمين الى انها الجسد والهيكل المحسوس وبعضهم ذهبوا الى انها الاجسام الاصلية باقية من اول العمر الى آخره وقال ابن الراوندى انها اجزاء لا تتجزء عن القلب والنظام ذهب الى انها جسم لطيف نورانى يسرى فى البدن كسريان النار فى الفحم وبعض الاطباء ذهب الى انها هى القوة المودعة فى الجانب الايسر من القلب وتسمى الروح الحيوانى وعند بعض آخر منهم هى القوة المودعة فى الدماغ وتسمى بالنفس الانسانية وعند الحكماء جوهر مجرد يتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف والمراد هنا النفس الانسانية وهى

التى خاطبها الله تعالى وجعلها موضع الامر والنهى وهى معدن الاخلاق الذميمة مودعة فى جميع جسد الانسان وهى مجبولة على ضد الروح التى فى اعلى عليين فانها تأمر بالخير و تنهى عن الشر فتلك النفس تابعة للارواح التى فى اسفل السافلين كالشياطين الذين لا يأمرون الا بالشر ولا ينهون الا عن الخير واما منشأ خلق النفس فان الله تعالى لما نفخ الروح المخلوق بامره جسد آدم عليه الصلاة والسلام خلق من ازدواج الروح مع الجسد ولدين ولدا ذكرا وهو القلب اللطيف الشبيه بوالده الذى هو الروح العلوى فيأمر بالخير و ينهى عن الشر وكان ذلك منظر ربنا ذى الغفران وبين اصبعى الرحمن و ولدا انثى وهى النفس الكثيفة الشبيهة بوالدتها التى هى الجسد السفلى فتأمر بالشر و تنهى عن الخير وجعل موضعها جميع الجسد ثم ان المتصوفين قالوا للنفس سبع مراتب الاول النفس الامارة وهى التى تميل الى الطبيعة البدنية و تأمر باللذات و الشهوات الحسية وتجذب القلب الى الجهة السفلية فهى مأوى الشرور ومنبع الاخلاق الذميمة لانها مبدأ الكبر والحرص والشهوة و الحسد و الغضب و البخل والحقد والثانية النفس اللوامة وهى التى تنورت بنور القلب فتطيع العاقلة تارة وتعصى اخرى ثم تندم فتلوم نفسها وهى منبع الندامة لانها مبدأ الهوس والعشرة والحرص والثالثة النفس المطمئنة وهى التى تنورت بنور القلب حتى تخلت عن صفاتها الذميمة وتخلقت بالاخلاق الحميدة والرابعة النفس الملهمة وهى التى الهمها الله العلم والتواضع والقناعة والسخاوة فلذا كان منبع الصبر و التحمل والشكر والخامسة وهى النفس الراضية وهى التى رضى الله تعالى عنها ويظهر فيها اثر رضاه تعالى وهو الكرامة والاخلاص والذكر والسادسة النفس المرضية هى التى رضيت عن الله تعالى كما قال الله تعالى (ورضوا عنه) ▪ يترك فيها الكرامات ويعرف فيها الله تعالى حق معرفته و السابعة التى النفس الصالحة وهى التى مقام الاسرار بين الله تعالى و بينها ثم ان الاولى نفس الكافرين والشياطين والفاسقين والثانية نفس الغير الفاسقين من المؤمنين والثالثة نفس المتعلمين العالمين والرابعة نفس المعلمين العاملين والخامسة نفس اولياء الكرام والسادسة نفس العارفين والسابعة نفس الانبياء والمرسلين ونفس الناظم القائم من قبيل الخامسة لانه ولى كامل ذو الكرامة والفخامة وعد نفسه من نفس الفاسقين لهضم نفسه كما قال يوسف عليه السلام هضما لنفسه (وما ابرئ

نفسى ان النفس لامارة بالسوء) ولان فيه سلوكا الى طريق المصنف كما فى قوله تعالى (ومالى لا اعبد الذى فطرنى واليه ترجعون) لكون هذه الطريقة عجيبة الشان فى البلاغة لانه يكون اكثر ايقاظا لاصغاء السامعين واقوى ذريعة لقبولهم من حيث انه لا يخاطب بما يجيء سماعهم وينفر منه طباعهما اللهم اجعلنا ممن نفوسهم راضية وقلوبهم وجلة وارحمنا حين

وصلت الروح الى الحلقوم وصعدوا بها الى الحي القيوم

﴿ وَلَا اَعدتُ مِنَ الفِعلِ الجَمِيلِ قِرَى ▪ ضَيفٍ أَلَمَّ بِرَأسِي غَيرَ مُحتَشِمِ ﴾

لما بين ان النفس الامارة بالسوء لم تجتنب عن شئ من القبائح ولم تنته بالنهى عنها اراد ان يبين كونها غير مؤتمرة بالامر بالافعال الجميلة والاخلاق الحميدة فقال ولا اعدت من الفعل الخ فعلى هذا تكون هذه الجملة معطوفة على جملة اتعظت على ان يكون الاتعاظ عبارة عن الاجتناب عن القبائح والاعداد عبارة عن الاتيان بالافعال الجيدة فيكون البيت الاول اشارة الى ان نفسه لم تنته بنهى العاقلة والبيت الثانى الى انها لم تأتمر بامرها ويحتمل ان يكون من قبيل عطف الخاص على العام على ان يكون الاتعاظ عبارة عن الاجتناب عن القبائح والاتيان بالمحاسن ويكون الاعداد عبارة عن الاتيان بالمحاسن فيكون اخص من الاتعاظ ثم ان تكرير لا للتأكيد واعدت من الاعداد وهو التهيؤ كما فى قوله تعالى (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين) اى احضرت وهيئت وقوله من الفعل متعلق باعدت ويجوز ان يكون من الفعل الجميل بيانا لقرى ضيف قدم عليه للوزن والفعل الجميل ما يستحسن شرعا لاما يستحسن مطلقا لان بعض الافعال يستحسنه الطبع مع انه فى الشرع مذموم وفى الفعل الجميل استعارة مكنية تعبيرها هكذا شبه الفعل الجميل فى الذهن بالقرى فى تحصيل اللذة والسرور وادعى ان الفعل الجميل من جنس القرى ثم استعير القرى فى الذهن لمفهوم الفعل الجميل ثم ذكر القرى فى الذهن واريد منه الفعل الجميل وفى الخارج ذكر الفعل الجميل واريد نفسه واثبات الاعداد للفعل الجميل يكون تخييلية وقرى بكسر القاف والقصر مصدر قولهم قريت الضيف اذا احسنت اليه باطعام فالقرى يجئ فى اللغة الى معنيين احدهما المعنى المصدرى وهو الاطعام وثانيهما الحاصل بالمصدر وهو الطعام والمراد به

ههنا التوبة والاعمال الصالحة واضافته الى الضيف لامية والمراد بالضيف الشيب مجازا واستعارة تعبيرها هكذا شبه الشيب بالضيف فى المجيئة فجأة من غير خبر ولا مقدمة ولا رائد فاستعير الضيف للشيب فذكر الضيف واريد منه الشيب فيكون قوله الم قرينة لهذه الاستعارة وقرى ترشيحا لها ويكون المراد بالقرى الفعل الجميل مجازا واستعارة تعبيرها هكذا شبه الفعل الجميل والعمل الصالح بالقرى فى ايراث المنفعة لصاحبه فاستعير القرى للفعل الجميل فذكر القرى واريد الفعل الجميل والعمل الصالح لا يقال لا تجوز الاستعارة فى هذا المقام لانه قد ذكر فيه المشبه والمشبه به معا وكل مقام ذكر فيه المشبه والمشبه به معا فلا تجوز الاستعارة فيه لانا نقول ان اردتم من ذكر المشبه والمشبه به معا ذكرهما على وجه ينبئ عن التشبيه فلا نسلم الصغرى كيف وفى هذا المقام لم يكن ما ينبئ عن التشبيه وان اردتم ذكرهما مطلقا فلا نسلم الكبرى كيف وان البيانيين صرحوا بان ذكرهما انما يضر الاستعارة لو كان على وجه ينبئ عن التشبيه والا فلا كما فى قوله

✽ لا تعجبوا من بلى غلالته ✽ قد زر ازراره على القمر ✽

ثم ان قوله ألم ماض من الالمام بمعنى النزول كما فى قوله

✽ المت فحيت ثم قامت فودعت ✽ فلما تولت كادت الروح تزهق ✽

وجملة الم بجرور محلا صفة ضيف وقوله برأسى متعلق به فان قيل لم خصص الرأس من بين الاعضاء قلنا لانه اول ما يظهر فيه الشعر البياض وقوله غير محتشم بالنصب حال من المضاف اليه اعنى الضيف لان المضاف مصدر لان بعض المحققين صرحوا بان الحال من المضاف اليه انما يجوز اذا كان المضاف مصدرا او يكون جزأ من المضاف اليه او بمنزلة جزئه ومنهم ابن مالك فى الفيته

✽ ولا تجز حالا من المضاف له ✽ الا اذا اقتضى المضاف عمله ✽

✽ او كان جزء ماله اضيفا ✽ او مثل جزئه فلا تحيفا ✽

وما قيل انه من قبيل قوله تعالى (ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا) لا يستقيم لانه مشروط بكون العامل فى الحال عاملا فى المضاف لما بين المضاف والمضاف اليه من الاتحاد وههنا لا يجوز ان يكون اعدت عاملا فى غير محتشم كما لا يخفى ويجوز ان يكون حالا من فاعل الم ويمكن ان يكون حالا من ياء المتكلم فى الرأس وهو المناسب لو قرئ محتشم عن صيغة اسم الفاعل ويمكن

ان يكون غير بالجر على انه صفة للضيف لكن فيه ما فيه فقوله محتشم اما على صيغة الفاعل من الاحتشام بمعنى الاحترام وهو المناسب للاول واما على صيغة اسم المفعول من الاحتشام بمعنى التوقير اى غير موقر او من الاحتشام بمعنى الحشامة والعسكر اى غير مقارن بالعسكر بل جاء وحدانا وهو مناسب لكونه حالا من الضيف او من فاعل ألم فان قيل لو كان محتشم على صيغة المفعول اورد عليه ان باب الافتعال لايأتى منه صيغة اسم المفعول قلنا وان لم يأت اسم المفعول منه مستقلا لكنه اتى مقارنا بحرف الجر وهنا مقدر اى غير محتشم فيه (فخذ ما آتيتك وكن من الشاكر)

﴿ لو كنتُ اعلمُ انى ما أُوقره ❊ كتمتُ سرًّا بدالى منه بالكتمِ ﴾

فكأنه لما لم تتعظ نفس الناظم الفاهم بنصح الشيب اى نصيحة الناصح الكامل ولا اعدت الضيافة من الفعل الجميل مثل الطاعة والتوبة لضيفه الشيب حال كون ذلك الضيف غير موقر ومحترم فى نفسه ندمت من هذه الافعال السيئة واظهرت ندامتها قال لو كنت الخ اعلم ان لو لامتناع الثانى لامتناع الاول فالتقدير لكن لم اعلم فلم اكتم سرا بدا لى الخ وكنت مع خبره اعنى بجملة اعلم فعل شرط للو وما فى ما اوقره نافية واوقر على صيغة المتكلم من التوقير بمعنى التعظيم والتكريم والاحترام وضمير المفعول راجع الى الضيف المراد منه الشيب وكتمت جزاء الشرط والكتم الاخفاء كما فى قوله تعالى (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه) والمراد من السر هنا انذار الشيب بقرب الرحلة بلسان الحال وجملة بدا صفة للسر وبدا بمعنى ظهر كما فى قوله تعالى (ان تبدوا الصدقات فنعما هى) ومنه متعلق ببدا وضميره للشيب اى من طرفه والكتم نبت يختضب به كالحناء وفى هذا البيت من صنائع البديع رد العجز على الصدر وهو فى البيت ان يكون احد اللفظين فى آخر البيت والاخر فى صدر المصراع الاول او يكون احدهما فى آخر البيت والآخر فى صدر المصراع الثانى كقوله

وقد كان البيض القواضب فى الوغى ❊ بواتر فهى الآن من بعدها بتر❊

وحاصل معنى البيت لو كنت عالما بانى ما اعظم وما اكرم وما اوقر الضيف اعنى الشيب بالاطعام بالفعل الجميل لكنت كاتما وساترا اول وهلة للامر الذى ظهر لى من ذلك الضيف اعنى الشيب بالخضاب بالحناء لانه سنة

من نزل عليه الوحى فى جبل حراء فلا يعرف احد امرى ولا يظهر سرى ويرفع عنى الفضاحة ويقطع منى الهجو والشناعة وتلخيصه انى لو كنت عالما بانى لااكون عاملا فى حال الضعف والشيخوخة وزاهدا وتاركا للسيئات والشرور لكتمت شيبى بالخضاب بالحناء حتى لايهجونى الناس بانه كان شيخا ذا شيب وهو فى هذا السن لايكون عاملا وزاهدا بل يكون تاركا للاوامر والسنن لكن ما علمت عدم عملى فلا كتمت فقد هجونى هذا ما ظهر للخاطر الفاتر

﴿ مَنْ لى بردِّ جماحٍ من غوايتها ❊ كما يردُّ جماحُ الخيلِ باللُّجُمِ ﴾

فكأنه لما عجز عن سوء نفسه الامارة الغدارة المكارة ولم تقبل نصيحة الناصح الكامل فكأنه قيل له اصلح نفسك بارشاد المرشد الكامل لان المرشد له ارشاد كل من استغرق فى الهوى ولم يعلم النبى والمولى وبه يكون اكثر الفاسقين صالحا واوفر العاصين زاهدا بل كل رجل يلزم له ان ينيب الى مرشد كامل ولذا قال ابو يزيد البسطامى من لم يكن له شيخ فشيخه شيطان وقال غيره لو ان الرجل يوحى اليه ولم يكن له شيخ لايجئ منه شئ والى ما قلنا يشير قوله تعالى (وابتغوا اليه الوسيلة) فقال مجيبا لذلك القائل من لى الخ الاستفهام اما انكارى اى هل يوجد كفيل يتضمن لى رد اى لايوجد كفيل متضمن ذلك المذكور لان نفسى فى الضلالة والطغيان فلا هادى لها الا الله الملك المنان نعم قد ورد (ولكل قوم هاد) لكن وجود مثل هذ الشخص انما هو بمحض عناية الله تعالى وتوفيقه كيف وقد آل الامر فى هذا الزمان الى ان من لم يكن مريدا قط يدعى الشيخوخة ويجيز بها لانتشار ذكره وشهرته وكثرة مريديه وقد جعلوا هذا الشان العظيم لعبة الصبيان وضحكة الشيطان حيث يتوارثونه واذا مات واحد منهم يجلسون ابنه مقامه صغيرا كان او كبيرا ويلبسونه الخرقة ويتبركون به وينزلونه منازل الشيوخ فهذه مصيبة قد عمت ولعل هذه الطريقة قد انمحت واندرست آثارها والله اعلم باخبارها ويجوز ان يكون الاستفهام للتمنى والاستعطاف والاستغاثة بكل احد ثم ان قوله لى وبرد ظرفان متعلقان بالمقدر اعنى يتضمن او يتكفل والرد الصرف والمنع مصدر مضاف الى مفعوله والجماح جمع جموح وهو من الخيل السمين الشديد الذى لاينضبط لشدة رأسه وعلى هذا فيه تشبيه

واستعارة حيث شبه النفس بالخيل فى صعوبة ضبطها وشدة امساكها واهلاك صاحبها ثم استعير الخيل للنفس ثم ذكر مايدل على المشبه به واريد المشبه وهذه الاستعارة مأخوذة من لسان الشرع كما جاء فى الحديث الشريف (نفسك مطيتك فارفق بها) وكما قال الامام الغزالى انت باعتبار غضبك كلب وباعتبار شهوتك بهيمة كالفرس وباعتبار عقلك ملك وانت مأمور بالعدل بينهم والقيام بحقوقهم والاعانة لهم لتقبض بمعونتهم شرف الدارين وسعادتهما فان روضت الفرس وادبت الكلب وسخرتهما للملك يتيسر لك لظفر بما طلبت والافانت هلكت ويجوز ان يكون الجماح مصدرا بمعنى الشدة فحينئذ يكون التنوين فيه عوضا عن المضاف اليه اى جماح نفسى فيكون على حقيقته فتدبر ومن غوايتها متعلق برد وقيل صفة جماح اى جماح ناش من غوايتها والغواية الضلالة والضمير للنفس وحذف فى هذا المصراع آلة رد النفس عن الضلالة ولم يذكر كما فى المصراع الثانى لضرورة الشعر وهى وعظ المرشد ونفسه وهمته وقوله كما رد صفة مصدر محذوف اى ردا مثل رد جماح فما مصدرية وانما اتى بهذا التمثيل تسلية لقلبه لانه استصعب وجود ردها عن المعاصى فرده بانه يوجد لازله نظيرا والجماح الثانى بكسر الجيم مصدر جمح جموحا بمعنى الشدة والغلظة وعلى هذا يكون الرد بمعنى الازالة ويجوز ان يكون جمعا فتكون اضافته بيانية او من قبيل اضافة الموصوف الى صفته اى الخيل الجماح فافهم وباللجم متعلق برد وهى جمع لجام ككتب وكتاب واللجام معرب لكام الفارسى وقال قوم انه عربى لاتعريب فيه كذا ذكره الجوالقى فى كتابه المعرب وهو الذى يضرب بفم الفرس ليكون صاحبه قادرا به ليتوجه نحو المطلوب وفى هذا البيت من صنايع البديع جناس بين من ومن وبين رد ورد وبين الجماح والجماح وتناسب بين الخيل واللجم وحاصل معنى البيت ظاهر مما ذكرنا ظهور الاحاجة الى اعادته

فَلَا تَرُمْ بِالمَعَاصِي كَسْرَ شَهْوَتِهَا ❊ اِنَّ الطَّعَامَ يُقَوِّي شَهْوَةَ النَّهِمِ

فلما عد فى الابيات السابقة انغماس النفس فى اودية المعاصى والذنوب وعدم قبول وعظ الناصح بالانذار بقرب الوقت كالغروب وعجز عن اصلاحها بعد الندامة واسترشد بالمرشد الكامل ولم يجد ذلك المرشد فكانه

قيل ان مرشد نفسك حاضر عندك فلا حاجة الى الطلب وتبعيد وجوده وهو استيفاؤها بالمعاصى لان النفس اذا استوفت وشبعت من شئ بكمال الشبع تسأم منه فلا ترغب اليه بعده ابدا فانت اذا استوفيتها بالمعاصى كلها كسرت شهوتها ولا تميل اليها بعده ابدا فال رد الذلك القائل فلا ترم بالمعاصى آه بتغيير الاسلوب من التكلم الى الخطاب وهو التفات عند جمهور اولى الالباب ونكتته الشروع فى رد جماح النفس وبيان كيفيته ولا ترم نهى حاضر من رام بمعنى طلب وصيغة النهى دالة على كون المنهى عنه قبيحا كما ان الامر بالشئ يدل على حسنه والفاء فيه جزائية اى اذا اكرمت النفس واشبعتها بضيافة الذنوب فلا ترم آه والباء فى بالمعاصى للاستعانة كما فى كتبت بالقلم والمعاصى جمع معصية وهى الذنب صغيرا كان او كبيرا وكسر بالنصب مفعول لا فلا ترم والكسر بمعنى القطع والانكسار اى فلا تطلب انقطاع اشتهاء النفس بالمعاصى وانكسارها وفى قوله بالمعاصى استعارة مكنية تعبيرها هكذا شبه المعاصى للنفس بالطعام للسان فى كونهما مشتهيات وملذات وذكر المشبه كما فى قوله انشبت المنية اظفارها وقوله ان الطعام علة لما قبله حذف حرف التعليل اى لان لكون حذف حرف الجر من ان وان قياسيا وفى هذا المقام قياس اقترانى تقريره هكذا المعاصى لاتطلب بها كسر شهوة النفس لان المعاصى بمنزلة الطعام والطعام يقوى شهوة النهم ينتج المعاصى بمنزلة ما يقوى شهوة النهم ونضم اليه كبرى ينتج عين الدعوى فنقول وكل ما هى بمنزلة ما يقوى شهوة النهم لاتطلب بها كسرة الشهوة ينتج المعاصى لاتطلب بها كسر الشهوة ويمكن ترتيبه من الاستثنائى وهو سهل فلا حاجة الى ذكره وقوله يقوى من التقوية خبر ان والشهوة بالنصب مفعوله والنهم بفتح النون وكسر الهاء صفة مشبهة على وزن حذر اى الحريص على كثرة الاكل والشرب ومن جعله مصدرا وقع فى تكلف وعلى كلا التقديرين فيه استعارة حيث شبه النفس بالنهم اى الاكل كثيرا فى عدم الشبع لان النهم كما لايشبع من كثرة الاكل كذلك النفس لاتشبع من كثرة المعاصى بل تتألف بها وتنهمك فيها ثم استعير النهم للنفس فذكر النهم واريد النفس فعلى هذا يكون الطعام ايضا مجازا واستعارة عن المعاصى كما سبق استعارة عكسه فتذكر وحاصل المعنى يامن زين نفسه بحب الشهوات الى النساء والبنين وكان حاله من العشق فى البكاء والانين لاتطلب كسر شهوة النفس وقطعها بالمعاصى والذنوب اذ من المقر

والشهير بين الصغير والكبير ان المعاصي تقوي شهوة النفس والنفس لا تسأم ولا تشبع منها اللهم لا تكلنا الى انفسنا في زمان يسير ولا تجعل مصيرنا الى السعير واجعل امورنا موافقة لمرضاتك انك كاشف كل عسير ومعين كل اسير وعنايتك لعبادك كثير و يسير

﴿ والنفس كالطفل ان تهمله شب على ＊ حب الرضاع وان تفطمه ينفطم ﴾

لما فهم من الابيات السابقة ان النفس في يد صاحبها اتى به تصريحا مع تشبيه المعقول اعني النفس بالمحسوس اعني الطفل فقال والنفس كالطفل الخ الواو اما عاطفة واما استينافية والنفس اظهرها في مقام الاضمار اهتماما بشانها لان النفس مطية الانسان كما ورد نفسك مطيتك فارفق بها واما لضرورة الشعر والالف واللام فيها للعهد او للاستغراق لكن الاول اولى اي النفس المعهودة الامارة وقوله كالطفل الكاف بمعنى المثل رفع محلا على الخبرية اي النفس الامارة كائنة مثل الطفل الطفل ولد يمضي عليه بعد ولادته زمان قليل والانسان في الرحم يسمى جنينا واذا ولد يسمى وليدا واذا مضى عليه زمان قليل يسمى طفلا و بعده يسمى صبيا و بعده مراهقا و بعده غلاما الى ان يبلغ تسع عشر سنة ثم منه شابا الى اربع وثلثين ثم منه كهلا الى احد وخمسين ثم منه شيخا الى آخر العمر وقيل الطفل من مضى عليه بعد ولادته حولان كاملان وفيه اقوال اخر لكن المناسب لهذا المقام المعتبر المذكوران وانما قال كالطفل ولم يقل كالصبي لان الصبي العاقل كالبالغ الكامل في كون ايمانه وردته وصومه وصلاته وغير ذلك معتبرا فاذا كان كذلك يكون فاعلا مختارا فلا يطيع امر غيره فلا يناسب التمثيل والمقام وقوله ان تهمله آثر ان الدالة على الشك دون اذا الدالة على القطع لكون مدخوله مشكوكا وتهمله مضارع من الاهمال على صيغة الخطاب وشب الصبي اذا بلغ اوان شبابه وعلى اما بمعنى الى متعلق بشب واما بمعناه متعلقا بمحذوف اي حريصا وملازما عليه واما بمعنى مع كما في قوله تعالى (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا) والحب معلوم والرضاع بالفتح والكسر شرب الولد لبن امه وفي كلام السلف كثرة الرضاع تفسد الطباع وان تفطمه عطف على ان تهمله وهو مضارع من الفطم على صيغة الخطاب اي ان فطمته عن الرضاع ينفطم وهو مضارع

من الانفعال على صيغة الغيبة وضميره راجع الى الطفل والمعنى الطفل يقبل الانقطاع بسهولة وحاصله انه لو لم يقطع الرجل والده عن ثدي امه اغاية محبته لطفله فرضع الطفل ثلاث سنين مثلا كما هو مذهب بعض الفقهاء ثم او ترك على حاله شب ذلك الطفل على حبه الى بلوغه ثم ثم الى شيخوخته حتى لو لم تعطه امه ثديها للطم امه لطما شديدا لان الله تعالى خلق في لبن ثدي الام لذة جميع الاطعمة فاذا لم تعطه اياه يلطم امه حتى يهلكها معاذ الله تعالى فالنفس كذلك حتى لو لم تقطع عن المعاصي شبت على المعاصي والفتها وتكون ملذة لها فتزداد كل يوم لذتها بازدياد المعاصي وتهلك صاحبها حتى تكون سببا لسلب الايمان معاذ الله تعالى فان قلت ان ما في هذا البيت من التشبيه ارد أ التشبيهات وارذلها لانهم قالوا اذا كان التشبيه على وجه ليس فيه شيء ينبئ عن التشبيه يكون استعارة وهي احسن التشبيه بلاغة وفصاحة واذا كان على وجه ذكر المشبه والمشبه به فقط يكون تشبيها بليغا فهو ادنى من الاستعارة واذا ذكر فيه المشبه والمشبه به واداة التشبيه ووجه الشبه يكون ارد أ وارذل من التشبيه البليغ فهو عند البلغاء كهدير حمام وصرير باب مخل بالفصاحة فما وقع ههنا من هذا القبيل لانه ذكر فيه المشبه وهو النفس والمشبه به وهو الطفل واداة التشبيه وهو الكاف ووجه الشبه وهو الشب على حب شيء على تقدير الاهمال وقبول الانفطام على تقدير الفطم والناظم الفاهم مع كونه افصح الفصحاء ذهب هنا الى هذا التشبيه فما وجهه قلت ذهابه الى هذا الطريق ليكون المقام اقرب الى فهم المرام لشدة حرصه على طريق الافهام كما لا يخفى على العلماء الكرام والفضلاء الفخام

﴿ فاصرف هواها وحاذر ان توليه ＊ ان الهوى ما تولى يصم او يصم ﴾

لما كانت النفس كالطفل في قبول التربية والانقطاع عما يحبه شرع الان في الامر بتربيتها فقال فاصرف الخ الفاء فصيحة اي اذا عرفت حال النفس الامارة بانك ان تركتها على حالها تأمر بالسوء والفحشاء وان ربيتها تقبل التربية كالطفل فاصرفها ولا تتركها على حالها اصرف امر من صرف يصرف بمعنى امنع وقيل بمعنى غير فعلى الاول مصدر هوى يهوى من باب علم بمعنى الميل والالتذاذ بالشهوات اذا لنفس اذا خليت وطبعها

تميل الى الشر لا الى الخير لانها امارة بالسوء وعلى الثانى المصدر بمعنى المفعول اى مهويها كما فى قوله

* هواى مع الركب اليمانين مصعد * جنيب وجثمانى بمكة موثق *

فالمعنى غير محبوب النفس السيئ الى المحبوب الحسن فى الشرع وتقدير الكلام اصرفها عن هواها او اصرف عن النفس هواها وحاذر امر بمعنى احذر وصيغة المفاعلة المبالغة وان توليه ان مصدرية وتوليه بالنصب مضارع من ولاه بالتضعيف اذا جعله واليا او بمعنى والتقلد والالتزام او بمعنى الغلبة وهى بصيغة الخطاب للمخاطب الذى جرده من نفسه فى المطلع وضمير المفعول فيه راجع الى الهوى لكونه مصدرا والمصدر يجوز فيه التأنيث والتذكير وقوله ان الهوى علة الامر بالحذر اى لان الهوى ففيه ترتيب قياس تقريره هكذا الهوى يلزمك الحذر من ان توليه لان الهوى ما تولى يصم او يصم وكل شئ شانه كذا فيلزمك الحذر من ان توليه ينتج الهوى يلزمك الحذر من ان توليه وما فى تولى شرطية زمانية بمعنى كلما او بمعنى ان الشرطية وتولى فعل ماض والضمير راجع الى الهوى اى كلما كان هوى نفسك واليا عليك او ان كان هوى النفس غالبا وواليا عليك يصم من اصمى يصمى يقال اصمى الصيد اذا قتله فى مكانه اى يهلك و يقتل حذف منه الياء علامة للجزم لانه مجزوم بما الشرطية وقوله او يصم كلمة او للعطف وهو يجئ لمعان كما قاله الاصوليون انه فى الاكثر يجئ للشك او للتشكيك وقد يجئ للاباحة والتخيير نحو جالس الفقهاء او المحدثين وقد يجئ بمعنى بل كقوله تعالى (فهى كالحجارة او اشد قسوة) وقد يجئ بمعنى حتى كقوله تعالى (ليس لك من الامر شئ او يتوب عليهم) وقد يجئ بمعنى الى نحو لالزمنك او تعطينى حقى وقد يجئ بمعنى الا ان اذا وقع بعدها مضارع منصوب ولم يكن قبلها مضارع كذلك كقول امرئ القيس

* فقلت له لا تبك عينك انما * تحاول ملكا او نموت فتعذرا *

وما وقع ههنا فهو بمعنى الشك كما لا يخفى وقوله يصم مضارع من وصمه اذا جعله ذا عيب حذف مفعولهما للضرورة اى يصمك ويجعلك ذا عيب فى الناس ثم ان بين الفعلين اعنى يصم ويصم جناسا تاما كما لا يخفى وحاصل معنى البيت ايها المخاطب اذا عرفت كون النفس قابلة الانفطام فاصرفها عن الهوى واستلذاذها بالآثام واحذر من ان يأمر الهوى على مملكة عقلك ولا تجعل عقلك مغلوبا بالهوى فانه سبب للبعد عن المولى فانه اذا استولى

تهلك فى الحال او يجعلك ذا عيب بالاضلال كما قال الله تعالى (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) الآية وفى آية اخرى (ومن اضل ممن اتبع هواه) وقال عليه الصلاة والسلام (ما عبد اله فى الارض ابغض على الله من الهوى) وفى حديث آخر طويل (واما المهلكات فثلاث شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه) حكى عن ابراهيم بن شيبان انه قال ما بت تحت سقف اربعين سنة وكنت اشتهى عدسا ولم يتفق فوقتا حمل الى عدس فتناولت فخرجت فرأيت قوارير فظننته خلا فقيل خمر وهذه الدنان ايضا خمر فصببتها والخمار يتوهم ان فعلى بامر السلطان فعند معرفة حالى حملنى الى ابن طولون فضربنى مائتى خشبة وطرحنى فى السجن فبعد مدة شفع لى ابو عبد الله المغربى فلما وقع بصره على قال اى شئ فعلت فقلت شبعة عدس ومائتى خشبة فقال نجوت مجانا وعن السرى ان نفسى تطالبنى ثلثين سنة او اربعين ان اغمس جزرة فى دبس فما اطعمتها وفى رسالة القشيرى عن ابى تراب النخشبى ما تمنت نفسى من الشهوات الامرة تمنيت خبزا وبيضا وانا فى سفر فعدلت الى قرية فاخذنى اهل القرية وقالوا انه من اللصوص فضربونى سبعين درة ثم عرفونى واعتذروا لى فحملنى واحد الى منزله فقدم الى خبزا وبيضا فقلت لنفسى كلى بعد اكل سبعين درة كذا فى الخادمى على الطريقة وحكى ايضا انه كان ملك عظيم السلطنة وكان عادته اذا جاء شهر رمضان يأمر المداحين والملاحين بضرب الطنابير والمزامير فى كل يوم بعد العصر الى المغرب لينتهى عليه هذا الوقت بالسرور ولا يجد الم الجوع والعطش لان الصائم يجد فى ذلك الوقت لاثر الصوم من الجوع والعطش نكاية فى قلبه فلو مضى وقته بهذا السرور والغرور لا يجد الم الجوع والعطش فمر عليه شيخ كامل واطلع على الحال فقال فى نفسه انى اذهب وارفع هذا المنكر واوقظ الملك من الغفلة لان هذا الوقت وقت الافطار وهو وقت الرحمة والمغفرة فلا ينبغى للمسلم ان يشتغل فيه بالفعل الحرام مع ان دفع المنكر واجب على الانام فدخل الشيخ الى بيت الملك فضرب الملاحين وكسر مزاميرهم وطنابيرهم والملك كان على قصره ينظر اليهم فغضب من فعل الشيخ فامر الخدم باخذه فاخذوه وجاؤا به امامه فقال ياشيخ لم فعلت هذا الفعل الغير المناسب فقال الشيخ هذا منكر ونحن مأمورون بدفع المنكر فقال الملك الم تخف منى فقال الشيخ اصبر على ما اصابنى

منك كما قال الله تعالى (واصبر على ما اصابك) بل لا اخاف منك اصلا لانك عبد عبدى فقال من فى حول الملك من الاكابر هيهات ضيع الشيخ عقله فقال انى ما ضيعت عقلى بل هو عبد عبدى فى الحقيقة لان الانسان على نوعين نوع جعل نفسه مغلوبا وكان غالبا على نفسه يصرفها الى اى عبادة شاء ونوع جعل نفسه غالبا عليه وواليا على مملكة بدنه فانت ايها الملك من اى قسم فتفكر الملك فقال من الثانى فقال الشيخ فحينئذ النفس عبدى وانت عبد النفس فانت عبد عبدى فسلم الملك كلام الشيخ فتاب واسترشد

﴿ وَرَاعِهَا وَهِيَ فِى الاَعْمَالِ سَائِمَةٌ ✽ وَاِنْ هِيَ اسْتَحْلَتِ المَرْعَى فَلاَ تُسِمِ ﴾

لما فرغ من بيان منع النفس عن الهوى شرع فى بيان التحلية الموصوفة بالرياضة وقد تحقق فى موضعها ان رياضة النفس منعها عن هواها وجبرها على طاعة مولاها فقال وراعها الواو عاطفة من عطف الانشاء على الانشاء اعنى على جملة حاذر وراع امر من راعى يراعى مراعاة من الرعى وهو ارسال الدابة الى موضع الكلاء لكن مع ترقب وانتظار اليها لئلا تدخل ملك الغير وضمير المؤنث راجع الى النفس ففيه استعارة بالكناية كانه شبه النفس فى الذهن بالدابة فى لزوم الترقب لها فى رعيها فى الكلاء واستعمالها فى العبادة ثم استعير الدابة فى الذهن للنفس فذكر الدابة فى الذهن واريد النفس وفى الخارج ذكر المشبه واريد عينه واثبات الرعى للنفس تخييلية وقوله وهى اى النفس اسكن الهاء لضرورة الشعر وقيل اسكان الهاء فى وهو وهى جائز فى السعة كما فى قرآءة قالون والكسائى وغيرهما والواو حالية وفى الاعمال متعلق بسائمة والمراد من الاعمال الاعمال الصالحات لان السيئات لخلوها عن النفع ليست باعمال وقوله سائمة خبر المبتدأ وهو من سامت الماشية اذا رعت واخرجت الى المرعى فالسائمة حيوان مرسل الى المرعى يسير ويروح ويأكل ويشرب فقوله وهى فى الاعمال سائمة تشبيه بليغ عند الجمهور واستعارة على مذهب البعض والمعنى ان النفس مثل السائمة فى الاعمال الصالحة ان ترعها وتسقها ترح الى ما تشاء من العبادات وان لم ترع تبق فيما اعتادته وقوله وان هى استحلت الخ الواو للاستيناف والجملة جواب لسؤال مقدر وهو هل تترك النفس فى رعيها فى الاعمال فى كل اوقات والاحوال فقال لا بل ان هى استحلت الخ ويجوز ان تكون الواو عاطفة وتكون الجملة الشرطية معطوفة على جملة راعها فان قيل على هذا

يلزم عطف الاخبار على الانشاء وهو فاسد قلنا لا يلزم هذا وانما يلزم لو لم يكن الجزاء انشائية لانهم صرحوا ان خبرية الشرطية وانشائيتها تابعة للجزاء والجزاء هنا انشائية كما لا يخفى وان هى استحلت من قبيل قوله تعالى (وان احد من المشركين استجارك) اى وان استحلت هى استحلت واستحلت اصله استحليت من استحلى الشئ اى عده ووجده حلوا والمرعى بفتح الميم موضع الرعى والمراد منه النوافل لا الواجبات والمستحبات فانهما لا يستوجبان الترك بالترك بالاستحلاء كما قاله صاحب الزبدة ففى المرعى مجاز واستعارة تعبيرها هكذا شبه الاعمال الصالحة والعبادات الفالحة بالمرعى فى الانتفاع به واستعير المرعى لمفهوم الاعمال الصالحة ثم ذكر المرعى واريد الاعمال الصالحة وقوله فلا تسم نهى حاضر من اسام اذا اخرج الدابة الى المرعى فحذف منه الياء للجزم والمعنى فلا تبق نفسك فى ذلك بل ازجرها وامنعها ويجوز ان يكون فى هذا البيت استعارة تمثيلية بان انتزع هيئة من الامور المعقولة فى النفس من كون صاحبها راعيا وكونها سائمة بين الاعمال ووجد انها لذة فى العبادة وكون الاعمال مرعى لها وشبه تلك الهيئة بالهيئة المنتزعة من الامور المحسوسة من كون الحيوان سائما فى المرعى ووجد انه لذة فيها وكون صاحبه راعيا له فى كون كل واحد منهما دائرا بين امرين وهو الحفظ ان حفظت وعدم الحفظ والضرر ان لم تحفظ ثم استعير الهيئة المنتزعة من الامور المحسوسة للهيئة المنتزعة من الامور الغير المحسوسة فذكر المشبه واريد المشبه به وحاصل معنى البيت وراع النفس ولازمها والحال انها مثل السائمة فى الاعمال الصالحة فان ترعها وتحفظها فى رعيها عن الضرر والفساد تعمل صالحا وان تتركها ترح الى ما اعتادته وتضر صاحبها بفعلها ضررا سيئا وان النفس اذا الفت بعض النوافل وعدته حلوا واعتادت فلا تسم تلك النفس ولا ترسلها على حالها وازجرها وامنعها لان النفس لو وجدت فى عبادة من العبادات لذة فى غاية اللذات لكان فيها معصية من العجب والرياء والفخر بين القوم والورى فيلزم جعلها مشتغلة بعبادة لا تجد فيها حلاوة لانها لو جعلت العبادة عادة لا يكون فيها نفع وفائدة ■ حكى عن بعض الصالحين انه قال حججت كذا وكذا مرة فبان لى ان جميع ذلك مشوب بحظى وذلك ان والدتى سألتنى يوما ان اسقيها جرعة ماء فثقل ذلك على نفسى فعلمت ان مطاوعة نفسى فى الحجات كانت لحظ وشرف لنفسى اذ لو كانت نفسى على خلوص لم يصعب

عليها ماهو حق الشرع كذا فى البريقة والمعنى التصوفى لهذا البيت ايها العارف بالله اجعل نفسك فانيا فى الله وحصل رضى الله ولا تبق فى الاعمال فان البقاء فى الاعمال مرتبة الصلحاء والزهاد من الرجال وكن مستغرقا فى ملاحظة واجب الوجود واترك رؤية القعود والسجود فان بقيت فيها تكن محجوبا وان تركتها وبلغت الى مافوقها تكن مطلوبا فان وراء الاعمال والاستدلال اصول الكمال وهو حقيقة الوصال فان النفس لخباثتها احبت ان تبق فى الذكر والفكر والتأمل فعليك بالتحول ولو بالتحمل هذا

﴿ كَمْ حَسَّنَتْ لَذَّةً لِلْمَرْءِ قَاتِلَةً ❊ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ اَنَّ السُّمَّ فِى الدَّسَمِ ﴾

لما ذكر فيما سبق قبول النفس اللذائذ والصرف عن الهوى وامر بالرعى فى الاعمال ونهى عن الاسامة او وجدت لذة فى المرعى وكان سبب النهى عنها نظر بينه بقوله كم حسنت لذة الخ وتقرير قياسه هكذا المثبت ان النفس كثيرا ما حسنت لذة للمرء قاتلة من حيث لم يدر كان السم لايدرى فى الدسم فالنفس ان وجدت لذة فى المرعى فلا تسمها لكن المقدم مسلم والتالى مثله ثم اعلم ان كم خبرية لا استفهامية والفرق بينهما ان قائل كم الخبرية يكون مخبرا وقائل كم الاستفهامية يكون مستخبرا وان ما بعد كم الخبرية يكون اخبارية وما بعد كم الاستفهامية يكون انشائية وان مميز كم الخبرية يكون مجرورا فى الاكثر ومميز كم الاستفهامية يكون منصوبا غالبا وكم هنا منصوبة المحل على المصدرية اى كثيرا بمعنى كم مرة وحسنت ماض من التحسين على صيغة التأنيث وضميره راجع الى النفس ومعنى حسنت جعلت حسنا فى الظاهر فيكون المعنى كم مرة جعلت النفس حسنا فى الظاهر شيئا لذيذا بالعجب و الغرور فعلى هذا يكون لذة مفعول حسنت و يكون صفة موصوفه محذوف اى شيئا لذيذا المراد منه العمل النفل ويجوز ان يكون المراد من الشئ اللذيذ الاغترار بكرم الله تعالى ورحمته قال القاضى فى قوله تعالى (ماغرك بربك الكريم) فاعل المعاصى بالاغترار بكرم الله تعالى مثل من يشرب السم اعتمادا لطبيعته فعلى هذا التقدير يكون السم استعارة من العذاب الاليم والدسم استعارة من الاغترار بكرم الكريم فلا تغفل عن ترتيب استعارتهما اومعنى حسنت عدت حسنا ويكون مفعوله محذوفا اعنى المرعى و يكون اصل لذة بلذة ثم حذف الجار وانتصب المجرور ويكون تنوينه عوضا عن المضاف اليه اى

العجب والغرور فعلى هذا يكون المعنى كم مرة عدت النفس المرعى حسنا بسبب لذة العجب و الغرور وقوله للمرء متعلق بقاتلة قدم لضرورة الشعر واللام لتقوية العمل او متعلق بحسنت والمرء قال العاصم فى ترجمة القاموس المسمى باوقيانوس بالحركات الثلاث فى الميم وبسكون الراء الانسان مطلقا ذكرا كان او انثى وعلى قول مختص بالرجل لكن هنا اعم ولم يوجد له جمع من لفظه وانما جمعه رجال وعلى قول جاء جمعه مرؤن ويقال فى مؤنثه مرأة بتاء التأنيث وقد جاء مرة بترك الهمزة وفتح الراء وقد يدخل على اولها همزة الوصل وكذا لام التعريف وكذلك يدخل همزة الوصل على اول المرء فحينئذ ان لم يكن مقارنا بحرف التعريف يجوز فيه ثلاث لغات الاول فتح الراء دائما فى الرفع والنصب والجر والثانية ضمها دائما فى الحالات الثلاث والثالثة كونها معربة اعنى تبعيتها للحرف الاخير فى الاعراب فان كان آخره مرفوعا يكون الراء ايضا مرفوعا وان منصوبا يكون الراء ايضا منصوبا وان مجرورا يكون الراء ايضا مجرورا وان كان مقارنا بحرف التعريف يكون الراء ساكنا البتة هذا وقوله قاتلة منصوب على انه حال من لذة او صفة له والمراد من القتل ههنا الاهلاك بذكر الملزوم وارادة اللازم لان القتل لايكون الا بآلة جارحة او ثقيلة وههنا ليس آلة كذلك وقوله من حيث متعلق بقاتلة وقيد الحيثية يستعمل لمعان ثلاثة الاطلاق والتقييد والتعليل اما الاطلاق فكما فى قولهم الماهية من حيث هى هى والتقييد كقولهم علم الطب ما يبحث فيه عن بدن الانسان من حيث الصحة والمرض اى لامطلقا بل من هذه الحيثية والتعليل كقول السائح الماء يبرد وجود الانسان من حيث انه بارد وههنا للتقييد او للتعليل وحيث فى الاصل للمكان واستعير ههنا لمعنى الجهة وقال الاخفش ترد للزمان ويلزمها الاضافة الى الجملة اسمية كانت او فعلية واضافتها الى الفعلية اكثر واضافتها الى المفرد نادر ولذا اضيف ههنا الى جملة لم يدر ولم يدر على صيغة المبنى للمفعول او للفاعل بمعنى لم يعلم والسم بالحركات الثلاث فى السين لكن الرواية هنا بالفتح للمناسبة دواء يهلك الانسان بسرعة وهو بالفارسية زهر والمراد ههنا المعصية من العجب والرياء على سبيل المجاز والاستعارة بان شبه العجب والرياء بالسم فى الاهلاك لانه كما ان السم مهلك للانسان كذلك الرياء والعجب مهلك للاعمال كما ورد فى الحديث ان اخوف ما اخاف على امتى الاشراك بالله

اما انى است اقول تعبدون شمسا ولاقمرا ولاوثنا ولكن اعمالا لغير الله الحديث ثم استعير السم للعجب والرياء فذكر السم واريد العجب والرياء وقوله فى الدسم ظرف مستقر خبران وجملته نائب فاعل اقوله لم يدرا ومفعوله وهو طعام فيه دسومة كثيرة والمراد منه الاعمال والطاعات مجزا واستعارة تعبيرها هكذا شبه الاعمال والطاعة بطعام فيه دسومة فى كونه لذيذا ومشتهى بحيث لايدرى فيه السم ثم استعير الطعام الذى فيه دسومة لمفهوم الطاعات والاعمال فذكر الدسم الدال على الطعام واريد منه الاعمال والعبادات ثم اعلم ان فى هذا البيت ايهاما حسنا الى انه كان السم فى الدسم فى المعنى كذلك لفظ السم فى الدسم كما قيل مثله فى قوله عليه السلام السفر قطعة من السقر كما لا يخفى وقال الشاعر

* النار آخر دينار نطقت به * والهم آخر هذا الدرهم الجارى *

وحاصل معنى البيت ان النفس امارة غدارة خداعة مكارة وكثيرا ما خدعت المرأ وحسنت فى باصرته ما يفسد باطنه اذ هى كالاعداء لان الاعداء يدخلون السم فى الطعام اللذيذ ويهلكون المرء لانه لايعلم السم بسبب لذة الطعام وكذلك النفس تدخل الرياء والعجب فى العبادة وتهلك صاحبها لانه لايعلم شرها الخفى بسبب لذة العجب والرياء فان العجب يضر فى كل الاحوال ولو كان فى غير العبادة والاعمال الاترى الى ماروى انه لما نظر بعض من اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى كثرة العسكر واسلحتهم فى غزوة حنين قيل انه الصديق الاعظم رضى الله تعالى عنه قال اعجابا من الكثرة والشوكة لا انهزام لنا فيه بعد ولما وصل الى سمعه صلى الله تعالى عليه وسلم كره ذلك فرفع الله النصرة فى اول تلك الغزوة تأديبا لهم بان الكثرة لا تغنى شيئا بدون نصرة الله تعالى قال الله تعالى (لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم) الآية واما الرياء فانظر الى ما فى الاسرائيليات ان حكيما صنف ثلاثمائة وستين كتابا فاوحى الله الى نبيهم ان قل له قد ملأت الارض نفاقا ولم تردنى بشئ من ذلك ولا قبلت منه شيئا فندم وترك وخالط العامة وتواضع فاوحى الله اليه ان قل له الآن قد وافقت رضاى انتهى وايضا الى حديث ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يارسول الله قال الرياء يقول الله تعالى يوم القيامة انا اجازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن لهم

فى الدنيا وفى حديث آخر طويل ان الله يقول للملائكة ان هذا لم يردنى بعمله فاجعلوه فى سجين

﴿ وَاخْشَ الدَّسَائِسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شِبَعٍ * فَرُبَّ مَخْمَصَةٍ شَرٌّ مِنَ التُّخَمِ ﴾

لما بين ان النفس يلزم حفظها وترقبها فى العبادات لئلا تقع فى المفسدات شرع فى بيان لزوم ترقبها وحفظها بين المباحات التى لابد للسالك منها فى الحالات فقال واخش الخ الواو عاطفة ويحتمل ان تكون استينافية بمعنى انه يكون جوابا لسؤال مقدر كانه قيل فاى شئ تستعمل النفس حتى تصلح فقال مجيبا واخش الدسائس اى اجعلها بين الجوع والشبع واخش امر من خشى يخشى من الباب الرابع وصيغة الامر ههنا للتأديب او للارشاد لانهم بينوا ان الامر يطلب على ستة عشر وجها الاول الايجاب كقوله تعالى * اقيموا الصلاة والثانى الندب * كقوله تعالى وكاتبوهم والثالث التأديب * كقوله عليه السلام كل مما يليك والرابع الارشاد (كقوله تعالى واستشهدوا والخامس لاباحة كقوله تعالى (كلوا واشربوا والسادس التهديد نحو (اعملوا ما شئتم والسابع الامتنان نحو كلوا مما رزقكم الله والثامن الاكرام نحو ادخلوها بسلام والتاسع التعجيز نحو فأتوا بسورة من مثله والعاشر التسخير نحو كونوا قردة خاسئين والحادى عشر الاهانة نحو ذق انك انت العزيز الكريم والثانى عشر التسوية نحو اصبروا او لاتصبروا والثالث عشر الدعاء نحو اللهم اغفرلى والرابع عشر التمنى نحو قول الشاعر * الا ايها الليل الطويل الا انجلى * والخامس عشر الاعتقاد نحو قوله تعالى القوا ما انتم ملقون والسادس عشر التكوين نحو كن فيكون والدسائس جمع دسيسة كالكتائب جمع كتيبة والدسيسة الكيد والحيلة الخفية والالف واللام فيها عوض عن المضاف اليه اعنى النفس وهى بالنصب على انها مفعول اخش وقوله من جوع ظرف مستقر اما حال من الدسائس او صفة لها اى احذر من الدسائس حال كونها ناشئة وصادرة من جوع ومن شبع او الدسائس الناشئة والحاصلة المتولدة من جوع ومن شبع والجوع الانسانى حالة يشتهى الانسان بها اكل الخبز بلا ادام وقيل علامة جوع الانسان شم الذباب ريقه وعدم وقوفه عليه كما قال الشاعر

في حد جوع الفتى قولان قيل بان * يشتهي به الخبز فردا حالة الاكل

* وقيل ان وقعت في الارض ريقته * شم الذباب وجد السير من عجل

والشبع عكس الجوع ونقيضه والمراد من الدسائس الحاصلة منهما الآفات المتولدة منهما اما الآفات الحاصلة من الجوع فمثل الحدة والشدة والذبول والكلال وملال النفس في تحصيل الكمال والخيالات الفاسدة والاوهام الكاسدة والآفات الحاصلة من الشبع فكثرة النوم المقتضية للكسل وقساوة القلب وغفلته وموته بطول الامل واطفاء نور اليقين وكثرة الشهوات وغير ذلك من الغفلات ويحتمل ان يراد بالجوع الفقر مجازا لانه ملزوما الجوع فعلى هذا يكون المراد من الدسائس المهالك فان الفقر يلقي الانسان الى المهالك ولذا استعاذ منه عليه السلام وقال في حديثه كاد الفقر ان يكون كفرا وفي آخر الفقراء سود الوجوه يوم القيامة وهي مثل السرقة وتغيير المذهب والملة كما قال الشاعر

* كم عالم عالم اعيت مذاهبه * وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا *

* هذا الذي ترك الاوهام حائرة * وصير العالم النحرير زنديقا *

ويراد ايضا بالشبع الغنى ويراد بالدسائس مهالك الغنى وهي حب الدنيا مع انه رأس كل خطيئة وطول الامل والكسل عن الطاعة ونسيان الآخرة وقسوة القلب والكبر والعجب والحرص والطمع والبخل وغير ذلك ويجوز ان يراد من الجوع الجهل ومن الشبع العلم ويجوز ايضا ان يراد من الجوع عدم العمل ومن الشبع العمل ويجوز ايضا ان يراد من الجوع السكوت ومن الشبع الكلام ويجوز ايضا ان يراد من الجوع سهر الليل ومن الشبع نومه ويجوز ايضا ان يراد من الجوع العزلة ومن الشبع الخلطة ويجوز ايضا ان يراد من الجوع العزوبة ومن الشبع التزوج ويكون في لفظي الجوع والشبع على هذه التقادير مجاز واستعارة ويكون وجه الشبه في كل منهما حلو الغذاء للنفس وحصوله وتكون الدسائس عبارة عن مهالك كل منهما كما لا يخفى على اهل البصيرة وقوله فرب مخمصة الخ الفاء للتعليل لانه علة لدعوى مقدرة مفهومة مما سبق وهو ان الخشية من دسائس الجوع لازمة كما لا يخفى ورب حرف جر لا يدخل الا على النكرة وهي للتقليل وعند البعض للتكثير وفي كلمة رب لغات عديدة لانها قد تكون مشددة ومخففة ويلحق آخرها التاء وكلمة ما والتاء مع مخففا ومشددا وبالجملة قال شيخ الاسلام

ذكريا الانصاري في كلمة رب سبعون لغة وعدها في شرحه على القصيدة المنفرجة وان اردت فارجع اليه فان قلت لم خص التقليل بالخشية من الجوع دون الشبع قلت لان ضرر الشبع بديهي بين الانام كما بينه كثير من الاعلام وقد اشار ابو سليمان الداراني الى ست نكات في الشبع فقال من شبع لم يجد حلاوة العبادة وتعذر عليه حفظ الحكمة وحصل له حرمان الشفقة على الخلق وثقل عليه العبادة وحصل لديه زيادة الشهوة وان سائر المؤمنين يدورون حول المساجد والشبعان حول المزابل وان اردت التفصيل فعليك التعويل على كتب مفصلة ومطولة واما ضرر الجوع فخفي بل يترتب عليه فوائد عديدة ومنافع كثيرة منها صفاء القلب ومنها رفع النوم ودوام السهر ومنها تيسر المواظبة على العبادة ومنها خفة المؤنة ومنها التمكن بذلك من الايثار والتصدق وغير ذلك ولذلك علل به ثم ان المخمصة شدة الجوع المفرط وشر اصله اشرر فخفف باسقاط الهمزة وقد لحن ابو قلابة في قراءته * سيعلمون غدا من الكذاب الاشر * على صيغة التفضيل ولم يوافقه احد عليها قال الحريري شر فيه معنى التفضيل لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث ولا يقال اشر الا في لغة رديئة والتخم جمع تخمة وهي مصدر بمعنى عدم هضم الطعام مع استثقاله على صاحبه وتعفنه في معدته وانما كانت المخمصة شرا من التخم مع ان اتفاق العلماء على شرية شدة الشبع وخيرية الجوع لان المخمصة وشدة الجوع تورث الانسان ضعفا حتى لا يقدر على اداء العبادة (قال صلى الله تعالى عليه وسلم لمعاذ ان نفسك مطيتك فارفق بها وليس من الرفق ان تجيعها وتذيبها) وقد قرر في الفقهية ان الاكل اما فرض ان كان مقدار ما يدفع عنه الهلاك (قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله ليؤجر في كل لقمة يرفعها العبد الى فمه) واما مندوب ان زاد على ذلك ليتمكن من اداء الصلاة قائما ويسهل الصوم قال عليه السلام (المؤمن القوي احب الى الله تعالى من المؤمن الضعيف) واما مباح لا اجر ولا وزر ان زاد على ذلك لمجرد تقوي البدن فيحاسب حسابا يسيرا واما حرام ان فوق الشبع لاضاعة المال والاسراف

﴿ واستفرغِ الدمع من عينٍ قد امتلأت * من المحارمِ والزم حِمية الندمِ ﴾

لما بين طريق استعمال النفس في هذه الحال وفيما سيأتي اراد ان يبين

سبب المغفرة للذنوب التى قد اكتسبها فيما مضى فقال تحريضا على التوبة وتحضيضا على الاوبة واستفرغ الدمع الخ الواو عاطفة و يجوز ان تكون استينافية جوابا لسؤال مقدر كانه قيل هل يكون طريق الى عفو الذنوب التى فعلتها فيما مضى فقال واستفرغ اى نعم استفرغ واستفرغ امر من استفرغ وهو طلب الفراغ وهو جعل وعاء اونحوه خاليا عما فيه باخراج ما فيه واراقته والمعنى اجر وارق واستخرج والدمع ماء مالح يجرى من العين وتقييدا استفراغ الدمع بقوله من عين اظهار لما علم ضمنا لاللاحتراز وقوله قد امتلأت صفة العين وضمير المؤنث راجع الى العين لكن بطريق الاستخدام بان يراد من العين المذكورة الباصرة و بالضمير العين بمعنى القلب اذ الممتلئ بالمحارم القلب والمعدة فعلى هذا لاحاجة الى جعل امتلاء العين كناية عن كثرة الذنوب كما لايخفى على ذوى القلوب وقوله من المحارم متعلق بامتلأت والمحارم جمع محرم بمعنى الحرام كما يقال ذو رحم محرم اذا لم يحل للرجل نكاحها والمعنى اذا امتلاء قلبك ومعدتك بالمحارم والافعال السيئة ففرغ عينك الحسية لان البكاء للعصيان من خشية الرحمن يمنع العبد من دخول النيران كما قال عليه السلام لايدخل النار من بكى من خشية الله تعالى حتى يلج اللبن الضرع وقيل اذا كان يوم القيامة تخرج من الجحيم نار مثل الجبال فتقصد امة محمد فيجتهد الرسول عليه السلام فى دفعها فلم يقدر فينادى جبرائيل الحق الحق فان النار قد قصدت امتى لتحرقهم فيأتى جبرائيل بقدح من الماء فينادى الرسول فيقول خذ هذا ورشه عليها فيرشه فتطفئ فى الحال و يقول ياجبرائيل ماهذا الماء لم ار مثله فى اطفاء النار فيقول جبرائيل ماهذا الادموع متك الذين بكوا من خشية الله فى الخلوات امرنى ربى ان آخذه واحفظه الى وقت احتياجك اليه لتطفئ به النار التى قصدت امتك وقوله والزم دفع سؤال نشأ مما قبله وهو انه هل يكون البكاء مطلقا منجيا للعصيان ومطهرا للانسان اى لابل يلزم ان تلزم حمية الندم مع البكاء والحمية بمعنى الاحتماء والحفظ وهو بالنصب مفعول الزم والندم بمعنى الندامة والياس وبالفارسى پشيمان شدن واضافة الحمية اليه اما بيانية اى حفظا هو الندامة على ما مضى او بمعنى من اى الاحتماء الحاصل من الندم لانه لو ندم حفظ من العصيان واما من اضافة المشبه الى المشبه به كما فى لجين الماء اى ندامة كالاحتماء فى عدم السلوك الى المعاصى فان قلت استفيد من هذا البيت

ان علاج جميع المعاصى هو البكاء والندامة مع ان المظالم واخذ حق الغير لاتغفر بالبكاء والندامة بل بردها الى اصحابها والاستحلال منها قلت رد المظالم والاستحلال من الخصوم ونحوهما داخل فى الندامة كما لايخفى وحاصل معنى البيت يامن امتلأت عينه من المحرمات وشحن قلبه بمرض الغفلات عليك باستخراج الدموع والبكاء لانه يذهب كل ما اكتسبت من الهوى كما قالوا صب العبرات يحط السيئات ويرفع الدرجات وكما فى بعض الاخبار المروية انه يؤتى بعبد يوم القيامة وتشهد عليه اعضاؤه بالزلة والعصيان فيستحق ان يدخل النيران فتطاير شعرة من جفن عينه فتستأذن تلك الشعرة من الله تعالى بالشهادة له فيقول الله تعالى عز وجل تكلمى ياشعرة واحتجى عن عبدى فتشهد تلك الشعرة لذلك العبد بانه قد بكى فى الدنيا من خوف ربه فيغفرله و ينادى مناد هذا عتيق الله تعالى بشعرة و كما سئل من حجة الاسلام عن العينين المذكورتين فى قوله تعالى (فيهما عينان تجريان) هما لمن فقال عينان تجريان لمن له اليوم عينان تجريان هذا ما قرر فى التفسير وروح البيان ثم اعلم ان من خواص هذا البيت انه لو عسر عليك فى مطالعتك محل من درسك ولم يمكن لك كشفه فاقرأ هذا البيت مائة وتسع عشرة مرة فانه يكشف عليك باذن الله تعالى

﴿ وخالف النفس والشيطان واعصهما ۞ وان هما محضاك النصح فاتهم ﴾

لما بين ولوع النفس فى هواها و بلوغ الهوى فى المضرة منتهاها و كون النفس فى يد صاحبها شرع فى بيان المخالفة التامة لها فقال وخالف الخ الواو عاطفة من قبيل عطف الانشاء على الانشاء وخالف امر من المخالفة آثر صيغة المخالفة للمبالغة والنفس بالنصب مفعول خالف و لالف واللام فيها للعهد اى النفس الامارة المكارة والشيطان بالنصب عطف على النفس واختار من الحروف العاطفة الواو ليدل على اجتماعهما واشتراكهما فى الامر بالسوء والفحشاء كما فى قوله تعالى (ان النفس لامارة بالسوء) وقوله تعالى (الشيطان يعدكم الفقر و يأمركم بالفحشاء) فان قلت فعلى هذا يكون عطف الشيطان على النفس مستدركا لان الامر بمخالفة النفس مغن عن الامر بمخالفة الشيطان لانهما شريكان ومتحدان فى الامر بالسوء فالامر بالمخالفة لاحدهما امر بالمخالفة للآخر فلا فرق بينهما قلت الفرق بينهما بين لان النفس لو امرت بمعصية تكون مصرة عليها حتى لو فعل معصية اخرى غير

ما امرت النفس لانسكن الابفعل المعصية التى امرت بها لان النفس فيها نفسانية بخلاف الشيطان ثم ان الشيطان اما فيعال على ان تكون نونه اصلية من شطن اذا بعد لبعده عن الخير والرحمة اوفعلان على ان تكون نونه زائدة من شاط اذا هلك اواذا اسرع فى السير لسرعة سيره فى باطن الآدمى اوفى اضلال الآدمى اواذا احترق لكون اصله نارا اولكون اوله نارا فعلى هذين يجوز صرفه وعدمه اذا جعل علما قال الجبرى الشيطان ابليس وجنوده والمراد الجنس وقيل عن تفسير الخازن جنس للمردة من الشياطين ثم اختلف فى الشيطان والجن هل هما موجودان اومعدومان والاصح هو الاول فعلى الاول اختلف ايضا هل هما مجردان اولا واكثر المتكلمين على الثانى فعلى الثانى اختلف ايضا فى انهما هل هما مختلفتان بمعنى ان الشيطان جسم لطيف نارى قادر على التشكل باشكال مختلفة والجن هوائى قادر على التشكل كذلك ايضا الملك جسم لطيف نورانى كذلك اومتحدان جنسا فما يكون منهم خيرا سعيدا جن وما يكون شريرا شقيا شيطان فان قيل هل للشيطان نسل قال ابو المعين النسفى فى بحر الكلام قيل ان الشيطان يبيض بيضات ويخرج منها الولد وفى الخبر ان فى احد فخذيه فرجا وفى الآخر ذكرا فيجامع نفسه فيخرج منه الولد وهذه رواية شاذة وقيل يدخل ذنبه فى دبره فيخرج منه الولد وهذا غير صحيح فالصحيح هو الاول ثم اعلم ان المراد من الشيطان ههنا اعم من الانس والجن لان الشيطان الذى من الانس يأمر ايضا بالسوء فتلزم المخالفة لامره بل لاتجوز المقارنة به لان الطبيعة سارية الاترى ان العلماء امروا بالمباعدة عن الكسلان فكيف عن اهل العصيان فان قلت لم قدم النفس على الشيطان مع ان عداوة الشيطان ثابتة فى كل الزمان قلت اما لان النفس عدو فى الداخل لايفارق الانسان فى كل حالاته حتى الذكر والعبادة فتكون عداوته اشد من الشيطان لانه عدو من الخارج يدفع شره بالاستعاذة والذكر والثناء والشكوى الى صاحبه لانه كلب الله فيشتكى من شره الى الله تعالى فيخلص منه باذن الله تعالى بخلاف النفس واما النفس وان كانت عدوا لكنه محبوب والانسان عن عيب محبوبه عمى كما قال الشاعر

وعين الرضى عن كل عيب كليلة ❊ ولكن عين السخط تبدى المساويا

ويلزم فى النفس عدم القهر بالكلية لانها مطية المرء فى الايصال الى المقصود

فمن قهرها يزلها فى السبيل وعدم الموافقة لها بالكلية فمن وافقها اضله عن سبيله فالخلاص الاعتدال بينهما واما الشيطان فعداوته خالصة لايشوبها محبة اصلا لانه عدو قديم حيث بدأ العداوة مع ابينا آدم عليه الصلاة والسلام (فقال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لايبلى) وعدو الاب لايكون لابنه محبا وقوله واعصهما عطف على خالف فان قلت هذا القول اى واعصهما مستدرك لان الامر بالمخالفة لهما يستلزم عصيانهما قلت ان العصيان اعم من المخالفة لان العصيان ترك الانقياد سواء امر بفعل اونهى عنه فتركه اولم يؤمر ولم ينه فتركه والمخالفة انما تكون بترك الفعل الذى امر به او بفعل الفعل الذى نهى عنه فيكون هذا العطف من قبيل عطف العام على الخاص فلا استدراك ويجوز الجواب بان يكون كل واحد من المخالفة والعصيان بالنظر الى كل واحد من الامر والنهى يعنى ان يكون خالف مختصا بالمخالفة لامرهما ويكون واعص مختصا بالعصيان لنهيهما فيصح حينئذ العطف لكن فيه مافيه وقوله وان هما ان شرطية وضمير التثنية راجع الى النفس والشيطان ومحضاك ماض من التمحيص اومن المحض بمعنى التخليص اى اخلصاك والنصح بالنصب مفعول ثان لمحضا والنصح ارادة الخير للغير وقوله فاتهم الفاء للجزائية واتهم امر من التهمة اى اجعل نصحهما على التكذيب فان قلت هل يكون للنفس والشيطان نصيحة حتى تحمل على الكذب قلت نعم اما نصيحة النفس فكما نقله الخادمى عن المنهاج من انه روى عن بعض يقال له احمد بن ارقم البلخى انه قال نازعتنى نفسى بالخروج الى الغزو فقلت سبحان الله ان الله تعالى يقول ان النفس لامارة بالسوء وهذه تأمرنى بالخير قلت مرادها الخلاص من حبس الوحدة وتصل الى الخلطة والاستراحة بالالفة واكرام الخلق فقلت لها اذا كان مرامك ذلك لاانزلك العمران ابدا ولاادلك على معرفة احد فاجابت واسأت الظن فقلت الله تعالى اصدق وقلت اقاتل العدو مقدما على الكل فتقتل فاجابت ثم عددت اشياء فاجازت عن كلها ثم قلت يارب نبهنى لها فانى متهم لها ومصدق لك فكوشفت كان النفس تقول يا احمد انت تقتلنى كل يوم مرات بمنع شهواتى وبمخالفة ميولاتى فان قاتلت قتلت انا مرة واحدة فنجوت من قتلاتك ويتسامع الناس شهادتى فتكون لى ذكرا وشرفا قال فقعدت ولم اخرج الى الغزو

واما نصيحة الشيطان فاحكاه المولوى فى كتابه المثنوى ان معاوية كان نائما عند الصباح فجاء الشيطان وقال حى على الفلاح ففطن معاوية لمكره وغدره فى ظهوره وامره فقال انت يا شيطان ما تأمر الا بمعصية فكيف امرتنى بالطاعة فاسبب هذا الامر العجيب فانه من مثلك غريب فقال سببه انه قد فاتك الصبح يوما من الايام بسبب المنام عن صلاة الجماعة مع سيد الانام فندمت على ما فات وتحيرت عليه فى الاوقات فكتب لك اضعاف ما كنت تلحقه من الطاعات فخفت ان تنام عن الصلاة مرة اخرى فيحصل لك زيادة المثوبة فى الاخرى فالزم الحذر من شرهما الاسيما فى وقت كانا قد اختصما

﴿ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمَا خَصْمًا وَلَا حَكَمًا ❋ فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الْخَصْمِ وَالْحَكَمِ ﴾

لما ظن انكار المخاطب اتهام نصحهما اذ النصيحة بالخير لا تحمل على الشر اكد ما قبله لكونه امرا مهما واجب الامتثال فقال ولا تطع منهما الخ نهى من الاطاعة وهى قبول امر الآمر ومنهما ظرف مستقر حال من الخصم والحكم قدمت على ذى الحال لضرورة الشعر كما قال الشاعر فى بيان مواضع تجرى فيها الضرورة

❋ وقد جاء فى التركيب بعض تصرف ❋ كفصل وتقديم ومثل زيادة ❋

والخصم العدو الذى ظهرت عداوته والحكم بمعنى الحاكم فى الدعوى يقال له قاضى الحكم والمعنى لا تطع الخصم ولا الحكم حال كونهما ناشئين من النفس والشيطان يعنى ان النفس لو كان خصما او كان حكما وكذا الشيطان لو كان خصما او حكما فلا تطعهما بل جانبهما قال الشارح الزركشى ان هذا البيت من اصعب الابيات فى القصيدة من جهة معرفة ان خصم النفس وحكمها ما هو ولذا قالت الشراح ههنا كلمات لا تسمن ولا تغنى بل كلها من قبيل ما لا يعنى واما انا فقد تحيرت فيه برهة من الزمان ثم رأيت فى المكاشفة الناظم الفاهم اعنى محمد البوصيرى فقلت له ما مرادك من هذا البيت يا امام فقال لو تأملت دواعى الانسان لعرفت المرام فقلت له ارجو منك التفصيل فقال ان الدواعى فى الانسان ثلاثة وهى القلب والنفس والشيطان فاذا اراد القلب ان يعمل خيرا تكون النفس له مانعة فتطلب تركه ومنعه فيختصمان ويريدان ان يحتكما فينصبان الشيطان حكما وهو يأمر بالسوء فعلى هذا كان الشيطان حكما والنفس خصما ولو اراد الشيطان ان يعمل عمل الشر

يقول القلب له لا تفعل فانه شر ويقول الشيطان لا بل هو خير فاختصما واحتاجا الى الحكم فاحتكما النفس وهى تأمر بالسوء فعلى هذا كانت النفس حكما والشيطان خصما فكل واحد منهما خصم من جهة وحكم من جهة اخرى انتهى بتغيير عبارته وتفصيله والفاء فى فانت للتعليل لما قبله فيمكن ان يرتب ههنا قياس تقريره هكذا انك يلزم لك عدم اطاعة كل منهما خصما ولا حكما لانك تعرف كيد الخصم والحكم وكل من يعرف كيد الخصم والحكم فيلزم له عدم اطاعة كل منهما خصما ولا حكما ينتج انك يلزم لك عدم اطاعة كل منهما خصما ولا حكما والكيد المكر والخيانة ويجيء بمعنى الحيلة والمراد من الخصم والحكم الثانى ما سبق لان لامهما للعهد فان قلت ما كيفية الوسوسة مع انا لا نرى الشيطان باحد مشاعرنا فكيف يكون لما فى قلبنا مدعيا وحكما وموسوسا قلنا نقل عن الاحياء فى كيفيتها ان القلب كالقبة لها ابواب تنصب اليها الاحوال من كل باب ومثل هدف ترمى اليه سهام من كل جانب فكلما ادرك شيئا من الحواس الخمس الظاهرة ومن الباطنة كالخيال ونحوه حدث فيه اى القلب اثر وكذا عند هيجان شئ من نحو الشهوة والغضب وهذه الخواطر وهى محركات للارادة التى تحرك الاعضاء فان محمودة فالهيام وان مذمومة فوسواس انتهى وفى حديث انس ان الشيطان واضع خرطومه على قلب ابن آدم فان ذكر الله تعالى خنس وان نسى التقم قلبه فان قلت باى شئ يخلص من وسوسته قلت قالوا سلاح المؤمن على الشيطان ستة الاستعاذة وكلمة الشهادة والبسملة وترك الطمع وترك الامل وترك الدنيا وروى ان قوما شكوا الى الحسن البصرى من الشيطان قال انه خرج من عندى الآن ويشكو منكم وقال قل للناس يدعوا دنياى حتى ادع دينهم والنافع الكثير فى دفع وسوسته الاشتكاء الى الله والرجاء منه تعالى بحبسه وعدم اخراجه عليه لانه كلب مبير والكلب يلتجأ من شره الى صاحبه فان قلت انه وان لم يجب عليه تعالى شئ فى افعاله لكن لا يخلو فعله عن حكمة ولا شك ان النفس والشيطان شر بديهى فالحكمة فى خلقهما وتسليطهما على الانسان قلت اما الحكمة فى خلق النفس فى الانسان وعدم جعله مجردا كملائكة الرحمن فتفضيله بها على عامة الملائكة لان النفس فيها عوائق وموانع كالشهوات والغضب وسنوح الحاجات الضرورية الشاغلة عن

اكتساب الكمالات اولاشك ان العبادة وكسب الكمال مع الشوغل والصوارف اشق وادخل في الاخلاص وكل شيء شأنه كذا فهو افضل وان اردت تفصيل هذا البحث فعليك بالمطولات واما الحكمة في خلق الشيطان ففيه مسلكان اما المسلك الاول فالقول بان لا اطلاع لنا على حكمة جميع فعله تعالى لانه لايسئل عما يفعل وهم يسئلون لانها وان لم تظهر علينا فهي ظاهرة على الراسخين واما المسلك الثاني فبيان حكمته كما قال بعض العلماء ان الحكمة في خلقه اختيار اوليائه من غيرهم اذ من يتبع عدوه يعني الشيطان ليس بوليه تعالى وقال بعضهم الحكمة عدم اغترار العابدين بعبادتهم و بعضهم قال الحكمة الاعتبار من حال الشيطان بسبب العصيان والانزجار عن الطغيان واعلام ضرر الكبر والبغيان على اهل الايمان والتفصيل في المطولات وخاصية هذين البيتين انه اذا كان شخص مصرا على معصية ونزعت نفسه الى عدم التوبة فليكتب هذين البيتين في صحيفة بعد صلاة الجمعة وليمحها بماء الورد و يشرب به وليستمر جالسا مستقبل القبلة حتى يصلي العصر والمغرب والعشاء وهو ملازم على الابتهال والتضرع الى الله والصلاة على النبي عليه السلام و يسأل الله التوبة فانه لايقوم من مقامه حتى يغلب على نفسه و يلهم الله اليه التوبة يا اخي نصحي لك الاجتناب في العادات عن ملل والملازمة على مداومتها بلا زال

﴿ اَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ قَوْلٍ بِلَاعَمَلٍ ■ لَقَدْ نَسَبْتُ بِهِ نَسْلًا لِذِي عُقُمٍ ﴾

ولما رأى الناظم الصادق والناصح العاشق ان نفسه متلوث بالمناهي وملتبس بالملاهي وقد قال الله تعالى (اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون * وقال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لم تقولون مالاتفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالاتفعلون) والامر بالمعروف من غير العامل وان كان حسنة لكنه بحسب العرف الظاهر سيئة اناب الى الله وتاب عما ساواه فقال استغفر الله الخ اعلم ان الاستغفار بمعنى طلب الغفر وهو الستر وهو ههنا بمعنى تبت الى الله واطلب الستر من الله ورجعت الى الله عما فعلته وقوله من قول متعلق باستغفر فان قيل لو تعلق به يلزم تعلق الجارين بمعنى واحد بفعل واحد لانه في تقدير استغفر من الله قلت لانسلم انه في ذلك التقدير ولو سلم فلم لايجوز ان يكون من قبيل المطلق والمقيد

ولو سلم فلانسلم انهما متعلقان بفعل واحد كيف وان من الاولى متعلقة بالطلب المستفاد من السين ومن الثانية بمادة المغفرة والمراد من القول اللفظي وقوله بلا عمل ظرف مستقر صفة لقول اى من قول ملتبس بترك العمل والتنوين في كل من القول والعمل عوض عن المضاف اليه اي من قول في ملتبس بترك عملي وقوله لقد نسبت جملة استينافية معانية كأنه قيل لم تستغفر من القول الفصيحة المشتمل على المصالح العاري عن المفاسد والقبائح فقال مجيبا لقد نسبت اللام لتوطئة القسم والنسبة بمعنى الاضافة والباء في به للسببية وضميره راجع الى قول بلا عمل والنسل الولد كما في الحديث تناكحوا تناسلوا وهو مفعول نسبت والمراد بالولد والنسل العمل مجازا واستعارة حيث شبه العمل بالولد في كونهما منتفعا بهما فكما ان الولد ينتفع به في الدنيا كذلك العمل ينتفع به في الآخرة واستعير العمل لمفهوم الولد فذكر الولد واريد العمل ولذي متعلق بنسبت والعقم بالضم داء لادواء له وهو عدم قبول الرحم او الصلب الولد واراد بذي عقم نفسه حيث شبه نفسه الغير العامل برجل ذي عقم في عدم انتاج الشيء ثم استعار الرجل الذي له عقم لنفسه فذكر ذو عقم واريد نفسه وحاصل معنى البيت استغفر الله تعالى من قولي آمرا وناهيا بلا عمل لان الظاهر ان الآمر بالخير والناهي عن الشر مؤتمر به ومنته عنه فلما لم يكن مؤتمرا به ومنتهيا عنه في نفس الامر كان ذلك كنسبة الفضل الى غير اهله كنسبة الولد الى رجل ذي عقم وهو معصية وعصيان لانه زور و بهتان مع ان مثل هذا الكلام الذي لايعمل به صاحبه لايفضي الى اتيان المرام كما قيل ان القول الذي يخرج عن اللسان ان لايبلغ الآذان والذي يخرج عن الجنان وقع عليه الجنان وفي حديث روى عن اسامة بن زيد انه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول مررت ليلة اسري بي الى السماء باقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من هؤلاء ياجبرائيل قال خطباء امتك الذين يقولون مالايفعلون وههنا حكاية لطيفة اوردها اسماعيل الحقي في تفسيره وهي ماروى انه كان عالم من العلماء مؤثر الكلام قوي التصرف في القلوب وكان كثيرا ما يموت من اهل مجلسه واحدا او اثنان من شدة تأثير وعظه وكان في بلدة ذلك العالم عجوز لها ابن صالح رقيق القلب سريع الانفعال وكانت تحذره وتمنعه عن حضور مجلس الواعظ فحضره يوما على حين

غفلة منها فوقع من امر الله ماوقع ثم ان العجوز لقيت الواعظ يوما في الطريق فقالت

* اتهدى الانام ولا تهتدى ■ الا ان ذلك لاينفع *
* فيا حجر الشحذ حتى متى ■ تحد الحديد ولاتقطع *

فلما سمعه الواعظ شهق شهقة فخر عن فرسه مغشيا عليه فحملوه الى بيته فمات فيلزم لك العمل بكل ماتكلمت به

﴿ أَمَرْتُكَ الخَيْرَ لكِنْ ما ائْتَمَرْتَ بِهِ * وما اسْتَقَمْتَ فَما قَوْلِي لَكَ اسْتَقِمِ ﴾

لما كان عدم عمله في قوله غير معلوم بينه بقوله امرتك الخير الخ قال شيخ زاده انما ترك العاطف بين قوله امرتك و بين قوله نسبت لان بينهما كمال الاتصال لانه تفسيره وبيانه والامر صيغة تدل على طلب الفعل استعلاء فان قيل لم خص الامر بالذكر دون النهي وقد سبق منه امر ونهي قلنا اراد بالامر مايعمهما كما يقال امر السلطان ان لايؤذى احد احدا والخير بالنصب من قبيل الحذف والايصال اى بالخير والخير ماله عاقبة حميدة ولما كان قوله امرتك الخير موهما انه عمل به لانه لازم له في الشرع استدرك وقال لكن ما ائتمرت به والائتمار لازم وهو قبول الامر وما استقمت عطف على ما ائتمرت والاستقامة دوام قيام العلم والعمل بلا ترك وانما نفى الاستقامة لانها امر عظيم ولذا قال عليه السلام شيبتني سورة هود كما روى عن بعض الصلحاء انه قال رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في النوم فقلت له روى عنك انك قلت شيبتني سورة هود فقال نعم فقلت فالذى شيبك منها اقصص الانبياء ام هلاك الامم قال عليه السلام لا ولكن قوله فاستقم كما امرت وذلك لان حقيقة الاستقامة هي الوفاء بالعهود كلها وملازمة الصراط برعاية حد التوسط في كل الامور من الطعام والشراب واللباس وفي كل امر ديني ودنيوى ترغيب وترهيب وذلك هو الصراط المستقيم في الاخرة والتمشي على هذا الصراط الذى يقال له الاستقامة الاعتدالية عسير جدا كما قال في بحر العلوم الاستقامة على جميع حدود الله على الوجه الذى امر الله بالاستقامة عليه مما يكاد يخرج عن طوق البشر ولذلك قال عليه السلام شيبتني سورة هود فكل من كان اتم معرفة كان اتم استقامة وقال ابو على الجرجاني كن طالب الاستقامة لاطالب الكرامة

فان نفسك متحركة في طلب الكرامة و ربك يطلب منك الاستقامة فالكرامة الكبرى الاستقامة في خدمة الخالق لا باظهار الخوارق وقيل لبعض الاولياء فلان يمشى على الماء فقال و كذلك الضفدع والسمك ثم قيل فلان يطير في الهواء فقال و كذلك الذباب ثم قيل فلان يذهب من المشرق الى المغرب في ساعة فقال وكذلك الشيطان فقيل له ماالمقبول عندك قال الاستقامة في الدين وقوله فما قولى الخ الفاء للعطف وهو معطوف على قوله امرتك عطف الانشائية على الخبرية لفظا وعطف الانشائية على الانشائية نظرا الى المعنى المقصود ولان قوله امرتك في الصورة اخبار وفي المعنى انشاء تحسر وتأسف على حاله كما في قوله * هواى مع الركب اليمانين مصعد ■ اومن عطف الخبرية على الخبرية لان معنى قوله فما قولى لك ماينبغي ان اقول لك ومافي قوله فما استفهامية يتولد منها معنى مناسب للمقام مثل التوبيخ والتعجب والاعتراف بالقصور ومثل الانكار وقوله لك متعلق بالقول فالقول هنا بمعنى الخطاب لانه مستعمل باللام وقوله استقم امر من استقام و جملته مقول قول لقولى اى فاخطابي لك باستقم فان قلت اين امره باستقم بل هو غير موجود فلايستقيم هذا القول لانه لم يسبق منه هذا القول قلنا وان لم يسبق منه هذا القول تصريحا لكنه قد سبق تلويحا وضمنا اذ المقصود مماقبله تطويع النفس الامارة واطاعتها للنفس المطمئنة بحيث تأتمر بامرها وتنتهى بنهيها وذلك لايحصل الا بالاطاعة لها حتى تستقيم وبالجملة انه وان لم يسبق لفظ استقم لكن سبق معناه والمراد ههنا معناه لا لفظه وحاصل المعنى انى مسيء وعاص لانى امرتك و نصحتك بالخير مع انى ماانتصحت وما استقمت به وقلت لك استقم فعجبا ما فائدته اذ وعظ الغير المتعظ غير مؤثر في السامع كما قيل * ولايستقيم الظل والعود ■ اعوج * وكقوله الشاعر

وغير تقى الناس يأمر بالتقى ■ طبيب يداوى الناس وهو مريض ■

ولذا قيل لبعض الواعظين عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحى من الله تعالى ولكن يلزم للمؤمن ان يقبل قول كل واعظ ولا ينظر اليه لان الحكمة ضالة المؤمن اينما وجدها اخذها * اف من شر نفسي لم احصل بها راحلة ولم ادرك بسببها رفيقا وقافلة

﴿ وَلا تَزَوَّدْتُ قَبْلَ المَوْتِ نافِلَةً * وَلَمْ اُصَلِّ سِوى فَرْضٍ وَلَمْ اَصُمِ ﴾

لما كان قوله فيما سبق لكن ما ائتمرت به نظريا و خفيا بينه وكشفه فقال ولاتزودت الخ الواو عاطفة و تكرير لا لتأكيد النفي والتزود من باب التفعل من الزاد وهو الطعام الذي اتخذ للسفر والمراد منه ههنا الطاعات والعبادات ففيه استعارة مكنية شبه نفسه في الذهن بالرجل الذي يريد السفر في كونهما محتاجين لاتخاذ مايلزم لهما فكما ان مريد السفر من مكان يلزم له اتخاذ زاد والراحلة فكذلك يلزم للنفس التي تريد السفر من الدنيا الى الآخرة اتخاذ زاد وهو تقوى الله و الاعمال الصالحة ثم استعير في الذهن الرجل الذي يريد السفر لنفسه ثم في الخارج ذكر المشبه اعني نفسه حيث ذكر بضمير التكلم واريد المشبه نفسه وللرمز والاشارة الى هذه الاستعارة التي في الذهن اثبت التزود الذي من لوازم المشبه به الى المشبه وهذا الاثبات تخييلية ويحتمل ان يكون في تزودت استعارة مصرحة وتبعية بان يشبه كسب العبادات والاتقاء والسير الى الله باتخاذ الزاد للسفر في كونهما منتفعا بهما ثم استعير التزود الذي هو اتخاذ الزاد للسفر للاتقاء من الله التي هي اتخاذ الزاد للآخرة فذكر التزود الذي هو اتخاذ الزاد للسفر واريد منه كسب العبادات والاتقاء من الله وبتبعية هذه الاستعارة اشتق صيغة تزودت من المصدر الذي هو التزود وصيغة اتقيت من الله من المصدر الذي هو الاتقاء وشبه اتقيت بصيغة تزودت ثم ذكر هيئة تزودت واريد اتقيت ونكتة المجاز اي التعبير بتزودت دون اتقيت وتقلت اشارة الى ان الدنيا دار رحلة والناس عابروا سبيل فلابد من الزاد واثاث السفر كما قال عليه السلام (كن في الدنيا كانك غريب او عابر سبيل وعد نفسك من اصحاب القبور) فكما ان الزاد وصلة الى قرب المقصود كذلك النافلة وصلة الى قرب الله تعالى كما قال تعالى في الحديث القدسي لايزال العبد يتقرب الي بالنافل حتى احبه و قوله نافلة بالنصب مفعول تزودت والمراد من النوافلة قربة ليست بواجب ولافرض وقوله ولم اصل عطف تفسير لما قبله ودفع لتوهم انه لم يصل الفرائض ولم يصمها وهو بمعنى ولم اتم الصلاة والفرض في اللغة التقدير والقطع وفي الشرع ماثبت بدليل قطعي لاشبهة فيه و قوله ولم اصم عطف على لم اصل ومفعوله محذوف بقرينة سابقة اي لم اصم سوى فرض والصوم في اللغة الامساك وفي الشرع عبارة عن امساك مخصوص من الاكل و الشرب و الجماع من الصبح الى المغرب والفرضان في الموضعين صفة موصوف محذوف اي صلاة

فرض وصوم فرض فان قلت الاقامة بالفرض خير وفيه ثواب وله عاقبة جيدة فهلا بينا في هذا القول بقوله لكن ما ائتمرت بالخير قلت تنوين فرض للتقليل والمراد اني ماقمت بحق العبودية حق القيام بزيادة النوافل في الليالي والايام والصلاة والصوم المفروضان دينيان كأنه لم يجعلهما معتدا بهما في جنب الامتثال لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الاليعبدون* وحاصل معنى البيت ما جعلت شيأ من النوافل زاد السفر قبل الفوت ولا تهيأت للوصول الى مراتب الكمال قبل الموت واقتصرت من قصور همتي على فرض الصلاة والصيام وما قمت بحق العبودية حق القيام بزيادة النوافل كما زاد السلف كما نقل ان الجنيد كان يدخل كل يوم حانوته و يرسل الستر و يصلي اربعمائة ركعة ثم يعود الى بيته وعن ابي عبدالله بن خفيف انه كان يقول ربما كنت اقرأ في ابتداء امري في ركعة واحدة عشرة آلاف مرة قل هو الله احد وربما كنت اقرأ في ركعة واحدة القرآن كله وربما كنت اصلي من الغداة الى العصر الف ركعة وفي بعض الكتب قال شريك كنت مع ابي حنيفة رحمه الله تعالى سنة فما رأيته وضع جنبه على الارض وكان اصحابه يشهدون انه كان يصلي صلاة الغداة بوضوء العشاء وقال شعبة حسست اباحنيفة وقت دخول الناس مضاجعهم فخرج من منزله ودخل المسجد واشتغل بالصلاة فلم اقدر على السهر والقيت حصيات في نعليه ورجعت فعند قرب الصبح رجعت فوجدته في مكانه يدعو و يبكي ونظرت نعليه والحصيات باقية والتفصيل في المطولات واما الصوم فما ذكر في الرسالة القشيرية كان سهل بن عبد الله يفطر في كل خمسة عشر يوما مرة وفي رمضان الى رؤية الهلال وكان في كل ليلة يفطر بالماء القراح وابو تراب النخشبي اكل اكلتين من البصره الى مكة وابو عثمان المغربي يقول الرباني يأكل مرة في اربعين يوما والصمداني في ثمانين يوما وروى ان سهلا اقتات بثلث درهم في ثلاث سنوات كذا ذكره في شرح الطريقة

* خالفت امر رسول شانه قد علا * ولم اطع قوله في كل امر جلا ■

* ظَلَمتُ سُنَّةَ مَن اَحيَى الظَّلَامَ اِلَى ■ اَن اشتَكَت قَدَمَاهُ الضُّرَّ مِن وَرَمِ *

لما فرغ من الفصل الثاني الكائن في بيان معرفة النفس من كونها امارة بالسوء وكونها غير معدة عملا صالحا وكونها مشتغلة بالهوى وكونها قابلة

للتربية كالطفل وبيان تربيتها والاستغفار مما عملت من المحارم شرع في الفصل الثالث في مدائح النبي عليه السلام فقال ظلمت سنة من الخ بترك الواو الواصلة اشارة الى ربط ولطافة فان قلت وما المناسبة بين الفصلين قلت انه لما بين في الفصل المقدم معرفة النفس اراد ان يبين في هذا الفصل معرفة الرب غلا بما ورد من عرف نفسه فقد عرف ربه ومعرفة الرب انما تكون بمعرفة النبي فيكون مدحه صلى الله تعالى عليه وسلم راجعا الى مدح الله تعالى اذ مدح النقش راجع الى مدح نقاشه كما لا يخفى وانما اختار صيغة المتكلم وحده اظهارا لتذلله في مقام مدح النبي واعلاما لاستقلال مدحه بانه لايشوب في مدحه مدح غيره وظلمت مشتق من الظلم وهو في اللغة وضع الشئ في غير موضعه وفي الشرع التجاوز عن الحق الى الباطل والتصرف في ملك الغير بغير اذنه والمراد هنا الترك مجازا من معناه اللغوي لانه يلزم لوضع الشئ في غير موضعه ترك موضعه الاصلي فيكون من قبيل ذكر الملزوم وارادة اللازم وسنة بالنصب مفعول ظلمت وهي في اللغة الطريقة وفي الشرع الطريقة المسلوكة في الدين غير فرض ولا واجب فالسنة ان واظب النبي عليها كانت مؤكدة وان لم يواظب كانت سنة الهدى وههنا اعم من السنن المؤكدة وسنة الهدى فالمراد الطريقة الشريفة الحنيفية المنسوبة الى النبي عليه الصلاة والسلام التي من سلك فيها يصل الى مقصوده ومن موصولة والمراد به النبي عليه الصلاة والسلام وانما ابهمه للتفخيم اي سنة الذات الفخيم العظيم الكريم الحليم النبي المخلص الرحيم الذي احيي وهو بمعنى ترك النوم للعبادة مجازا لان النوم يشبه الموت في انتفاء الادراك وانتفاء الانتفاع وكذلك اليقظة تشبه الحياة ففي احيي استعارة مصرحة وتبعية حيث شبه ترك النوم للعبادة بالاحياء في الانتفاع والسرور فاستعير الاحياء لترك النوم للعبادة فذكر الاحياء واريد ترك النوم للعبادة وبتبعية هذه الاستعارة اشتق من الاحياء صيغة احيي ومن ترك النوم للعبادة صيغة ترك اوسهر وشبه ترك باحيي بواسطة العلاقة في مصدرهما فذكر احيي واريد ترك النوم للعبادة وانما قيدنا ترك النوم بقولنا للعبادة لان ترك النوم للفسق والمعاصي لايعد احياء بل اماتة وخسرانا والظلام بالفتح ذهاب النور والمراد به الليل مجازا من قبيل ذكر اللازم وارادة الملزوم وايقاع احيي على الظلام مجاز كما كان الطرفان

مجازين بمعنى احيي الظلام يعني ترك نيامه في الاوقات اللطيفة الشريفة المباركة التي يكون فيها خير الانام مشتغلا بالوحي والالهام في الليالي المظلمة الخالية عن الاغيار والرقباء النائمة وقوله الى ان اشتكت الى للانتهاء متعلق باحيي وان مصدرية واشتكت من الاشتكاء وهو اخبار المظلوم عن ظلم من لايستطيع دفع ظلمه فاشتكت بمعنى اظهرت الشكوى كما في قوله

شكوت وما الشكوى لمثلي بعادة ❊ ولكن تفيض الكأس عند امتلائها ❊

وههنا ليس على معناه الاصلي بل هو الاظهار والدلالة على الوجع الناشئ من العوارض البشرية والامور الحسية اي اظهرت وذات قدماه اي رجلاه المكرمتان المحترمتان اللتان تراب نعلهما كحل عين العالمين والضر بالفتح او الضم شدة الحال وهو بالنصب مفعول اشتكت وقوله من ورم حال من الضر او بيان له والورم بفتحتين الانتفاخ يعني ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزل عليه الوحي اجتهد في العبادة وكان يصلي الليل كله ويقوم على احدى رجليه تخفيفا على الاخرى لطول القيام ويتعب نفسه كل الاتعاب حتى ورمت قدماه المحترمتان المكرمتان وانتقلتا من الحالة الاولى الى الحالة الاخرى فانزل الله تعالى تسلية لنفسه الشريفة وتخفيفا له عليه الصلاة والسلام ولامته الضعيفة (طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى) اي ضع يا محمد قدميك على الارض ولاتتعب نفسك فان لها عليك حقا لانا ما انزلنا عليك القرآن العظيم لتتعب نفسك وتجعلها في حالة تقرب الهلاك ثم كانت عادته عليه الصلوة والسلام بعد هذه الآية انه يقوم بعد ثلثي الليل ويتهجد ثم اعلم ان المفسرين قالوا كانت صلاة التهجد فرضا له عليه الصلاة والسلام لا لامته بقوله تعالى (فتهجد به نافلة لك) الآية فكان هذا من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم انهم قالوا ان التهجد سنة لامته عليه الصلاة والسلام كيف وقد قال عليه الصلاة والسلام ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل الاخير خير له من الدنيا ومافيها ولولا ان اشق على امتي لفرضتهما وفي حديث آخر مازال جبرائيل يوصيني بقيام الليل حتى ظننت ان خيار امتي لاينامون ثم انهم قالوا ان التهجد من اربعة الى اثنى عشر وقال بعضهم من اثنين الى اثنى عشر ثم انهم اختلفوا في ان التهجد هل يطلق على قيام الليل كله اولا والاصح عند الخادمي على ماذكره في شرح الطريقة مايكون بعد النوم فان قيل لم قدم الناظم الفاهم هذا المدح من مدائحه عليه السلام على غيره قلت اشارة الى ان هذه

الخصلة الحميدة اشرف الخصال واكرم الفعال مع مافى هذا المدح من التوبيخ لامته من انه عليه الصلوة والسلام كان يعبد ربه غاية العبادة ويطيع له غاية الاطاعة مع رفعة جاهه وعلو منصبه حتى قيل له حين ورمت قدماه المحترمتان اتتكلف وقد غفرلك ماتقدم من ذنبك وما تأخر فقال افلا اكون عبدا شكورا اى على ماانعم ربى على من المغفرة مع ايمائه عليه الصلوة والسلام فى ذكر لفظ العبد الى انه لابدله من القيام بوظائف العبودية والمبالغة فى اداء شكر حقوق الربوبية وانكم ايها الامة مع كونكم مختلطين بالمعاصى والذنوب بل بترك اوامر علام الغيوب لاتعبدون الله وتنامون من المساء الى الصباح كانكم مبشرون بالجنة والكوثر والفلاح فهيهات ماتظنون والله خلقكم للعبادة وانكم لاتعملون فان قيل لم قدم من بين عباداته عليه الصلاة والسلام احياء الليالى قلت اقتداء بالنظم الكريم لانه تعالى كما ذكر فى القرآن الصوم قدم عليه الصلاة ولان قيام الليالى افضل العبادات لان الليل يكون فيه بين العابد والمعبود خلو من الاغيار وتكون فيه الدعوات اسرع اجابة اذهو وقت الاخيار ولذا قيل ان العابد فى الليالى يستحق اجرين اجرا الترك النوم واجر العبادة مع ان ترك النوم فى الليالى الكثيرة المتوالية واحياء جميعها بالصلاة لايقدر عليه الارسول الله الوهاب ❊ الهى لاتجعلنا ممن ضل وغوى فاخذته بذنوبه فتوى ❊ واحشرنا فى زمرة من لاينطق عن الهوى ❊

❊ وَشَدَّ مِنْ سَغَبٍ اَحْشَاءَهُ وَطَوَى ❊ تَحْتَ الْحِجَارَةِ كَشْحًا مُتْرَفَ الْاَدَمِ ❊

لمابين عبادته صلى الله تعالى عليه وسلم التى هى الوسيلة الى الدرجات العليا فى العقبى شرع فى بيان مقام زهده فى الدنيا واختياره الرياضة فى مرضاة المولى فقال وشد من سغب الواو عاطفة فجملة شد معطوفة على احيى ومعنى شد عقد وكلمة من سببية اى بسبب سغب والسغب بفتحتين الجوع مطلقا وقيل السغب الجوع المقارن بمشقة وتعب والمعنى هنا عقد من اظهار سغب ليستن به غيره من الصحابة الكرام عليهم رضوان الملك العلام والا فهو صلى الله تعالى عليه وسلم لايجوع لان قلبه مملوء بنور مولاه لايحتاج الى الاكل وشرب المياه مع انه يطعمه ربه ويسقيه كما ورد فى حديثه عليه الصلاة والسلام انا ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى واحشاءه بالنصب مفعول شد وضميره راجع الى

الموصول والاحشاء جمع حشى بمعنى القلب وانما جمع مع انه ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه للتعظيم والتفخيم كما فى قوله تعالى (فنعم الماهدون) فيكون مجازا واستعارة بان شبه قلبه عليه الصلاة والسلام بالقلوب الكثيرة فى العظم والخطر ثم استعير القلوب لقلبه عليه الصلوة والسلام وذكر القلوب واريد منها قلبه عليه الصلوة والسلام وقوله وطوى عطف على شد عطف تفسير فحرف العطف بمعنى حرف التفسير او من قبيل عطف العلة على المعلول فحرف العطف بمعنى اذ ومعنى طوى لف وقال الشهاب فى شرح الشفاء فى معنى الحديث انه قال ابن عباس كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يبيت هو واهله فى الليالى المتتابعة طاويا لايجدون عشاء الطى بمعنى الجوع لكن الانسب لهذا المقام كونه بمعنى اللف كما لايخفى واذا كان بمعنى اللف يكون المراد ههنا تداخل الجسد بعضه فى بعض لانتهاء الجوع الى حد الكمال وقوله تحت الحجارة ظرف لطوى بتضمين معنى الوضع وكشحا بالنصب مفعول طوى والكشح بالفتح والسكون مابين الخاصرة والضلع ومترف بالنصب حال من الكشح وهو اسم مفعول من الاتراف بمعنى النعومة فالمراد من المترف المفرط فى النعومة واللطافة والادم بفتحتين جمع اديم وهو بمعنى الجلد واضافة المترف اليه من اضافة الصفة الى موصوفها اى الجلد الناعم اللين وحاصل المعنى انى ماسهرت وتركت سنة الذات الفخيم والنبى الحليم المخلص الصفى الذى عقد بطنه الشريف اللطيف لاظهار جوعه الى الاصحاب ليستنوا به ووضع خاصرته اللطيفة الناعمة الجلد تحت الحجارة المقبولة المباركة لتدفع برودة الحجر عنه عليه الصلوة والسلام حرارة الجوع وحاصل معنى البيت اما كناية عن مبالغة رياضته عليه السلام لانه عليه الصلوة والسلام كان فى اكثر اوقاته دائم الجوع حتى قالت عائشة رضى الله تعالى عنها بكيت لما رأيت به من الجوع وشدة السغب فقال ياعائشة والذى نفسى بيده لوسئلت ربى ان يجرى معى جبال تهامة ذهبا لاجراها حيث شئت من الارض ولكن اخترت الجوع فى الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غنائها وحزن الدنيا على فرحها ياعائشة ان الدنيا لاتنبغى لمحمد ولا آل محمد الحديث وفى حديث آخر قالت عائشة قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عرض على ان يجعل بطحاء مكة ذهبا فقلت لايارب اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم الذى اجوع فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذى اشبع فاحمدك واثنى عليك

وفى الرسالة القشيرية ان فاطمة رضى الله عنها جاءت بكسرة خبز لرسول الله عليه السلام فقال ماهذه الكسرة يافاطمة قالت قرص خبزته فلم تطب نفسى حتى اتيتك بهذه الكسرة فقال اما انه اول طعام دخل فم ابيك منذ ثلاثة ايام واما اشارة الى ماوقع فى غزوة الخندق وبيانه انه عليه السلام لما اخرج بنى النضير من اليهود من اطراف المدينة ذهب ابو عمرو الراهب منهم الى مكة لتحريك المشركين للمحاربة مع النبى فجاء الى بيت ابى سفيان حين جهالته فاخبره بالحال فاكرمه ابو سفيان وشرع فى جمع عسكر فجمع مقدار عشر آلاف من الاحزاب وخرجوا الى جانب المدينة فوصل هذا الخبر الى سمعه عليه السلام فاستشار مع الاصحاب فقال سلمان الفارسى يارسول الله ان فى بلاد العجم اذا هجم العدو فى بلدة ولم يقدر اهل البلدة على محاربتهم يحفرون اطراف تلك البلدة ويجعلونها خندقا ويحفظونها فاستصوب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا الرأى فشرعوا فى حفر الخندق خمسين يوما ثم جاء العدو فحاصروا المدينة تسعة وعشرين يوما فوصل للمسلمين فيه مشقة كثيرة واستولى عليهم خمسة انواع من المشقة الاول القحط والثانى كثرة الاعداء والثالث خوف القتل والرابع الجوع والخامس شدة البرد حتى رحم النبى عليه السلام حال الصحابة ونادى من يأتينى باخبار العدو فهو رفيقى فى الجنة ولم يجيبوله عليه السلام لشدة جوعهم وعدم طاقتهم على الذهاب ثم صرح باسماء اربعة من الصحابة فقالوا يارسول الله لايحركنا من موضعنا مامعنا من الجوع والبرد ثم دعا حذيفة بن اليمان وارسله للاستخبار فذهب فجاء بخبر فرارهم وهلاكهم من شدة البرد وروى انه عليه الصلوة والسلام ربط على بطنه الشريف حجرا دفعا لثقل الجوع وتعليما للاصحاب ولذا كان سنة لمن كان جايعا ولم يجد خبزا ان يعقد حجرا على بطنه لانه يسكن الم الجوع وهذا من هدايا النبى عليه السلام اللهم لاتبتلنا فى الدنيا بالكرب واجعل رتبتنا فى الدارين ارفع الرتب بحرمة النبى ذى المجد والحسب

وَرَاوَدَتْهُ الْجِبَالُ الشُّمُّ مِنْ ذَهَبٍ ■ عَنْ نَفْسِهِ فَأَرَاهَا اَيَّمَا شَمَمِ

فلما توهم العوام من عقده عليه السلام على بطنه الشريف اللطيف المملوء بالحكم الالهية الحجارة لاجل السغب الظاهرى ان رياضته عليه السلام وشده الحجر لضرورته واحتياجه دفع الناظم ذلك المقام فقال وراودته الجبال الخ

الواو عاطفة والجملة معطوفة على القريب او البعيد والمراودة المطالبة بالجد والاشتهاء وصيغة المفاعلة اذا لم تكن للمبالغة فهى للمبالغة وضمير المفعول راجع اليه صلى الله عليه وسلم او المراودة بمعنى المجيئة والجبال بالرفع فاعل راودت وهى جمع جبل والشم بضم الشين جمع اشم بمعنى الرفيع غاية الرفعة وهى صفة الجبال اى جاءت الجبال الرفيعة اوطلبت الجبال الرفيعة ومن ذهب صفة الجبال اوحال منها والالف واللام فى الجبال للعهد اذ الجبال التى راودت الرسول عليه السلام خمسة جبال فى حوالى مكة المكرمة اعنى جبل ابى قبيس وجبل حرا وجبل ثور وجبل بطحاء وجبل عرفات وعن نفسه متعلق براودته بتضمين معنى الميل يعنى ان الجبال الرفيعة طلبت النبى عليه الصلاة والسلام مائلة لنفسه عليه الصلاة والسلام والفاء للتعقيب بلا تراخ وارى ماض من الاراءة فاعله راجع الى النبى عليه السلام وضمير المفعول راجع الى الجبال ومفعوله الثانى محذوف اى ارى رسول الله عليه السلام الجبال حين عرضت نفسها عليه شمما واستغناء ايما شمم وما زائدة وقيل صلة للتأكيد واى صفة موصوف محذوف هو مفعول ثان لارى واى يفيد فى هذا المقام معنى الكمال لانهم قالوا ان اى ان كان مضافا الى ماهو من جنس الموصوف فهو يفيد الكمالية كما تقول رأيت رجلا اى رجل اى كامل فى الرجولية والمعنى شمما واستغناء فى غاية الاستغناء وكمال الارتفاع وحاصل المعنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرض عن الدنيا واقبل على المولى وآثر متاعب الفقر الظاهرى على مناصب الغنى حتى ان الجبال الشامخة عرضت نفسها عليه ومالت غاية الميل اليه رجاء ان يوقع النظر عليها فترفع عن الالتفات اليها وفى هذا البيت اشارة الى ماروى ان جبرائيل عليه السلام نزل عليه فقال ان الله يقرؤك السلام ويقول لك اتحب ان اجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك اينما كنت فتوقف ساعة فقال ياجبرائيل ان الدنيا دار من لادار له ومال من لامال له قد يجمعها من لاعقل له فقال له جبرائيل عليه السلام ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت وفى هذا الحديث برهان شاف وبيان كاف على فضل الفقير الصابر على الغنى الشاكر كما اجتمعت عليه السادات السنية والطائفة الصوفية والى هذا المقام اشار من قال من ارباب الكمال همة الرجال تهدم الجبال وفى هذا البيت تلميح الى قوله تعالى وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وايماء مليح الى مزية

فضيلة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على يوسف عليه السلام من وجوه لان المراودة ليوسف عليه الصلاة والسلام كانت لحسنه الغير الاختيارى ولانها كانت هناك على ماحرم الله تعالى ولانها كانت هناك من ذى عقل تتصور المراودة منه ولان يوسف عليه السلام اختار فى الدنيا ما يزيد فى اللذة واما المراودة لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فوقعت لخلقه الاختيارى وعلى ما اباحه الله تعالى ومن جماد لاتتصور المراودة منه وانه عليه السلام مااختار لذة الدنيا مع انه تعالى قال له عليه السلام لاحساب لما اخذته من الدنيا فعلى هذا يكون فى هذا البيت استعارة تمثيلية بان تشبه الهيئة المنتزعة من الجبال ومراودتها عن نفسه عليه السلام وعدم ميله عليه السلام اليها بالهيئة المنتزعة من زليخا ومراودتها عن نفس يوسف عليه السلام وعدم ميله اليها فى الطلب المطلق فاستعير الهيئة المنتزعة من المشبه به للهيئة المنتزعة من المشبه فذكر المراودة الدالة على مراودة زليخا واريد مراودة الجبال وقال الشارح الشرخينى ان الاشم من الشمم وهو الانف ومعناه طلبت الجبال التى هى اولوا انف ميل نفسه عليه السلام اليها يعنى ان الجبال انحنت واطالت انفهما اى طرفهما الذى كالانف فى الانسان الى النبى عليه السلام فما مال اليه اصلا بل اظهر الترفع والاستغناء

﴿ واكدت زهده فيها ضرورته ✻ ان الضرورة لاتعدو على العصم ﴾

لما توهم المتوهم ان ضرورته واحتياجه يكون مانعا لعبادته وزهادته دفعه فقال واكدت زهده الخ الواو عاطفة اوابتدائية واكدت من التأكيد والتأكيد والتوكيد هو التقرير والتثبيت والزهد قلة الرغبة فى الشئ وفى الاصطلاح الاعراض عن الدنيا وترك راحته روى ان رسول الله عليه السلام كان مضطجعا على سرير مفروش بشئ خفيف رطب اخضر وتحت رأسه وسادة من اديم مملوءة بليف فدخل عليه عمر رضى الله تعالى عنه مع جماعة من الصحابة فانحرف النبى عليه السلام فرأى عمر اثر الفراش فى جنبه عليه السلام فبكى فقال عليه السلام ما يبكيك ياعمر فقال فكيف لاابكى ان كسرى وقيصر يتنعمان فيما يتنعمان فيه من الدنيا وانت على هذه الحالة فقال عليه السلام ياعمر اما ترضى ان يكون لهم الدنيا ولنا الاخرة قال بلى فنزل جبرائيل وقال سنة الله قدجرت على ان لذة الآخرة

تنقص على كل احد بحسب ازدياد لذة الدنيا فكلما كانت لذة الدنيا اكثر كانت لذة لآخرة اقل كما فى قوله تعالى (اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا) لكن الله يقول قل لمحمد خذ من عظائم الدنيا ماتريد واطلب ما تشاء فانك مجاب لاننقص من لذتك فى الاخرة بسبب لذتك فى الدنيا فقال عليه السلام والله خير وابقى ثم ان زهده بالنصب على انه مفعول اكدت والضمير راجع اليه عليه الصلاة والسلام وفيها متعلق باكدت ايضا وضميره راجع الى الدنيا المذكورة ضمنا والاول اما ان يكون راجعا الى الجبال وضرورته بالرفع فاعل اكدت والضرورة شدة الاحتياج ومنها الاضطرار وضد الاختيار والاحتياج وان لم يكن فى نبينا عليه السلام حقيقة لكن يكون المراد منه الضرورة الظاهرية والاحتياج الحسى وقوله ان الضرورة الخ استيناف كانه قيل كيف تؤكد الضرورة الزهد فيها مع ان الضرورة توقع الانسان فى المهالك وقد اشار اليه عليه السلام الى مشقة الضرورة وعدم تحملها كل احد فى قوله كاد الفقر ان يكون كفرا فقال مجيبا ان الضرورة لاتعدو على العصم ويمكن ان يرتب فيه قياس تقريره هكذا ان الضرورة لاتعدو على النبى لان الضرورة لاتعدو على العصم والنبى عصم ينتج من غير متعارف الشكل الثانى الضرورة لاتعدو على النبى فان قيل لم اظهر فى مقام الاضمار لانه المناسب ان يقول انها قلت لضرورة الشعر ولئلا يختل مرجع الضمير لانه لوقال لانها لتوهم ان ضميره راجع الى مرجع ضمير فيها كما لايخفى وتعدو من عدا عليه اذ غلبه واستولى عليه فمعنى لاتعدو لاتغلب ولاتستولى والعصم جمع عصمة وهى قوة زاجرة اودعها الله تعالى فى خواص انبيائه واكابر عباده تمنعهم عن التعرض لمنهياته مع بقاء اختيارهم وقدرتهم والعصمة مصدر هنا بمعنى المفعول اى المعصوم وحاصل المعنى قداكد فقره الظاهرى واحتياجه الحسى زهده واعراضه عن الدنيا وعدم اقباله على الجبال العليا مع كونها ذهبا فتعب نفسه تعبا فكيف تكون ضرورته غالبا عليه مع ان ضرورته تابعة لعصمته الاحمى وتأييداته الكبرى ومغلوبة له والمغلوب لايستولى على الغالب بخلاف ضرورة سائر الناس فانها غير تابعة لهم فجاز ان تغلب عليهم وتجذب هممهم الى زخارف الدنيا وزهرتها حفظنا الله تعالى منها

﴿ وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من ✻ لولاه لم تخرج الدنيا من العدم ﴾

لما بين رياضته الشديدة ومجاهدته السديدة اراد ان يشرع فى بيان

افضليته وعيان اشرفيتــه لكن مع ربط انيـق وترتيب رشيق حيث كان هذا البيت تأكيدالماقبله فقال وكيف تدعو الخ الواو عاطفة على مقـدر اى انه عليه الصلوة والسلام مائل الى الله تعالى فقط وكيف تدعوه الدنيا ونعيمها والجنة ونعيمها وفيه اشارة الى حديث قدسى (الدنيا حرام على اهل الآخرة والآخرة حرام على اهل الدنيا وكلاهما حرامان على اهل الله تعالى والى ان الدنيا والآخرة لا تجتمعان على وجه الكمال ولذا قيل انهما ضرتان اومثل كفتى الميزان (وقال صلى الله تعـالى عليه وسلم من احب دنياه اضر باخرته ومن احب آخرته اضر بدنياه فآثروا مايبقى على مايفنى) وكيف استفهام انكارى وتدعو من الدعوة وفاعـله ضرورة ومفعوله محذوف اى تدعوه صلى الله تعالى عليه وسلم ضرورته والدنيا نقيض الآخرة وهى اما ماعـلى الارض من الهواء والجو واما كل المخلوقات من الجواهر والاعراض قبـل الآخرة والاصل فى الدنيا دنوى بدلالة قولهم دنوت الى الشئ دنوا فقلبت الواو ياء ولم تقلب مثل ذلك فى القصـوى لانه ذهب بالدنيا مذهب الاسم فى قولهم الدنيا والآخرة وان كان اصلهـا صفة فخففت لان الاسم احق بالتخفيف ثم ان المسموع من العرب فى النسبة الى الدنيا دنى ودنيوى ومنهم من شبه الفها بالف بيضاء فى كونهما علامتى التأنيث فقال فيها دنيـاوى واما الحاق الهمزة بها فلاوجه له لانه اسم مقصور غير منصرف والهمزة انما تلحق الممدود المنصرف ثم ان الدنيا نصبها بالتنوين غلط لان دنيا وماهو على وزنها لاينون فان قيل لم سميت الدنيا دنيا قلت اما الدنوها اى لقربها الى الآخرة اولقرب مشتهيا تهـا فى القلب اولدناءتهـا وخسـاستهـا ولذا من اتبع الدنيا يكون خسيسا فان قلت اوقبل النبى عليه الصلوة والسلام اموال الدنيـا وانفعها الى الفقراء هلا يكون حسنا من الفقر قلنـا لا يكون حسنا لانه لوقبل المال وصرفه الى الفقراء يكون برا ولولم يقبل لكان ابر والابر يكون ابر من البر والضمير فى لولاه مرفوع عـلى انه اسم لولا وخبره محـذوف وجوبا اى لولاه موجود وقوله لم تخرج جواب لولا وتخرج اما على المبنى للفاعل من الخروج اوعلى المبنى للمفعول من الاخراج وعلى كل تقدير لايخلو من الاشارة الا انه عليه الصلوة والسلام قدبلغ فى السببية الى مرتبة كانه عليه الصلوة والسلام اخرجها من العدم ولذا آثر الناظم الفاهم قوله تخرج على قوله لم تخلق فتأمل وفى هذا البيت تلميح الى مانقل فى الحديث القدسى

(لولاك لمـاخلقت الافلاك) والمراد من الافلاك جميع المكونات اطلاقا لاسم الجزء على الكل واشارة الى ماوقع له عليه السلام فى ليلة الاسراء فانه عليه الصلاة والسلام لما سجد الى الله تعالى فى سدرة المنتهى قال الله تعالى له عليه السلام انا وانت وماسوى ذلك خلقته لاجلك فقـال عليه السـلام انا وانت وماسـوى ذلك تركته لاجلك واشارة ايضـا فى ان الدنيا تابعة له عليه السلام ولا خلقت الا له ولاصحابه فكيف يكونون تابعين لها اومغلوبين لهواها وحاصل معنى البيت ان الدنيا محتاجة الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسـلم ولو كان الرسول محتاجا اليها ادار اوتسلسـل وكل منهما باطل كما لايخفى على اولى الالبـاب وذوى الآداب الحمدلله ملهم الصواب

واليه المرجع والمآب

﴿ مُحَمَّـدٌ سَيِّدُ الكَوْنَيْنِ وَالثَّقَلَيْنِ ❊ وَالفَرِيقَيْنِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ ﴾

لما ذكر الرسول الاكرم والنبى المحترم صلى الله تعالى عليه وسلم وابهم اسمه الشريف تفخيما له اراد ان يتبرك بذكر اسمه فى قصيدته مع ان الابهام اولا والتفصيل ثانيا اوقع فى النفوس فقال محمد الخ محمد بالرفع على انه خبر مبتـدأ محذوف اى هو اوبالجر على انه بدل من من والاظهر انه مبتدأ وسـيد خبره وهو على صيغة اسم المفعـول مبالغة من كثرة الحمد ثم نقل من الوصـفية الى الاسميـة فسمى به النبى عليه السـلام لانه محمد وموصوف فى خلقه وخلقه قال القـاضى عيـاض فى الشـفاء حمى اسم محمد ولم يسم به احد من العرب ولاغيرهم الى ان شـاع قبـل وجوده وميـلاده عليه السـلام ان نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم ابناءهم بذلك رجاء ان يكون احدهم هو والله تعالى يعلم حيث يجعل رسالته فان قيل لم اختار هذا الاسم من بين اسمائه عليه السـلام لانه ذكر البخارى فى شرح الارشـاد ان للنبى عليه السـلام الف اسم وقيل ثلاثمائة وقيل وتسعة وتسعون قلنا لان هذا الاسم اشهرها وافضلها لانه يفيد المبالغة فى المحموديه وهى تستلزم المبالغة فى الحامدية فيكون هو افضل منها هذا وسـيد على وزن جيد اصـله سيود وهو بصيغة اسم الفـاعل من السـيادة بمعنى العلو والرفعة قيل فى تعريفه هو الذى يلجأ اليه الناس فى حوائجهم والمراد من الكونين الدنيـا والآخرة اوعالم الشـهادة وعالم الغيب وتفصـيل بيان سـيادته فى الدارين وان ذكر فى الكتب

المفصلة لكن لاعلينا ان نذكره ههنا أيضا اجمالا فنقول اما سيادته فى الدنيا فلانه عليه الصلوة والسلام كان خاتم جميع الانبياء والمرسلين وكان المعراج مخصوصا به دون سائر الانبياء ولانه عليه الصلوة والسلام ارسل الى كافة الثقلين دون سائر الانبياء وارسل الى الجن والملك وبعث رحمة للعالمين حتى الكفار بتأخير العذاب وبلده افضل البلاد ومسجده افضل المساجد والبقعة التى دفن فيها افضل من الكعبة كما سيأتى تفصيله وكذا سيادته عليه الصلوة والسلام بحسب نوره الروحى مفضل على الجميع ثابت بالآثار وتكاثر الاخبار بل نوره اللطيف اصل انوار جميع الانبياء قال فى المواهب فى قوله تعالى (واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءاقررتم واخذتم على ذلكم اصرى قالوا اقررنا) الآية عن على وابن عباس رضى الله تعالى عنهم مابعث الله تعالى نبيا من الانبياء الا اخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد عليه الصلوة والسلام وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه وفى المواهب ايضا عن عبد الرزاق عن جابر ما اجماله اعلم ان الله تعالى خلق نور نبينا عليه السلام قبل كل شئ فخلق منه القلم واللوح والعرش وحملته والكرسى وسائر الملائكة والسموات والارض والجنة والنار وابصار اولى الابصار ونور قلوب المؤمنين ونور انفسهم واما سيادته فى الآخرة فلما ذكره القرطبى ان الزبانية يأتون بجهنم يوم القيمة وهى تمشى على اربع قوائم وتقاد بسبعين الف زمام فى كل زمام سبعون الف حلقة على كل حلقة سبعون الف ملك فاذا انفلتت من ايديهم لم يقدروا على امساكها لعظم شانها فيجثوا كل من فى الموقف على الركب حتى المرسلين ويتعلق ابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلوة والسلام وهذا قد نسى الذبيح وهذا قد نسى هرون وهذا قد نسى مريم عليهم الصلوة والسلام قائلين نفسى نفسى لا اسألك اليوم غيرها ومحمد عليه السلام يقول امتى امتى سلمها ونجها يارب فيقوم عليه الصلوة والسلام ويأخذ بخطامها ويقول ارجعى مدحورة الى خلفك فتقول خل سبيلى فانك يا محمد حرام على فينادى من سرادقات العرش اسمعى واطيعى له ثم تجذب وتجعل شمال العرش فيخف وجل اهل الموقف وقوله والثقلين عطف على الكونين من قبيل عطف الخاص على العام ونكتته دفع قول من قال انه عليه السلام رسول الى الانس لا الى الجن فالمراد من الثقلين الانس والجن لكونهما ثقيلين على الارض

فان قيل ان الجن ليس له ثقل فكيف يطلق عليه الثقل قلت اطلاق الثقل عليه تغليب من تغليب الثقل على الخفيف ثم ان عطف قوله والفريقين مع دخوله فيما سبق مرتين لنكتة الرد على من خص رسالته عليه السلام بالعرب دون العجم وانما بين الفريقين بقوله من عرب ومن عجم دون الكونين والثقلين لان الكونين والثقلين معلوم فى عرفنا فلا يحتاج الى البيان بخلاف الفريقين وعرب كفقل بمعنى العرب وهو خلاف العجم والعرب مؤنث بتأويل الطائفة يقال العرب العاربة والعرب العرباء وبعضهم خصص العرب بمن سكن فى بلادهم وبعضهم جعله شاملا للبلدى والبدوى وهو المراد هنا قال فى البصائر ان الاعراب ليس جمع عرب كما توهم لانه لم يكن لها مفرد لكن قال الراغب فى مفرداته انه جمع عرب وفى مصباح اللغة ان عرب يجمع على اعرب كزمن وازمن وعلى عرب كاسد واسد انتهى والمراد من العجم ماسوى العرب فيشتمل الترك والكرد والفرس والروم والهند وغير ذلك واعادة حرف الجر لضرورة الوزن

نَبِيُّنَا الآمِرُ النَّاهِي فَلَا أَحَدٌ ❊ أَبَرَّ فِي قَوْلِ لَا مِنْهُ وَلَا نَعَمِ

لما كان معنى السيد مشتبها اراد ان يبينه فقال نبينا الامر الناهى الخ لان المراد من السيد المولى الكريم الرفيع ومثل هذا يأمر وينهى لانه لازمه والنبى من النبأ بمعنى المخبر ان كان مهموزا او بمعنى الارتفاع ان لم يكن مهموزا وفى الاصطلاح انسان بعثه الله تعالى الى الخلق لتبليغ ما اوحى اليه والنبى مرادف للرسول على ماحكى ابن الهمام عن المحققين وقيل الرسول هو المأمور بتبليغ امر لم يكن قبله سواء كان له كتاب ام لا والنبى اعم من ذلك وتفصيل الكلام فى كتب الكلام فان قلت لم آثر النبى على الرسول مع عدم الضرورة لوزن النظم فيه ايضا وان منصب الرسالة افضل من النبوة قلت اما لان عند الناظم الفاهم الرسول والنبى مترادفان فلا افضلية لاحدهما على الآخر واما الايهام انه لولا جهة الرسالة فيه عليه السلام لكفت جهة النبوة فى الافضلية واما لان فى معنى النبى الارتفاع دون الرسول فالنبى اولى للمقام لان المقام تفسير السيد وهو بمعنى المرتفع كما سبق فالمناسب تعريفه بما فى معناه الارتفاع هذا والآمر من يخاطب الى من دونه بمثال صيغة افعل والناهى من يخاطب بصيغة لا تفعل واطلاق الامر والناهى على الرسول

عليه الصلوة والسلام اما حقيقة كما دل عليه آيات كثيرة كقوله تعالى (وأمر بالمعروف وانه عن المنكر) وغير ذلك وهو الاصوب واما مجاز فى الاسناد اى فى اسناد الآمر والناهى الى الرسول عليه الصلاة والسلام لان الآمر والناهى فى الحقيقة هو الله تعالى والرسول مبلغ وما قال الرسول من عنده فهو ايضا من عند الله تعالى لانه عليه الصلاة والسلام ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى وحذف مفعول آمر وناه للتعميم اى كل معروف فى الاول وكل منكر فى الثانى ومن قال ان حذف مفعوله للتعميم باطل لافادته انه آمر بكل شئ فهو يشمل النواهى وناه عن كل شئ فهو يشمل الاوامر فهو غافل عن مادة الامر ومادة النهى لان الامر يقتضى ان يكون مفعوله كل معروف لا كل شئ لان الامر بجملته لا يتعلق بالنهى وكذا مادة النهى تقتضى ان يكون مفعوله كل منكر لان النهى لا يتعلق بالامر كما لا يخفى والفاء فى قوله فلا احد للجزاء اى اذا كان محمد سيد الكونين ونبينا الآمر الناهى فلا احد والاحد اتفق النحاة واهل اللغة على انه مشترك بين معنيين احدهما بمعنى الواحد نصف الاثنين والثانى جنس العقلاء من الاقل الى غير النهاية والاول فاؤه همزة مبدلة من واو والثانى همزته اصلية غير مبدلة منها وهذا مما شاع وذاع الا انه اشكل عليهم بان اللفظين صورتهما ومادتهما واحدة ولفظ الواحدة يتناولهما والواو فيهما اصلية فيلزم قطعا انقلاب الالف عنها وان يكونا مشتقين من الوحدة اما جعل احدهما مشتقا منها دون الآخر فترجيح من غير مرجح واجيب بان الفرق المذكور اشار اليه سيبويه فى الكتاب وغيره واما قولكم لفظهما واحد مادة وصورة فسلم ولكن لا نسلم ان اتحاد لفظيهما يدل على اتحاد معنييهما لم لا يجوز ان يكون معناهما متغايرين وله نظائر كثيرة كقلى فهو قال بمعنى ابغض وقلا فهو قال بمعنى شوى ونضج وايضا ان الذى بمعنى الواحد ليس بعام ويكون فى النفى والاثبات ويطلق على العقلاء وغيرهم ولا يكون بمعنى الجماعة والثانى يختص بالنفى خلافا للمبرد ويختص بالعقلاء ويجئ بمعنى الجماعة ويعم والاول لا يعم والتفصيل فى رسالة مستقلة للشهاب فى حق كلمة احد فان اردت فارجع اليها وقوله ابر اسم تفضيل من البر بمعنى الصدق فى الكلام كما يفيد هذا المعنى سياقه وفى قوله فى قول لا متعلق بابر اى فى قوله لا ولا كناية عن النفى وقوله ولا نعم عطف على لا ابر واصدق منه ايضا

فى قوله نعم وهو كناية عن الاثبات ولم يكن لا ونعم كناية عن عدم اعطائه لانه عليه الصلاة والسلام ما سئل عن شئ قط الا قال نعم كما قال بعض الكمل فى شانه عليه الصلاة والسلام

* ماقال لا قط الا فى تشهده * ولا نعم قط الا جاءت النعم *

وحاصل معنى البيت سيدنا ونبينا محمد عليه السلام هو الآمر بما هو مأمور من عند الله من العقائد الرضية والاعمال السنية والناهى عن الامور الدنية والافعال الردية وهو كل اخباره صادق وفى تكميل الناقصين حاذق فلا احد اصدق منه فى النفى والاثبات ولا احق منه فى الوعد والوعيد وسائر الحالات لانه ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى وكان صدقه بديهيا ومسلما عند الخصم والكفار كما قال الله الملك الجبار (فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) اللهم اجعلنا رفيقا للصديقين والشهداء والصالحين آمين

* هُوَالحَبِيبُ الَّذِى تُرْجَى شَفَاعَتُهُ * لِكُلِّ هَوْلٍ مِنَ الأَهْوَالِ مُقْتَحَمِ *

لما كان كونه عليه السلام سيد جميع الانام نظريا عند بعض الاقوام اراد ان يثبته بدليل فى غاية الاحكام فقال هو الحبيب الذى الخ اى لانه هو الحبيب الذى فيمكن ان يرتب ههنا قياس تقريره هكذا محمد سيد الكونين والثقلين لان محمدا هو الحبيب الذى يرجو كل الناس شفاعته وكل من شانه كذا فهو سيد الكونين والثقلين فينتج المطلوب ثم اعلم ان جملة هو الحبيب صفة بعد صفة لمحمد واورد ضمير الفصل ليدل على الحصر وهو مبتدأ راجع اليه عليه السلام والحبيب بالرفع خبره وتعريف الخبر باللام لافادة قصره على المبتدأ فان قلت كيف يجوز حصر الحبيبية فيه عليه السلام مع ان ابراهيم عليه السلام خليل الله تعالى بل كل من اتبع الرسول فهو محبوب الله تعالى كما يدل عليه قوله تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) وما اجيب عن هذا السؤال من ان الحصر هنا اضافى يعنى بالنسبة الى بعض الانبياء فيرده المقام اذ هو لا يناسب المقام لانه مقام المدح فيقتضى المبالغة والحق فى الجواب ان الحصر فى هذا الباب حقيقى يجوز ذلك الحصر فيه عليه السلام وما اوردتم من ان ابراهيم عليه السلام خليله لا يضر الحصر لانه فرق جلى بين الحبيب والخليل من وجوه لان الخليل فعيل بمعنى الفاعل

مسند الى ابراهيم فى قوله * واتخذ الله ابراهيم خليلا * واما الحبيب فيحتمل ان يكون بمعنى فاعل او مفعول ولا شك ان نسبة المفعولية اتم من نسبة الفاعلية فى المرام اذ يقال محمد حبيب الله والله حبيب محمد ولا يقال الله خليل ابراهيم مع جواز ابراهيم خليل الله لما فيه من ابهام ان يكون مأخوذ من الخلة التى هى الحاجة * والثانى ان الخليل يصل الى من اتخذه بالواسطة والحبيب يصل اليه بذاته بلا واسطة * والثالث ان الخليل الذى تكون مغفرته فى حد الطمع كما قال ابراهيم عليه السلام والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى والحبيب هو الذى مغفرته فى حد اليقين كما قال تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر * والرابع ان الخليل من اعطى بسؤال والحبيب هو الذى اعطى بلا سؤال فالحبيبية بهذه المعانى المذكورة مقصورة على نبينا عليه السلام دون غيره من الانبياء فكيف سائر الناس و يمكن الجواب بان يقال ان حصر الحبيبية حقيق لكن مع ما بعده اى مع قوله الذى ترجى شفاعته لان الشفاعة العامة خاصة بنبينا عليه السلام دون غيره ولذا روى ان الامام الغزالى قال كنت فى ليلة خارج البلد واطلعت بالمكاشفة على ان اهل تلك البلد كلهم نائمون فى ذلك الوقت ولم يكن احد منهم فى عبادة ربه وطاعة خالقه فقلت فى نفسى لو كنت قادرا على احراق اهل هذه البلدة لاحرقتها كلها لتركهم عبادة ربهم ثم تأملت ان احراق العباد مختص بالله تعالى فندمت ورجعت عن هذا القول فقلت لو كنت شافعا لشفعت لهم كافة عامة ثم تأملت ان الشفاعة العامة مقصورة على نبينا عليه السلام فاذا جاء نداء من هاتف يقول يا شيخ لو لم ترجع عن هذا القول ايضا لانزلتك الى قعر الارض ومحوتك من دفتر الاولياء وقوله الذى ترجى شفاعته صفة الحبيب وترجى من الرجاء بمعنى الطلب قال بعض الفضلاء الرجاء بالمد الطمع و يرادفه الامل والفرق بينه وبين الرجاء بمعنى الخوف بالاستعمال اذ الاول يستعمل فى الايجاب والنفى كقوله تعالى * ترجون من الله ما لا يرجون * والثانى فى النفى فقط فان قيل ما الفرق بين الرجاء والتمنى قلت قال ابن الجوزى الرجاء الطمع فيما يمكن حصوله بخلاف التمنى وقيل الرجاء مختص بالطمع فى الممكن والتمنى عام وهو على صيغة المبنى للمفعول وانما ترك فاعله ليعلم ان شفاعته عليه السلام يرجوها كل احد من الانام والشفاعة هى طلب العفو والفضل من الغير الى الغير وشفاعة نبينا عليه الصلاة والسلام ثابتة بالاخبار والاحاديث

الصحيحة مذكورة فى كتب الاحاديث قال المحقق الدوانى انه عليه السلام يشفع لجميع الانس و الجن الا ان شفاعته للكفار لتعجيل فصل القضاء فتخفف عنهم اهوال يوم القيمة وللمؤمنين للعفو ورفع الدرجات فشفاعته عامة لقوله تعالى * وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال فى المواهب الشفاعات خمس الاولى فى الاراحة من هول الموقف وهى اعظمها واعمها والثانية فى ادخال قوم الجنة بغير حساب و الثالثة فيمن استوجب النار و الرابعة فى اخراج من دخل النار و الخامسة فى رفع الدرجات وزاد السيوطى سادسة هى فى تخفيف العذاب عمن استحق الخلود فى النار وزاد فى المواهب ايضا سابعة وهى لاهل المدينة خاصة وقوله لكل هول من الاهوال مقتحم متعلق بترجى او بشفاعته واللام فى لكل بمعنى فى كما فى قوله تعالى يا ليتنى قدمت لحياتى او للتوقيت كما فى قوله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس او فيه حذف مضاف اى لدفع كل هول والهول الشدة و المصيبة واضافة الكل اليه تفيد العموم اى كل بلية والمراد بلايا الآخرة بقرينة الشفاعة او المراد بلايا الدارين كما يفيده قوله من الاهوال لانه عليه السلام دفع ببركة وجوده فى الدنيا المسخ والخسف والاستيصال و اخر العذاب ومقتحم من الاقتحام اما على صيغة اسم الفاعل اى بلية داخلة بين الناس واما اسم مفعول اى فى كل بلية مقتحم فيها ثم اعلم ان هذا البيت اول ابيات المناجاة واجابة الدعاء فمن كان له حاجة دنيوية او اخروية فليقرأ هذا البيت فى مجلس واحد الفا وواحدة فان الله تعالى يقبل دعاءه و يقضى حاجته بلا تخلف ان شاء الله تعالى قال المولى ابو سعيد الخادمى ان هذا البيت كان ترياقا لكل حاجتى وقال استاذنا طول الله بقاه ونال ما تمناه انه كان استاذنا الشهير بالحاج عثمان افندى الاقشهرى مفتيا فى بلدة قيصر فعزل منها يوما فكان محزونا ومتكدرا واشتهى ان يكون مفتيا ايضا فدعانى مع اثنين من شركائى الى بيته فقرأنا هذا البيت الفا وواحدة فى مجلس بلا تكلم فى اثنائه فبعد زمان قليل ظهر منشوره لافتائه

دعا الى الله فالمستمسكون به * مستمسكون بحبل غير منفصم

لما قصر كمال الحبيبية عليه عليه السلام وكان ذلك صغرى للقياس المقدم وكانت تلك الصغرى نظرية اثبتها بهذا البيت فقال دعا الى الله الخ فانه

وان لم يكن في صورة الدليل لكنه دليل حقيقة لان الدليل والعلة اما تصريحى وهو ما كان مصورا فى اللفظ اوالتقدير باذا و باللام او بالفاء واماتلويحى بان يكون صفة اوحالا اوغيرذلك وههنا كذلك فيمكن ان يرتب هنا قياس تقريره هكذا محمد هوالحبيب الذى ترجى شفاعته لان محمدا دعا الى الله تعالى فالمستمكسون به مستمسكون بحبل غير منفصم وكل من شانه كذا فهو الحبيب الذى ترجى شفاعته ينتج المطلوب ثم ان دعا من الدعوة ودعوته عليه الصلاة والسلام كانت الى جميع ذى نطق من العرب و العجم واهل الكتاب والمجوس والوثنى والجن وغيرذلك ولاجل هذاالتعميم حذف الناظم الفاهم مفعول دعا وكذا آثر دعا على هدى لاجل هذا التعميم فان قيل ماالفرق بين الارشادوالدعوة قلت ان الارشاد انما يستعمل فى الاولياء والدعوة فى الانبياء وفى الى الله تعالى حذف مضاف اى الى دين الله اوالى عبادة الله تعالى اوالى شرع الله تعالى وقوله فالمستمسكون به الفاء تفريعية اى اذا كان داعيا الى الله تعالى فالمستمسكون آه وهو من الاستمساك بمعنى التمسك والاخذباليدو به متعلق بمستمسكون والضميرراجع اليه عليه الصلاة والسلام لكن المراد شرعه عليه الصلاة والسلام اومابلغه ففى ضميربه استخدام لانه اريدبالمرجع معنى وبالضمير الراجع اليه معنى آخر لكن الاول حقيقة والثانى مجاز و بعد هذا يكون فى هذا المقام استعارة مكنية بان شبه الشرع بالحبل الممدود من الله تعالى الى العباد فى كونه موصلا الى المقصود كما ان ذلك الحبل لواستمسك به احد فذهب يصل الى الله تعالى كذلك الشرع الشريف ثم استعيرالحبل فى الذهن لمفهوم الشرع ثم ذكرالشرع فى الخارج اعنى تقديرا واريد هو ايضا وذكر الاستمساك وهو ملائم المشبه به واريد الشريعة فعلى هذا يكون المستمسكون ترشيحا لهذه الاستعارة فيكون باقيا على حقيقته على مذهب ومجازا واستعارة تبعية على مذهب آخر بان يشبه الاطاعة بالاستمساك فى الايصال الى المطلوب ثم استعير الاستمساك لمفهوم الاطاعة فذكر الاستمساك واريد الاطاعة ثم اشتق من الاستمساك مستمسكون ومن الاطاعة مطيعون فشبه مطيعون بمستمسكون فاستعير المستمسكون لمفهوم المطيعون فذكر مستمسكون واريد المطيعون ثم قوله غير منفصم ترشيح على الترشيح وكلما زاد ترشيح الاستعارة زاد حسنها ومنفصم اسم فاعل من الانفصام بمعنى القطع من غير فصل واما الانقصام بالقاف فهو القطع بفرق

وفصل ثم اعلم ان فى اول هذا البيت تلميحا الى قوله تعالى (ياايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه) والى قوله تعالى (ومن احسن قولا ممن دعا الى الله) الآية وفى المصراع اقتباس من قوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا) وفى هذا البيت اشارة ايضا الى قوله عليه السلام من تمسك بسنتى عند فساد امتى فله اجر مائة شهيد كما لا يخفى على من القى السمع وهو شهيد

فَاقَ النَّبِيِّينَ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ ✻ وَلَمْ يُدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَلَا كَرَمِ

فلما وردالنقض على البيت الاول الذى قد كان دليلالدعوى حصرالحبيبة عليه عليه السلام من ان دليلك هذااى قولك دعا الى الله الى آخرالبيت جاز ايضا فى سائرالنبيين مع ان المدعى متخلف عنه اراد ان يثبت دعواه بدليل آخرقوى فانتقل اليه فقال فاق النبيين الى آخره فتقريرقياسه هكذا محمدهوالحبيب الذى ترجى شفاعته لان محمدا فاق النبيين فى خلق وفى خلق ولم يدانوه فى علم ولاكرم وكل من شانه كذافهو الحبيب الذى ترجى شفاعته فينتج المطلوب ثم ان فاق بمعنى رجح وزاد عليه فى الرفعة وهومن الفوق والفوق والتفوق حقيقتهما ان يستعملا فى الرفعة المكانية لكن استعمل ههنا فى الرفعة الرتبية مجازا واستعارة تبعية بان شبه علوالقدر ورفعة المرتبة بالتفوق المكانى فى الرفعة المطلقة ثم استعير التفوق المكانى للعلوالقدرى ثم ذكر التفوق المكانى واريد العلو القدرى وبتبعية هذه الاستعارة اشتق من العلو القدرى علا ومن التفوق المكانى فاق فشبه علا بفاق بواسطة العلاقة التى فى مصدرهما ثم استعير فاق لمفهوم علا فذكر فاق واريد علا ويمكن ان يراد حقيقة التفوق فتبصر والنبيين جمع نبى وهو بالنصب مفعول فاق والخلق بفتح الخاء المعجمة وسكون اللام فى اللغة بمعنى التقدير والايجاد وهنا بمعنى المفعول والمراد الكمالات الظاهرة من حسن الصورة وتناسب الاعضاء والاشكال والالوان واعتدال الاطراف والخلق بضم الخاء واللام جمع خلق بمعنى الطبيعة الحسنة والمراد الكمالات الباطنة واعتدال قوى النفس وانما افرد الاول وجمع الثانى اشارة الى ان الاخلاق كثيرة والخلق واحد اعلم ايها المحب انهذ النبى الكريم الباحث عن تفوقه على سائر الانبياء فى ابتداء الخلق والحسن والكمال والخصال الحميدة من الجلال والجمال وفقك الله تعالى وايانا فى كل حال ان نبينا عليه الصلاة والسلام افضل الانبياء

بالآيات والاحاديث اما الآيات فكما قال تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) قال اهل التفسير المراد به محمد عليه السلام كما قال تعالى فى مقام آخر (وكان فضل الله عليك عظيما) وقال ايضا (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) قال اهل التفسير اراد به محمدا عليه السلام واما الاحاديث (فكقوله عليه السلام انا سيد الاولين والآخرين ولا فخر) وقوله عليه السلام (انا سيد ولد آدم ولا فخر) وقوله عليه السلام (انا اتقى ولد آدم واكرمهم على الله ولا فخر) وكرواية عائشة رضى الله عنها انها قالت قال عليه السلام اتانى جبرائيل فقال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم ار رجلا افضل من محمد عليه السلام اما بيان فضيلته فى ابتداء خلقه عليه السلام فيكفيك قوله عليه السلام (كنت نبيا وآدم بين الجسد والروح) وقوله عليه السلام (كنت اول الانبياء فى الخلق وآخرهم فى البعث) وقول العلماء فى تفسير قوله تعالى (واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم) الآية ان الله تعالى اخذ الميثاق والعهد على كل من النبيين لئن بعث محمد عليه السلام وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه كما سبق فنبينا عليه السلام كان نبيا لجميع الانبياء تقديرا (واما بيان فضيلته عليه السلام على سائر الانبياء فى الحسن والجمال والبهجة والكمال فمستفاد من اشارة قوله تعالى (والضحى والليل اذا سجى) حيث استعير الضحى من وجهه عليه السلام والليل من صدغه عليه السلام وكفاك شاهدا حديث انس انه قال قال عليه السلام (مابعث الله نبيا الا حسن الوجه وحسن الصوت وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا) وقوله عليه السلام حين سئل عن حسن يوسف وحسنه عليه السلام (انا املح) واما بيان فضيلته عليه السلام عليهم فى الاخلاق المرضية فيكفيك قوله تعالى فى شانه عليه السلام (انك لعلى خلق عظيم) حيث حصر الله تعالى الخلق العظيم فيه عليه السلام دون غيره وقوله عليه السلام فيما رواه احمد ومالك فى الموطأ (بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) وحيث اشار فى هذا البيت الى ان الانبياء عليهم السلام كانوا موسومين بالاخلاق المرضية لكنه عليه السلام كان جامعا لجميع الاخلاق العلية ومشتملا على الاحوال السنية بحيث لايتصور فوقه كمال فان قلت قد ورد النهى عن تفضيل بعض الانبياء على بعض وعن تفضيله عليه الصلاة والسلام على غيره من الانبياء حيث قال عليه السلام فى حديث لا تفضلوا بين الانبياء) وفى حديث آخر (لاتفضلونى على يونس ابن متى) فكيف يصح

من الناظم الفاهم هذا البيت مع مابعده قلت ان للعلماء فى هذه الاحاديث تأويلات الاول ان لايفضل بينهم تفضيلا يؤدى الى تنقيص بعضهم عن بعض الثانى منع التفضيل فى حق النبوة والرسالة فان الانبياء فيها على حد واحد اذ هى شئ واحد لاتفاضل فيها وانما التفاضل بامور اخر زائدة عليها ولذلك منهم رسل ومنهم اولوا العزم من الرسل قال الله تعالى (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) والثالث انه عليه السلام نهى عن تفضيله على غيره قبل ان يعلم انه سيد ولد آدم والرابع ان نهيه عليه السلام كان على طريق التواضع وتحرزا عن العجب والتفصيل فى الكتب المطولة ثم قوله ولم يدانوه فى علم ولا كرم الواو للاستيناف كأنه قيل فهل فاق عليهم فى الاخلاق والعلم والكرم مع كونها اعظمها واشرفها فقال مبالغة ولم يدانوه اى لم تقارب به عليه السلام الانبياء عليهم السلام فى العلم والكرم ولاتتوهمن من ظاهر هذا الكلام انهم لايعلمون ويجوز عليهم اطلاق الجهل لانه يؤدى الى نسبة النقص والبله والغفلة اليهم عليهم السلام وانهم منزهون عنه وعن الجهل فيما يلزم لهم نعم يجوز ان يقال انه عليه السلام كان اعلم منهم ببعض الامور كامور الآخرة واشراط الساعة واحوال السعداء والاشقياء وعلم ماكان ومايكون ثم اعلم ان بيان علمه ثابت بقوله تعالى (وعلمك مالم تكن تعلم) وبقوله عليه السلام (انا مدينة العلم) الحديث وغير ذلك ثم ان تفوقه فى الكرم ايضا ثابت بقوله تعالى على ماذكره بعض المفسرين (انه لقول رسول كريم) وبقوله عليه السلام (انا اكرم ولد آدم ولا فخر) وسيأتى بيان بعض ماوقع من كرمه عليه السلام وهذا ثانى الابيات التى تمايل فيهما النبى عليه السلام عند قراءة الناظم الفاهم فى رؤياه عليه عليه السلام فينبغى لقارئ هذه القصيدة ان يكرره عند قراءته لكن يلزم ان يكرره وترا

وكلهم من رسول الله ملتمس ▪ غرفا من البحر او رشفا من الديم

لما توهم ان يرد على البيت الاول شبهة المجاز وغيره اراد ان يدفعه فقال تأكيدا وكلهم من رسول الله الخ الواو اما للعطف او للابتداء لكن الثانى اولى كما لايخفى ولفظة كل مأخوذة من الاكليل الذى هو المحيط بجوانب الرأس فلذلك توجب الاحاطة وهو من الاسماء اللازمة للاضافة ولهذا لاتدخل الا على الاسماء اذ الاضافة من خصائص الاسم قال الاصوليون ان لفظ كل اذا اضيف الى معرفة يوجب احاطة الاجزاء واذا اضيف الى نكرة يوجب

احاطة الافراد فيصح قول الرجل كل التفاح حامض اى جميع اجزائه ولا يصح كل تفاح حامض لحلو البعض منه وضمير الجمع راجع الى النبيين ومن رسول الله متعلق بملتمس قدم للوزن وللحصر اى منه دون غير من الانبياء فان قلت لم اظهر فى مقام الاضمار قلت للتنبيه على وصفه العظيم لان الرسالة صفة عظيمة فى غاية العظمة لايقال لايستفاد من قوله من رسول الله ان الانبياء ملتمسون من نبينا عليه الصلاة والسلام اذ الرسل على ماروى عنه عليه السلام ثلثمائة وثلاثة عشر لانا نقول المقام قرينة على ان المراد منه نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على انهم قالوا كلما ذكر لفظ رسول الله فى كتب هذه الامة فالمراد نبينا دون غيره وله جواب آخر فتأمل وقوله ملتمس خبر المبتدأ اعنى كلهم والضمير فيه راجع الى الكل باعتبار لفظه والا لوجب ان تكون العبارة ملتمسون الفرق بين السؤال والالتماس والامر ان طلب الادنى من الاعلى سؤال ودعاء وطلب المساوى من المساوى التماس وطلب الاعلى من الادنى امر وانما اختار الالتماس لرعاية الادب فى حق الانبياء وقوله غرفا من البحر اورشفا من الديم غرفا بالنصب مفعول ملتمس والغرف بفتح الغين المعجمة وسكون الراء اخذ الماء باليد ملئ الكف ومن البحر متعلق بغرفا والمراد من البحر اخلاقه عليه الصلاة والسلام ففيه استعارة مصرحة حيث شبه اخلاقه الباطنية بالبحر فى الكثرة والوفرة وعدم الاختلاط بشئ قليل ثم استعير البحر لخلقه عليه السلام فذكر البحر واريد منه اخلاقه عليه السلام واثبات الغرف ترشيح لها وفى الترشيح ايضا استعارة بان يشبه اخلاق الانبياء بغرفة من البحر فى القلة بالنسبة اليه عليه السلام فاستعير الغرفة لاخلاقهم عليهم السلام فذكر الغرفة واريد اخلاقهم واو فى رشفا بمعنى الواو الواصلة والرشف اخذ الماء بالفم اى الجرعة من الماء ومن الديم متعلق برشفا ويجوز ان يكون كل من البحر ومن الديم حالا او صفة والديم جمع ديمة وهو مطر ينزل بسكون بلا رعد ولا برق ويدوم واقله ثلث النهار او ثلث الليل واكثره يوما وليلة والياء فى لفظة ديمة بدل من الواو لان اصله دومة من الدوام فان قلت لم خص الغرف بالبحر والرشف بالديم قلت للاشارة الى ان ماء البحر لايشرب لكونه مرا بل يجوز استعماله للوضوء والغسل وغير ذلك بخلاف ماء المطر فانه يشرب للطافته بل هو الذ من جميع العيون وفى الديم والرشف استعارة كما فى البحر والغرف لكن المراد من البحر علمه عليه الصلاة والسلام ومن الديم كرمه فتذكر وانما افرد

البحر وجمع الديم اشارة الى ان البحر اسم جنس يطلق على الصغير والكبير بخلاف الديمة وحاصل معنى البيت ان جميع الانبياء وكل واحد منهم طلبوا واخذوا العلم من علمه عليه الصلاة والسلام الذى هو كالبحر فى السعة والكرم من كرمه عليه السلام الذى هو كالديم لانه عليه السلام مفيض وانهم مستفاضون لانه تعالى خلق ابتداء روحه عليه السلام ووضع علوم الانبياء وعلم ماكان ومايكون فيه ثم خلقهم فاخذوا علومهم منه عليه السلام او المراد انه تعالى لما خلق نور محمد قبل الاشياء خلق اللوح والقلم والسموات والارضين والعرش والكرسى والملائكة والجنة والنار وارواح الانبياء والمؤمنين ونور قلوبهم ونور انفسهم من نوره عليه السلام فعلم الانبياء كان كنقطة بالنسبة الى ما فى اللوح واللوح والقلم مخلوقان من نوره عليه السلام فيكون علمهم نقطة من علمه عليه السلام كما لايخفى ثم اعلم ان هذا البيت ثالث الابيات التى تمايل فيها النبى عليه السلام فيلزم لقارئه ان يكرره بشرط كونه وترا

وَوَاقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِمِ   مِنْ نُقْطَةِ الْعِلْمِ اَوْ مِنْ شَكْلَةِ الْحِكَمِ

وهذا البيت تأكيد آخر لما قبله آكد من الاول وابلغ فى مدحه عليه السلام وتفوقه على سائر الانبياء والواو للعطف او للحال وواقفون خبر بعد خبر للمبتدأ اعنى قوله كلهم وقد جمع الناظم الفاهم بين اللغتين حيث افرد الخبر اولا وجمعه ثانيا وواقفون بمعنى مطلعون ومفعوله الثانى محذوف اى مطلعون شيئا ولدى بمعنى عند وضميره راجع اليه عليه السلام وفى لدى ثمان لغات الاولى لدى بالالف المقصورة والثانية لدن بفتح اللام وضم الدال وسكون النون والثالثة لدن بفتح اللام وسكون الدال وكسر النون والرابعة لدن بفتح اللام والدال وسكون النون والخامسة لدن بضم اللام وسكون الدال وكسر النون والسادسة لدن بفتح اللام وسكون الدال والسابعة لد بضم اللام وسكون الدال والثامنة لد بفتح اللام وضم الدال وكلها بمعنى عند والفرق بينه وبين عند ان لدى مختص بالحضرة دون عند مثلا يقال المال عند زيد فيما يحضر عنده وفى ما فى خزائنه وان كان غائبا عنه ولا يقال المال لدى زيد او لدن زيد الا فيما يحضر عنده ولديه حال من ضمير واقفون متعلق بمحذوف اى كائنين لديه وعند متعلق بواقفون والحد بفتح الحاء يجئ على ستة معان الاول بمعنى المرتبة والثانى بمعنى الغاية والنهاية والثالث بمعنى الحاجز والمانع بين الشيئين والرابع بمعنى تشحيذ السيف والخامس بمعنى عقوبة مقدرة يجب اقامتها

على الامام والسادس بمعنى التعريف المشتمل على ذاتياته والمراد ههنا هو المعنى الاول وضمير الجمع الى الانبياء عليهم السلام وقوله من نقطة العلم من لبيان المفعول الثانى لواقفون فتكون زائدة فعلى هذا المعنى يكون حاصل معنى البيت ان الانبياء مطلعون عند النبى عليه الصلاة والسلام على مراتبهم شيئا هو نقطة العلم اوشكلة الحكم فيكون علم نبينا عليه الصلاة والسلام كالنقطه فى جنب علم الله تعالى وحكمته كالشكلة من الحكم فى جنب حكمة الله تعالى ولكون علم سائر الانبياء جزأ من تلك النقطة وحكمتهم جزأ من شكلة الحكمة وهذا الاطلاع كان فى ليلة المعراج حيث حضروا بمجلسه عليه السلام وقعدوا فى حضوره على مراتبهم واطلعوا على علمه وحكمته او يكون فى القيامة تحت اللواء حيث روى ان جميع الانبياء تجمع تحت لواء الحمد الذى هو علم النبى عليه الصلاة والسلام ويسكنون على مراتبهم او كان فى خلق الارواح قبل الاجساد ثم اعلم ان النقطة فعلة من نقطه نقطا اى وضع عليه النقطة واظن ان النقطة مشترك بين اللغات كالصابون واو بمعنى الواو وانما قلنا انه بمعنى الواو لانه لو كان بمعناه للزم ان يكون فى بعض الانبياء علم دون حكمة وفى بعضهم بالعكس وهو مخالف لما ثبت انه تعالى اعطى الانبياء علما وحكما كما قال الله تعالى (ولما بلغ اشده آتيناه حكما وعلما وقال ايضا (وكلا آتيناه حكما وعلما) فتأمل والشكلة بالفتح من شكلت الكتاب قيدته بالاعراب اعنى الرفع والنصب والجر والحكم جمع حكمة وهى علم باحوال اعيان الموجودات على ماهى عليه فى نفس الامر وانما خص النقطة بالعلم والشكلة بالحكم لان النقطة اولى بمزية الظهور ولذا اضيفت اليه والشكلة امر زائد خارج من ماهية المفهوم المتوقف على النقطة التى مدار الدائرة عليها ولذا نسبت الى الحكم وهى علوم دقيقة عن العلوم الشرعية ثم اعلم انه يجوز ان يكون واقفون بمعنى ساكتون حاضرون فى حضور رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على مراتبهم ويكون من متعلقا بواقفون بتضمين معنى آخذين وتكون اضافة النقطة الى العلم من اضافة المشبه به الى المشبه اى العلم كالنقطة فحاصل معنى البيت على هذا ان الانبياء حاضرون وساكتون فى حضور النبى عليه الصلاة والسلام على مراتبهم آخذون العلم كالنقطة والحكم كالشكلة بالنسبة الى علمه صلى الله تعالى عليه وسلم ويجوز ان يكون فى هذا استعارة تمثيلية بان انتزع هيئة من امور اى من كون النبى عليه السلام رئيسا ومتبوعا لسائر الانبياء وكونهم متوقفون

فى حضوره عليه السلام واخذهم العلم منه عليه السلام وكونهم فى امره عليه السلام وشبه هذه الهيئة بالهيئة التى انتزعت من امور محسوسة لنا ككون ملك عظيم قاعدا فى مجلس وكون اتباعه واقفين على مراتبهم وانتظارهم الى كلام الملك واخذهم الفائدة منه وكونهم فى امره ثم استعير الهيئة المشبه بها الى الهيئة المشبهة فذكر الالفاظ الدالة على الهيئة المحسوسة واريد الهيئة الغير المحسوسة لنا ثم اعلم ان فى هذا البيت ايماء الى قوله تعالى (وما اوتيتم من العلم الا قليلا) واشارة الى قول الخضر لموسى عليه السلام حين اتباعه لاخذ العلم) ما علمك وعلمى وعلم الخلائق الا كما اخذ العصفور بمنقاره من البحر بالنسبة الى علم الله تعالى) والى ان فى كل من الانبياء نوعا من العلوم دون نوع وانه عليه السلام جمع انواع العلوم التى فى الانبياء وسائر الخلايق وفى الشفاء خص الله تعالى به عليه السلام الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ومصالح امته وما كان فى الامم وما سيكون فى امته من النقير والقطمير وعلى جميع فنون المعارف كاحوال القلب والفرائض والعبادة والحساب وقد وردت آثار بمعرفة حروف الخط وحسن تصويرها وفى حديث يروى عن معاوية انه كان يكتب بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم (فقال له الق الدواة وحرف القلم واقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم) مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكتب ولم يقرأ من كتاب الاولين قطعا كما قال الله تعالى (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك) الآية بخلاف سائر الانبياء

فهو الذى تم معناه وصورته ✻ ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم

لما كانت الابيات السابقة دليلا على كونه عليه الصلاة والسلام حبيبا كاملا وكانت تلك ثابتة مبينة انتجت المطلوب فلذا قال فهو الذى تم الخ فالفاء فى فهو للنتيجة وهو بسكون الهاء وهو راجع الى نبينا عليه الصلاة والسلام وتم بمعنى كمل من تمام الشئ بمعنى كماله والمعنى اسم مكان او مصدر ميمى بمعنى المفعول او مخفف معنى اسم مفعول من عنيت بكلامى كذا اى قصدته فمعنى الشئ هو المقصود منه ومعنى الرجل كماله اى الذى تم به والصورة بمعنى الشكل والهيئة وانما قدم المعنى على الصورة لكون المعنى اصل المقصود والمراد من المعنى والصورة ههنا كماله الباطنى وكماله الظاهرى اعنى حسن خلقه وعظم خلقه او الوحى الباطنى والبعث الظاهرى او طريقته وشريعته

اوروحانيته وجسمانيته اوعلمه وعمله اوعبادته للحق ومعاملته للخلق وكلمة ثم اما على اصلها اعنى للتراخى الزمانى بناء على ان المراد من اصطفائه حبيبا بعثه ولاشك ان بعثه متراخ عن بلوغه الى مرتبة الكمال وبناء على ان اصطفائه حبيبا كان فى المعراج حيث حكى ان الله تعالى قال له فى تلك الليلة يامحمد ان الملوك اذا آنروا عبدا باتيان الملك اياه وجعله ملكا ذا اعتبار بادروا الاظهار شرفه فاى شئ تريد ان نجعل لك فقال عليه السلام اضفنى اليك يارب بالعبودية فارسل اليه (سبحان الذى اسرى بعبده) الاية وقال هذا ماطلبت ولك احسن من هذا وهو اضافتك الينا بالحبيبية فانت حبيب الله فلاشك ان المعراج كان بعد البعثة والكمال واما للتراخى الرتبى فيكون فى ثم مجازا واستعارة تبعية لان الحقيقة فيه التراخى الزمانى وذلك بتشبيه التباعد الرتبى بالتراخى الزمانى فى الاشتمال على مطلق التباعد وتكون نكتة المجاز الاشارة الى ان مرتبة الاصطفاء اعلى من مرتبة الكمال والاصطفاء بمعنى الاختيار والانتخاب وحبيبا حال من ضمير اصطفاء اومفعول ثان له بتضمين معنى الجعل والبارئ بمعنى الخالق كما فى قوله ع ■ يابارئ البرآ ربنى بعسيل * والنسم بفتحتين جمع نسمة وهى النفس اوكل ذى روح وقيل هى الآدمى ثم اعلم ان فى هذا البيت ايماء الى وجه انتظار الاصطفاء الى المدة الاربعينية وترجيحه على عيسى ويحيى ممن اعطى النبوة فى حال الطفولية وان كان المتبادر الى الوهم عكس هذه القضية وتلويحا الى قوله تعالى (الله يصطفى من الملائكة رسلا) الآية وتلميحا الى حديث روى عن واثلة بن الاسقع انه قال (قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم) ولوتأملت معانى البيت لوجدت فيه اشارة الى شئ كثير كما لايخفى

﴿ مُنَزَّهٌ عَنْ شَرِيكٍ فِى مَحَاسِنِهِ ■ فَجَوْهَرُ الْحُسْنِ فِيهِ غَيْرُ مُنْقَسِمِ ﴾

لمابين الناظم الفاهم الصفات الثبوتية له عليه السلام شرع فى بيان صفاته السلبية ثم لما علم مماسبق ان نبينا فائق على جميع الانبياء والاولياء فانهم لم يصلوا الى خلقه الباطنى وخلقه الظاهرى ناسب ان يسلب عنه الشريك فى محاسنه فقال منزه عن شريك فى محاسنه الخ منزه خبر مبتدأ محذوف وهو على صيغة اسم مفعول من التنزيه بمعنى التبرئة والتبعيد وشريك نكرة

وقع فى سياق النفى فيفيد العموم فان قيل لم يكن فى هذا المقام نفى حتى يفيد العموم قلنا وان لم يكن فى الظاهر لكنه فى معنى التنزيه لانه فى معنى لم يكن له شريك وهو فعيل بمعنى فاعل اى معادل والمحاسن جمع حسن على خلاف القياس وهو متعلق بشريك وانما لم يقل فى شمائله ليعم الحسن والجمال ولايخص الخلق والخصال والقائل ان يقول ان هذا الحكم اى كونه عليه السلام منزها عن شريك فى كل محاسنه فاسد لانه قد كان سائر الانبياء شريكا له فى محاسن النبوة والرسالة وعدم العبادة لغير الله اللهم الا ان يقال انه ادعائى فليتأمل وقوله فجوهر الحسن فيه الخ الفاء للنتيجة اى لما كان منزها عن شريك فى محاسنه لزم ان يكون جوهر الحسن الذى فيه غير منقسم والا اى لوكان جوهر الحسن الذى فيه منقسما للزم ان يكون مشتركا فيه اذ الانقسام انما يكون بالتقسيم اليه والى غيره لكن التالى باطل والمقدم مثله فثبت نقيضه وهو ان جوهر الحسن الذى فيه غير منقسم والجوهر اختلف فيه هل هو معرب اولا قال بعضهم انه معرب كوهر فارسى وقال بعضهم انه مشتق به من الجهر اومن الجهارة وهو يجئ بمعنى الحجر المستخرج من البحر المنتفع به كالياقوت والزبرجد والزمرد وبمعنى اصل الشئ وجبلته الذى طبع عليه والجوهر عند الحكماء خمسة الاول الهيولى والثانى الصورة والثالث الجسم والرابع العقل والخامس النفس وعند المتكلمين اثنان الاول الجوهر الفرد الذى لايتجزأ والثانى النفس وتفصيل الكلام فى علم الحكمة والكلام والمراد منه ههنا هو المعنى الثانى اعنى اصل الحسن ومادته الذى خلق عليه الحسن فلا حاجة الى جعله بمعنى الحجر المنتفع به وجعل اضافته بيانية اوجعله بمعنى الجوهر الفرد الذى لايتجزأ لانه كله تكلف والشارحون وقعوا ههنا فى حيص بيص وقوله فيه ظرف مستقر صفة الحسن اى الكائن فيه اوخبر اوحال من الحسن فمن جعله متعلقا بقوله غير منقسم وقع فى تكلف وقوله غير منقسم خبر اوخبر بعد خبر ومعناه غير مشترك فيه بل هو منفرد بذلك الجوهر الفائض من معدن الكمال ومنبع الخير ثم اعلم ان فى هذا البيت لطافة حيث اثبت الجوهر للحسن الذى هو عرض وحكم عليه بعدم الانقسام وهو بحث طويل بين اهل الحكمة والكلام والحمد لله الملك العلام

﴿ دَعْ مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَى فِى نَبِيِّهِمِ ❊ وَاحْكُمْ بِمَا شِئْتَ مَدْحًا فِيهِ وَاحْتَكِمِ ﴾

لما جعل عليه الصلاة والسلام منزها عن الشريك فى جميع اوصافه ومحاسنه

توهم منه بعض العوام انه يجوز وصفه عليه الصلاة والسلام بما وصف به النصارى نبيهم عيسى عليه الصلاة والسلام لان ذلك الوصف نهاية الاوصاف وغاية الامداح فدفع ذلك الوهم فقال دع ما ادعته النصارى فى نبيهم الى آخره ودع امر من ودع يدع بمعنى اترك وما زعم بعض الصرفية من ان العرب اماتوا ماضى يدع ومصدره فمحمول على قلة الاستعمال والا فالنبى عليه الصلاة والسلام افصح العرب وقد روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال قال عليه الصلاة والسلام لينتهين اقوام عن ودعهم الجماعات اوليختمن على قلوبهم اى على تركهم اياها وقال الشاعر

ليت شعرى عن خليلى ما الذى ❊ غاله فى الحب حتى ودعه

وعن عروة ومجاهد انهما قرآ ما ودعك بالتخفيف كذا ذكره حسن چلبى فى حاشية المطول وخطاب دع عام لكل من يصلح ان يكون مخاطبا ممن مدح النبى عليه الصلاة والسلام وقول ادعته عبر بالادعاء لكونه باطلا لان الادعاء يستعمل كثيرا فى الباطل كما ان الدعوى تستعمل فى الحق والنصارى جمع نصران كالندامى جمع ندمان والياء فى نصرانى للمبالغة كما فى الاحمرى سموا بذلك لانهم نصروا نبيهم عيسى عليه السلام اولانهم كانوا ❊ فى قرية يقال لها نصران وناصرة فسموا باسمها او من اسمها والمراد من نبيهم عيسى روح الله ابن مريم عليه السلام والمراد مما ادعته النصارى ما يفضى الى التوليد والحلول والاتحاد اذ النصارى تفرقوا بعد عيسى عليه الصلاة والسلام اثنين وسبعين فرقة وكبار فرقهم ثلاث الملكانية والنسطورية واليعقوبية الملكانية اصحاب ملكان الذى ظهر بالروم واستولى عليها ومعظم الروم الملكانية وهم قالوا ان الكلمة اتحدت بجسد المسيح وتدرعت بناسوتيته ❊ يعنون بالكلمة اقنوم العلم وقالوا ان المسيح قديم ازلى وقد ولدت مريم آلها ازليا واطلقوا لفظ الابوة والبنوة على الله تعالى الله عن ذلك وعلى المسيح لما وجدوا فى الانجيل حيث قال انك انت الابن الوحيد والنسطورية اصحاب نسطور الحكيم الذى ظهر فى زمان المأمون وتصرف فى الانجيل وقال ان الله تعالى واحد ذوا اقانيم ثلاثة الوجود والعلم والحياة وهذه الاقانيم ليست زائدة على الذات وحلت هذه الصفات فى بدن عيسى عليه السلام واذا يحيى الموتى ويبرئ الاكمه والابرص واليعقوبية اصحاب يعقوب من النصارى قالوا بالاقانيم الثلاثة كما ذكرنا الا انهم قالوا انقلبت الكلمة لحما ودما فصار الاله هو المسيح وهو الظاهر بجسده وبانهم

على الوجه المفصل فى كتاب الملل والنحل وقوله واحكم بما شئت مدحا الى آخره دفع سؤال نشأ مما قبله اى هل لا يجوز وصفه عليه السلام بما شئنا من المدائح فقال واحكم على صيغة الخطاب بما شئت اى احمل عليه ما اردته من المدح وقوله مدحا حال من الضمير المحذوف الراجع الى الموصول ويجوز ان يكون حالا من الفاعل اى حال كونك مادحا فيكون المصدر على هذا بمعنى اسم الفاعل وقوله واحتكم اما بمعنى احكم فيكون تأكيدا للاول او بمعنى اتقن فى الحكم بالمدحة حتى لا تتجاوز عن الحد الانسانى الى الوصف الصمدانى اذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق فكما ان ذاته تعالى لا تشبه الذوات كذلك صفاته تعالى لا تشبه صفات المخلوقين اذ صفاتهم لا تنفك عن الاغراض والاعراض وهو تعالى منزه عن ذلك وكفى فى هذا قوله سبحانه (ليس كمثله شئ) وقوله (يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق) وانه عليه السلام وان وصف باكثر ما وصف الله به تعالى لكن صفاته عليه السلام حادثة وصفاته تعالى قديمة

﴿ فَانْسُبْ اِلَى ذَاتِهِ مَاشِئْتَ مِنْ شَرَفٍ ❊ وَانْسُبْ اِلَى قَدْرِهِ مَاشِئْتَ مِنْ عِظَمِ ﴾

لما كان معنى قوله واحكم بما شئت الى آخره خفيا اذ لا يطلق كل شئ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسره بهذا البيت فقال فانسب الى ذاته الى آخره الفاء للتفسير والنسبة الاضافة والذات قال صاحب الكشاف ان التاء فى الذات ليست كالتاء فى بنت بل جرت مجرى التاء فى نحو لات ولهذا جوزوا اطلاقه على الله تعالى مع تحاشيهم عن اطلاق علامة التأنيث انتهى وقال ابن سيده التاء فى ذات وشات ليست للتأنيث لانها غير موقوف عليها هاء وتاء التأنيث هى التى يوقف عليها هاء انتهى وقال الجار بردى اصل ذات ذوى فحذفت الياء فبقى ذو وعوض التاء فصارت ذوت فقلبت الواو الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصارت ذات وكذلك شات وجملة الكلام على ما حققه التفتازانى فى سورة آل عمران ان الذات وان كان فى الاصل مؤنث ذو لكن تاؤه قد انسلخ عنها للدلالة على التأنيث واجريت مجرى التاء الاصلية ثم اطلق على معنى النفس والحقيقة ولذلك قالوا فى النسبة ذاتى باثباتها وجوزوا اطلاقه على الله تعالى مع امتناع اطلاق علامة التأنيث عليه تعالى لوجود التاء وقد يطلق الذات ويراد به ما قام بذاته وقد يطلق ويراد به المستقل بالمفهومية ويقابل الصفة وقد يطلق ويراد به الرضى وقد يطلق ويراد به مفهوم الشئ كذا

في كليات ابي البقاء والتنوين في شرف للتعظيم والتعميم اى من شرف عظيم وكرم كثير من تناسب الاعضاء وجمال الخلق وكرم اليد وطيب العرق وذكاء اللب وصفاء الجنان وبلاغة الكلام وفصاحة اللسان وسائر كمالات الانسان فانه منبع الاحسان ومبدع الرحمن وقوله وانسب الى قدره والقدر المقدار والمراد مقدار المرتبة وعظم على وزن كبر جمع عظمة بمعنى الفخامة فان قيل ما الفرق بين الشرف والعظمة قلنا ان الشرف ينسب الى الذات والعظمة تنسب الى الصفات كما قال النبي عليه الصلاة والسلام في مكتوبه الى هرقل (من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم) فعظيم في مكتوبه بالنسبة الى مرتبته لا ذاته فالمراد بما شئت من عظم علو قدره ومرتبته وجمال طوره وعظمته والمعجزات والارهاصات والمعراج والمناجات والامامة الى الانبياء والدنو الى جنابه الاعلى والتفضيل في القيامة بالمرآه والوسيلة والشفاعة العظيمة وهذا البيت اجمال ما سيأتي من الابيات المشتملة على مدائحه عليه الصلاة والسلام

فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللهِ لَيْسَ لَهُ ۞ حَدٌّ فَيُعْرِبَ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمِ

لما كان في مضمون البيت السابق شبهة بعض المشبهة من انه لا يجوز اطلاق جميع الاوصاف الكاملة عليه بل انما يقتصر على توصيفه بما ورد من الشرع في وصفه في نفسه اثبته وعلله فقال فان فضل رسول الله الخ فالفاء للتعليل فيمكن ان يرتب ههنا قياس من الاقتراني بادنى تغيير بان يقال يجوز ان تنسب الى ذات رسول الله ما شئت من شرف وتنسب الى قدره ما شئت من عظم لان رسول الله ليس لفضله حد فيعرب عنه ناطق بفم وكل من شانه كذا فيجوز ان تنسب الى ذاته ما شئت من شرف وتنسب الى قدره ما شئت من عظم فينتج المطلوب واما تقريره من الاستثنائي فظاهر بان يقال يجوز ان تنسب الى ذات رسول الله ما شئت من شرف لانه لما كان فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم جاز ان تنسب الى ذاته ما شئت من شرف لكن المقدم حق فالتالي مثله والفضل بمعنى الزيادة والتفوق وهو مصدر مضاف الى فاعله والحد ههنا بمعنى الغاية والنهاية او بمعنى الوصف المحيط والفاء في فيعرب جواب للنفي ويعرب منصوب بان المقدرة وهو من الاعراب وهو يجيء بمعنى الاظهار والابانة ويجيء بمعنى التحسين يقال جارية عروب اى حسناء وبمعنى التغيير يقال عربت معدة الفصيل

اذا تغيرت والمراد ههنا هو الاول وعنه متعلق بيعرب والناطق بمعنى المتكلم والباء في بفم للاستعانة متعلق بناطق والنطق لا يكون الا باللسان فالتعبير عنه بالفم من ذكر المحل وارادة الحال وتقييد النطق بالفم اما للتوكيد على طريقة قوله تعالى (يطير بجناحيه) اولان النطق يطلق على ما يجري على الجنان ايضا كما هو مذهب بعض العلماء وانما قيد الحد بقوله يعرب عنه ناطق بفم احترازا عن الحد المعلوم له عليه السلام عند ربه عز وجل فانه تعالى يعلم فضل رسوله اذ لو لم يعلم لزم الجهل والتالي باطل وبما قررنا اندفع ما اورده شيخ زاده فتأمل وفي هذا البيت تلميح الى قوله تعالى (فان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

لَوْ نَاسَبَتْ قَدْرَهُ آيَاتُهُ عِظَمًا ۞ أَحْيَى اسْمُهُ حِينَ يُدْعَى دَارِسَ الرِّمَمِ

لما اراد الناظم الفاهم ان يدفع التوهم الناشئ من ايراد اوصافه عليه السلام انه مبين اوصافه ومورد لكل امداحه قال معترفا بعجزه عن وصفه على ما يناسب له عليه السلام لو ناسبت قدره الى آخره كلمة لو حرف شرط وهو لانتفاء الثاني لانتفاء الاول اى لو ناسبت قدره آياته عظما احيى اسمه لكن ما احيى اسمه حين يدعى دارس الرمم فلم يكن آياته مناسبة لقدره يعني ان آياته غير مناسبة لعلو قدره وعظم مرتبته بل المناسب لقدره ان يعطى ازيد مما به وافضل من الآيات التي اعطيها فان قلت الآيات صيغة جمع وصيغة الجمع من صيغ العموم فيدل على جميع الافراد وهو باطل قطعا لان من افراد آياته القرآن والمعراج على قول الرؤية ايضا فلو كان المراد من الآيات جميع الافراد لزم كون القرآن والمعراج على قول الرؤية غير لائق بشانه عليه السلام وهو باطل قطعا لان القرآن كلام الله القديم وكذا المعراج على هذا شيء عظيم لائق بشأنه بل فاضل عنه قلت اجيب عنه بوجوه اما اولا فبانا لا نسلم ان صيغة الجمع باقية ههنا على عمومها كيف وهو عام قد خص منه البعض فيكون المراد بالآيات غير القرآن والمعراج واما ثانيا فبانا لو سلمناه على عمومه فلا نسلم ان القرآن والمعراج داخلان في الآيات لان المراد منها ما عداهما بقرينة كون اضافتها للعهد اى الآيات التي صدرت عنه عليه السلام بالاختيار وهما حاصلان بالاضطرار واما ثالثا فبان المراد من الآيات الآيات السابقة بقرينة ان الالف واللام فيها للعهد وهما غير داخلين فيما سبق فتدبر واما رابعا فبان يقال ان المراد بالآيات

لآيات الدالة على عظمته اعنى المقصودة فى الدلالة على العظمة لا فى الشرافة والقرآن والمعراج غير ظاهرين فى الدلالة على العظمة وفيه مافيه ثم ان ناسبت من المناسبة وهى الاشتراك فى شئ اواكثر وقدره بالنصب مفعول ناسبت وقدر الشئ مبلغه فى الكمال او النقصان وغلب استعماله فى الكمال خصوصا عند الاطلاق وآياته بالرفع فاعل ناسبت وهى جمع آية بمعنى العلامة وعظما بالنصب تمييز عن اسناد ناسبت وهو بمعنى العظمة وجملة احيى جواب لو واحيى من الاحياء وهو ايجاد الحيوة واعطاؤها واسمه بالرفع فاعل احيى و المراد من الاسم اما مايرادف العلم او بمعنى التسمية بمعنى ذكر الاسم واسناد احيى اليه مجازا اذ المحيى هو الله ويدعى على صيغة المجهول من دعاء اذا طلبه ودعاالله سأله وضمير يدعى راجع الى الله تعالى ودارس الرمم بالنصب مفعول احيى و الرمم جمع رمة كالقطع جمع قطعة وهى العظام البالية يقال درس الرسم اذاعفا فدراستها زيادتها فى البلى واضافة الدارس اليها من اضافة الصفة الى الموصوف اى الرمم الدارسة وحاصل معنى البيت انه او كانت آياته العظام مناسبة لمقدار كماله لاحيى الله تعالى بعد وفاته ببركة اسمه العظام البالية و الاجساد الفانيه لكن ما احيى الله تعالى بعد وفاته تلك العظام لستر غايات كمالاته بين الانام فان قلت لم لم يعط صلى الله تعالى عليه وسلم هذه المعجزة اعنى احياء الموتى بعد وفاته ببركة اسمه حين يدعى الله تعالى كما اعطى سائر المعجزات قلت لو اعطيها ايضا لكان ايمان المؤمنين بعد عصر سعادته عليه الصلاة والسلام ايمانا بالمشاهدة وايمان الغيب اولى من الايمان بالمشاهدة كما لايخفى ومن فهم من هذا البيت ان مراد الناظم ان احياء الموتى لم يعط اليه عليه الصلاة والسلام اصلا فقال معترضا على الناظم ان هذا البيت مخالف لما سيأتى من قوله وكل آى اتى الرسل آه اذ يفهم منه ان احياء الموتى اعطى اليه عليه السلام اذ كان ذلك معجزة لعيسى عليه السلام وهذه المعجزة اتصلت الى عيسى عليه السلام من نور نبينا عليه الصلاة والسلام انتهى فقد خبط خبط عشواء وركب متن عمياء اذ ليس مراد الناظم انه لم يعط اليه عليه السلام هذه المعجزة اصلا بل مراده ان تلك المعجزة لم تعط اليه عليه السلام بعد وفاته الى يوم القيامة والا فهو عليه السلام جامع لجميع المعجزات التى ظهرت فى ايدى سائر الانبياء مع معجزات خاصة به عليه الصلاة والسلام وان كنت فى ريب مما ذكرنا فانظر

الى ماذكر فى دلائل النبوة من انه مات فى زمانه عليه السلام فتى من الانصار فزمله من فى اطرافه فجاءت امه الضعيفة العمياء فاخبروها بموته فقالت اللهم ان كنت تعلم انى هاجرت اليك والى نبيك رجاء ان تغيثنى فى كل شدة فلا تحمل على هذه المصيبة بحرمة نبيك فبعد هذا الدعاء كان ابنها الميت حيا فكشف وجهه فقام واكل الطعام مع الحاضرين وكذا ماروى ان جابر بن عبد الله دعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دعوة فذبح غنما فجاء ابنه الكبير فسأل من اخيه الصغير قائلا كيف ذبح ابونا الغنم فقال الغلام الصغير له جئ حتى اريك فاطاعه الغلام الكبير فشد يديه ورجليه فاخذ السكين وذبحه فذهب برأسه الى امه فبكت امه فخاف الغلام منها ففر وصعد السطح فجرت امه من خلفه فرمى الغلام نفسه من السطح فمات فصبرت امها على هذه المصيبة فلفتهما فى خرقة وحفظتهما فى البيت وشرعت فى طبخ الطعام فلما جاء الرسول عليه الصلاة والسلام حضروا الطعام فنزل جبرائيل فقال له عليه السلام امر الله تعالى لك ان تأكل هذا الطعام مع ابنى جابر فاعلم رسول الله عليه الصلاة والسلام جابرا فجاء جابر الى زوجته فسألها فقالت ليسا بحاضرين هنا فجاء جابر اليه عليه الصلاة والسلام فقال انهما ليسا بحاضرين يارسول الله فامر رسول الله تكرارا باتيانهما فجاء جابر فاقدم على زوجته فاضطرت واخبرت بالسر فجاء جابر اليه عليه الصلاة والسلام باكيا فاخبره بالقضية فتفكر رسول الله فنزل جبرائيل فقال ان الله تعالى يأمرك ان تدعو لهما و يقول منك الدعاء ومنا الاجابة فدعا رسول الله لهما فوجدا الحياة فقاما واكلا معه عليه السلام ومثل هذا كثير وفير كما لايخفى على من هو بكتب الاحاديث خبير ثم اعلم ان خاصية هذا البيت انه لو قرئ على محتضر قد اشتدت سكرات موته فى آخر وقته ان تم اجله يموت والا فيفيق و يخلص من الم ذلك الوقت وشدته كذا اخبر به الاستاذ طال بقاه

لم يمتحنا بما تعيى العقول به ❊ حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم

لما توهم مما سبق انه عليه الصلاة والسلام فى غاية العظمة ونهاية المهابة فلا يبالى بامته الضعيفة كسلاطين الزمان لانهم اذا وصلوا الى المرتبة العليا لم يبالوا بالرعايا بل كلما فاقت مراتبهم يحملون رعاياهم على الاعمال الشاقة والافعال التى لاوسع لهم عليها ولا طاقة دفعه فقال لم يمتحنا بما تعيى العقول به الخ لم يمتحنا من الامتحان بمعنى الاختبار والابتلاء او من المحنة اى لم يحملنا

على المحنة والباء فى بما متعلق بيمتحن وماعبارة عن الشرع الشريف وتعى مضارع من عيى لامن اعيى والفرق بين العى والاعياء ان كل عجز حصل بعد حركة وسكون فهو اعياء وكل عجز حصل فى رأى وعقل فهو عى وههنا حكاية وهى ان الكسائى تعلم النحو فى كبر سنه وكان سبب تعلمه انه مشى يوما حتى اعيى فجلس عند قوم ليستريح فقال عييت بالتشديد بغير همزة فقالوا له لاتجالسنا وانت تلحن قال الكسائى فكيف اقول قالوا ان اردت من التعب والمشقة فقل اعييت وان اردت من التحير فى الامر والرأى فقل عييت مخففا فقام الكسائى من فوره وسأل عمن يعلم النحو فارشدوه الى معاذ فجاء وقرأ عليه حتى نفد ما عنده ثم خرج الى البصرة الى الخليل بن احمد كذا ذكره الحنفى فى تعريفاته والعقول جمع عقل وهو فى الاصل بمعنى الحبس سمى به الادراك الانسانى لحبسه عما يقبح ومنعه عما لايحسن وفى الدرر العقل فى الاصل بمعنى الدية سميت به لانها تعقل الدماء من ان تسفك ومنه العقل والعقل والنفس والذهن واحد بالذات الا انه اذا كان مدركا يسمى عقلا واذا كان متصرفا يسمى نفسا واذا كان مستعدا للادراك يسمى ذهنا ثم اعلم ان العقل له معان منها جوهر مجرد غير متعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف قال التفتازانى هذا ماقيل جوهر ليس بجسم ولاجسمانى ومنها قوة للنفس الانسانية بها تمكن من ادراك الحقائق ولعل هذا ماقالوا قوة للنفس بها تستعد للعلوم والادراكات ومنها القوة الغريزية التى يلزمها العلم بالضروريات ونفس العلم فيها بذلك ومنها قوة مميزة بين الامور الحسنة والقبيحة ومنها هيئة محمودة للانسان ومنها قوة للنفس بها تنتقل من الضروريات الى النظريات ومنها جوهر مجرد عن المادة فى ذاته مقارنا لها فى فعله وهى النفس الناطقة التى يشير اليها كل احد بقوله انا ثم اختلف فى محل العقل فقيل نور فى بدن الادمى وقيل فى الرأس ونوره فى القلب وقيل فى القلب واشراقه الى الدماغ ثم اعلم ان الحكماء اثبتوا العقول العشرة وسموا جبريل بالعقل العاشر والعقل الفعال وقالوا انه خلق العالم الاصغر من السطح المقعر لفلك القمر والعناصر الاربعة والموليد الثلاثة وزعموا انه لايصدر من الواحد الا واحد وكله كذب وتفصيل قواعدهم فى علم الحكمة وقوله به متعلق بتعى والضمير راجع الى الموصول وقوله حرصا بالنصب مفعول له او حال اى ذا حرص وعلى متعلق بالحرص

والحرص شدة الرغبة فى الشئ والميل اليه وصرف الهمة له والفاء فى فلم نرتب نتيجة لماقبله من المقدمات ينتج هذا المطلوب فترتيب قياسه هكذا ان نبينا عليه الصلاة والسلام لم نرتب به ولم نهم لانه عليه الصلاة والسلام لم يمتحنا بما تعى العقول به ومن امتحننا بما تعى العقول به نرتاب ونهيم به ينتج من الشكل الثانى عين المطلوب وترتيبه من الشكل الاول سهل لمن هو اهل ونرتب من ارتاب بمعنى شك ونهم مضارع من هام اذا تحير كقوله

﴾ كل البلابل فى افصاح خلصته ❁ سحبان هام به مافاز بالزمل ﴿

وحاصل معنى البيت انه عليه السلام لم يختبرنا ولم يبتلنا ولم يحملنا على تعب ومحنة باتيان شريعة تعجز عنها العقول ولم يكلفنا شيئا من التكاليف الشاقة كما كان فى امم قبلنا مثل تعيين القصاص فى العمد والخطاء وحرمة الدية وقطع الاعضاء الخاطئة وفرض موضع النجاسة وقتل النفس فى التوبة وقطع الثوب المتنجس المقراض وترك العمل فى يوم السبت وعدم جواز الصلاة فى غير الكنائس وفرض خمسين صلاة فى يوم وليلة وصرف ربع المال للزكاة وغير هابل اتانا بالحنيفية السهلة السمحاء فلم نتحير فى متابعته ولم نشك فى رسالته قال الحسن فى تفسير قوله تعالى (عزيز عليه) اى ان تدخلوا النار (حريص عليكم) اى ان تدخلوا الجنة وقال فى التفسير الكبير المراد انه حريص بايصال الخيرات اليكم فى الدنيا والآخرة وقال الفراء الحريص الشحيح ومعناه انه شحيح عليكم ان تدخلوا النار انتهى قال فى المواهب قال تعالى فى شأنه (وما ارسلناك الارحمة للعالمين) ولا رحمة مع التكليف بمالايفهم وبالجملة فى هذا البيت تلميح الى قوله تعالى (لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه) الآية وايماء الى قوله تعالى (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) واشارة الى قوله تعالى (ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم) وتلويح الى قوله عليه (بعثت بالحنيفية السهلة السمحاء) والى قوله عليه السلام (لقد جئتكم بها بيضاء نقية) اللهم انت خالق الورى اجعلنا من اهل المغفرة والتقى بحرمة النبى الذى فى صورة قديد ❁

﴾ اعيى الورى فهم معناه فليس يرى ❁ للقرب والبعد منه غير منفحم ﴿

لما احتمل ان يتوهم من قوله فلم نرتب ولم نهم انا وصلنا الى فهم حقيقة معناه دفعه فقال اعيى الورى فهم معناه الخ الاعياء التعجيز والورى بمعنى الخلق والالف واللام فيه للاستغراق فالمعنى اعجز جميع المخلوقات لان استغراق المفرد

المفرد اشتمل وهو بالنصب مفعول اعيى وفهم بالرفع فاعله وهو مضاف الى مفعوله اى فهمهم معناه ومعنى الرجل كماله الخاص به والفاء فى فليس فصيحة اى اذا عجز المخلوقات عن فهم معناه فليس يرى الخ وليس قالوا ان اصل ليس لاايس والايس اسم للموجود فاذا قيل لاايس فمعناه لاموجود ولاوجود ثم كثر استعماله فحذفت الالف فبقى ليس ثم اعلم ان القاعدة فى كلمة ليس انه اذا دخل على الفعل يكون اسمه ضمير شان فههنا كذلك ويرى مضارع على صيغة المجهول امامن الرؤية البصرية اومن الرؤية القلبية فان كان من الاولى يكون قوله الاتى مفعولها القائم مقام الفاعل وان كان من الثانية فالمفعول الثانى احد الجارين مع المجرور وقوله للقرب وقع فى بعض النسخ بفى و بعضها باللام فاللام بمعنى فى والقرب والبعد امازمانيان اومكانيان ومنه وقع فى بعض النسخ بدله منهم فعلى الاول يكون الضمير راجعا الى معناه وعلى الثانى يكون راجعا الى الورى والانفحام قبول الالزام والمراد به العجز عن اتيان كمال معناه وحاصل معنى البيت ان فهم معانيه الخفية البهية وكمالاته العلية السنية اعجز الكائنات باسرها والمخلوقات بشر اشرها فلايبصر بل لايعلم للقرب والبعد غير العجز عن ادراك حقيقة معناه وغير السكوت عن حقيقة مبناه فكان وصفه عليه الصلاة والسلام اصعب من جميع الجهات بين الانام ولذا قال الشيخ بدرالدين الزركشى واهذا لم يتعاط فحول الشعراء المتقدمين كابى تمام والبحترى وابن الرومى مدحه عليه السلام مع كونهم مسومين بالفصاحة والبلاغة بين الانام لان مدحه عليه السلام كان من اصعب مايحاولونه فان المعانى دون مرتبته والاوصاف دون وصفه وكل علو فى حقه تقصير فيضيق على البليغ وصفه وقال فى تذكرة القرطبى لم يظهر كمال حسنه عليه السلام والا لما طاقت اعين الصحابة رضى الله تعالى عنهم النظر اليه انتهى

﴿ كَالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بُعُدٍ ۞ صَغِيرَةً وَتُكِلُّ الطَّرْفَ مِنْ أَمَمِ ﴾

لما كان فى مفهوم البيت الاول خفاء اتى له بنظير فقال كالشمس تظهر الخ الشمس كوكب نهارى مضئ لجميع العالم وتظهر من الظهور على صيغة التأنيث لان الشمس مؤنث وتظهر مع مابعده اشارة الى وجه التشبيه بالشمس لامطلقا وقد بين نقص التشبيه بها على الاطلاق ابو النواس حيث قال

* بنيه الشمس والقمر المنير * اذا قرنا كانهما الامير *
* لان الشمس تغرب حين تمسى * وان البدر ينقصه المسير *

وهذا التشبيه وغيره مما ورد فى حقه عليه السلام انما هو على سبيل التقريب والتمثيل والا فذاته اعلى وامجد فان قلت المناسب ان يشبه جماله عليه السلام بالقمر والبدر لان القمر يملأ الارض بنوره و يؤنس كل من يشاهده ونوره من غير حر يفزع ولا كلال يترع قلت نعم كذلك الا ان الناظم الفاهم قصد تشبيهه عليه السلام بالشمس فى العجز عن التمكن من النظر على وجه الكمال الى وجهه عليه السلام وفى اتمية الضياء لان الشمس اتم ضياء من القمر كما لايخفى وقوله للعينين على صيغة التثنية متعلق بتظهر والالف واللام فيه للاستغراق اى لكل عين سواء كانت عين الاولياء اوالاصفياء ومن بعد متعلق به ايضا والبعد بضمتين لغة فى البعد والبعد ضد القرب وهو عبارة عن امتداد قائم بالجسم او بنفسه عند القائلين بوجود الخلا وقوله صغيرة بالنصب حال من فاعل تظهر وقوله وتكل من الاكلال وهو التعجيز عن الادراك والطرف العين ومن امم متعلق بتكل اوحال من الطرف والامم بفتحتين القرب وحاصل معنى البيت انه صلى الله عليه وسلم فى وصفه الذى تقدم من انه عجز عن فهم مبناه وعلم معناه كالشمس التى تظهر للعينين من جهة البعد حال كونها صغيرة وتعجز البصر والنظر من القرب وتصيز نفس الرائى حسيرة والحاصل ان الشمس على ماقيل انها قدر كرة الارض مائة وستين مرة كما انها تظهر من المسافة البعيدة صغيرة و اذا تقرب الشخص لادراك حقيقتها يرى نفسه عاجزة حقيرة كذلك هو عليه السلام يرى فى بادئ النظر انه فرد من افراد البشر واذا تأمل فى جمال ذاته وكمال صفاته عجز وتحير وفى هذا البيت اشارة دقيقة الى قوله عليه السلام اللهم اجعلنى فى عينى صغيرا اى لمشاهدة عظمتك وفى اعين الناس كبيرا اى لمكاشفة قدرتك

﴿ وَكَيْفَ يُدْرِكُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ ۞ قَوْمٌ نِيَامٌ تَسَلَّوْا عَنْهُ بِالْحُلُمِ ﴾

لما بين العجز عن ادراك كمالاته عليه السلام بالغ فيه مع الاشارة الى علة ذلك العجز فقال وكيف يدرك فى الدنيا الخ وفى بعض النسخ وقع بالفاء فيكون تفريعا لما تقدم وفى بعضها بالواو فتكون عاطفة وكيف ظرف يدرك قدم عليه لصدارته لانه كلمة استفهام والاستفهام لانكار اوقوع ويدرك مضارع معلوم من الادراك والادراك بمعنى مطلق التصور او بمعنى الاحاطة بجوانب المرئى قال

بعضهم اول مراتب وصول العلم الى النفس الشعور ثم الادراك ثم الحفظ وهو استحكام المعقول فى العقل ثم التذكر وهو محاولة النفس فى استرجاع مازال من المعلومات ثم الذكر وهو رجوع الصورة المطلوبة الى الذهن ثم الفهم وهو التعقل ثم الفقه وهو العلم بغرض المخاطب ثم الدراية وهى المعرفة الحاصلة بعد ترتيب مقدمات ثم اليقين ثم الذهن وهو استعداد الذهن لكسب العلوم الغير الحاصلة ثم الكفر ثم الحدس وفى الدنيا متعلق بيدرك وانما قيد عدم الادراك بالدنيا لان استتار حقيقته المحمدية واختفاء كمالاته الاحمدية مخصوص بالدنيا لان فى الآخرة تظهر مراتب كل احد ولذا يرى المؤمنون فى الآخرة ربهم بغير كيف ومكان ولذا قال صاحب الامالى ٭يراه المؤمنون بغير كيف٭ لان فى الآخرة تبدل العين الى حالة اخرى ولذا قال بعض العارفين انما امتنع رؤية الله تعالى فى الدنيا الفانية لان الباقى لايرى الا بالعين الباقية وقوله حقيقته بالنصب مفعول يدرك وضميره راجع اليه عليه الصلاة والسلام وحقيقة الشئ كماله الخاص به يقال حقيقة الله ولا يقال ماهية الله لانها مهاة معنى التجانس وقوله قوم بالرفع فاعل يدرك والقوم اسم لجماعة الرجال خاصة لانهم القوامون بامور النساء فاللفظ مفرد بدليل انه يثنى ويجمع واختصاص القوم بالرجال دون النساء صريح فى قوله تعالى (لايسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولانساء من نساء) وقول زهير ٭ اقوم آل حصن ام نساء ٭ واما فى مثل هذا المقام فذكر الذكور وترك النساء لانهن توابع لرجالهن فيكون تغليبا ثم اعلم ان فى القوم ثلاثة اقوال احدها انه اسم جمع وثانيها انه جمع لاواحد له من لفظه وثالثها انه جمع له واحد من لفظه كما قال صاحب الكشاف فى سورة الحجرات هو فى الاصل جمع قائم وقوله نيام بالرفع صفة قوم وهى جمع نائم والنوم ريح يقوم من اغشية الدماغ فاذا وصل الى العين فترت واذا وصل الى القلب نام والمراد من النيام الغفل اما على طريق الاستعارة او المجاز اما الاول فبان يقال شبه الغفلة بالنوم فى عدم ادراك فائدة ما ثم استعير النوم للغفلة وذكر النوم واريد الغفلة ثم اشتق من الغفلة الغفل الذى هو جمع غافل واشتق من النوم نيام وشبه الغفل بالنيام فاستعير النيام للغفل فذكر النيام واريد الغفل فعلى هذا يكون قوله تسلوا عنه بالحلم ترشيحا لهذه الاستعارة واما الثانى فبأن يكون مجازا مرسلا تبعيا بان يقال ان الغفلة لازمة للنوم فذكر اللزوم واريد اللازم ثم شتق من الغفلة

غفل ومن النوم نيام فذكر النيام واريد الغفل وقوله تسلوا من التسلية بمعنى قنعوا واكتفوا وعنه متعلق بتسلوا والضمير اما راجع اليه عليه السلام واما الى حقيقته والحلم بضمتين ما يراه النائم فى نومه من الخيالات وحاصل معنى البيت كيف تعلم فى الدنيا الدنية حقيقة الذات المحمدية وحقيقة الصفات الاحمدية جماعة غافلة كالنيام قنعوا عن معرفته بالخيالات والاوهام وفى هذا البيت تنبيه الى قوله عليه الصلاة والسلام الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا والحمد لله العلام

﴿ فَمَبْلَغُ العِلْمِ فِيهِ اَنَّهُ بَشَرٌ ۞ وَاَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللّٰهِ كُلِّهِمِ ﴾

فلما كان المراد بتسليتهم بالحلم خفيفا اراد ان يفسره فقال فمبلغ العلم الخ فالفاء للتفصيل والتفسير والمبلغ بمعنى المنتهى والغاية والعلم الالف واللام فيه عوض عن المضاف اليه اى منتهى علم الناس وفيه متعلق بمبلغ او ظرف مستقر صفة للعلم وفيه حذف مضاف اى فى شانه عليه السلام وان مع اسمها وخبرها خبر المبتدأ والضمير له عليه السلام والبشر هو علم لنفس الحقيقة من غير اعتبار كونها مقيدة بالتشخصات والصور واما الرجل فهو اسم لحقيقة معتبرة معها تعينات وصور حقيقة فالمتبادر فى الاول نفس الحقيقة وفى الثانى الصورة وفى القاموس البشر بالحركات الانسان ذكرا كان او انثى واحدا كان او جمعا نحو قوله تعالى (بشرا سويا) وقوله (فاما ترين من البشر احدا) وقد يثنى ويجمع على ابشار فان قلت هل العلم بكونه صلى الله تعالى عليه وسلم بشرا ومن العرب شرط فى صحة الايمان او هو من فروض الكفاية قلت اجاب عنه الشيخ ولى الدين العراقى بانه شرط فى صحة الايمان لانهم قالوا لو قال شخص اؤمن برسالة محمد عليه السلام الى جميع الخلق ولكن لاادرى هل هو من البشر او من الملائكة او من الجن اولا ادرى هل هو من العرب او من العجم فلاشك فى كفره لتكذيبه القرآن وجحده ماتلقته قرون الاسلام خلفا عن سلف وصار معلوما بالضرورة عند الخاص والعام ولا اعرف فى ذلك خلافا وان كان جاهلا بالقرآن او كان فى غيب لايعرف ذلك الاتفاق وجب تعريفه اليه فان جحده بعد ذلك حكمنا بكفره انتهى وقوله وانه خير خلق الله كلهم عطف على انه بشر والخير قد سبق تفصيله والخلق بمعنى المخلوق وضمير كلهم راجع الى الخلق وجمعيته باعتبار المعنى او مبنية على ماذكره القاضى من ان ضمير الجمع قد يرجع الى المفرد وبالعكس وانما اكد

بالكل دفعا لخلاف البعض وحاصل معنى البيت ان نهاية بلوغ علمنا وغاية وصول فهمنا فى مبنى ذاته انه بشر عظيم وجوهر جسيم من افراد الانسان واحياد الاعيان وفى معنى صفاته انه افضل المخلوقات وسيد الكائنات

﴿ وكلّ آيٍ اتى الرسلُ الكرامُ بها ❊ فانما اتصلت من نورِه بهِمِ ﴾

لما كان قوله فى المصراع الثانى وانه خير خلق الله كلهم نظريا بيّنه واحكمه فقال وكل آى اتى الرسل الخ فالواو من قبيل عطف العلة على معلولها اى اذ كل آى فيمكن ان يرتب ههنا قياس من الشكل الاول بادنى تغيير بان يقال نبينا خير الانبياء كلهم لان نبينا عليه الصلاة والسلام كل آى اتى الرسل الكرام بها فانما اتصلت من نوره بهم وكل من شانه كذلك فهو خير الانبياء كلهم فينتج المطلوب وترتيبه من الاستثنائى سهل لمن هو اهل وكل بالرفع مبتدأ مضاف الى نكرة فيفيد عموم الافراد فتناسب المقام والآى جمع آية بمعنى العلامة الظاهرة واشتقاقها من اى لانها تبين اياما اى و يستعمل فى المحسوسات والمعقولات والمراد ههنا المعجزات واتى يجئ لمعان كمعنى فعل ومعنى حضر يقال اتى المكان اى حضره و بمعنى جامع يقال اتى المرأة اتيانا اى جامعها ومعنى انفذ يقال اتى على شئ اى انفذه ومعنى بلغ ومعنى اهلك يقال اتى عليهم الدهر اى اهلكهم وافناهم ومعنى امر كقوله تعالى (وما آتاكم الرسول) اى امركم ومعنى انتسب يقال اتى الرجل القوم اى انتسب اليهم وليس منهم وقد يتعدى الى الثانى بالباء مثل اتيته بالليلة وذكر الزمخشرى انه يجئ بمعنى صار كما فى قولك جاء البناء محكما اى صار و بمعنى كان قوله تعالى (ولا يفلح الساحر حيث اتى) اى كان والمراد ههنا اما معنى حضر او معنى جاء والرسل بسكون السين لضرورة الوزن جمع رسول لا يقال المناسب ان يقول كل النبى بها ليعم ويشمل لانا نقول بنى الناظم هذا القول على ان النبى والرسول مترادفان او النبى يفهم بطريق الدلالة مع انه فى الرسل دخل رسل الملائكة كجبريل وعزرائيل وميكائيل واسرافيل فظهر افضليته عليه السلام وعليهم جميعا كيف وقد قال جمهور اهل السنة والجماعة ان خواص بنى آدم وهم الانبياء افضل من خواص الملائكة وهم الاربعة المذكورة وحملة العرش والمقربون والكروبيون والروحانيون وخواص الملائكة افضل من عوام بنى آدم قال التفتازانى بالاجماع بل بالضرورة وعوام بنى آدم من المؤمنين افضل من عوام الملائكة فالمسجود له افضل من الساجد وفيه بحث مفصل فى كتب الكلام

والكرام جمع كريم وهو اما من الكرم لانهم منعمون على امتهم بالشرائع وطرق الهداية والخلاص من الكفر والضلالة واما من الكرامة عند الله تعالى ولذا جعلهم رسلا وانبياء والباء فى بها للملابسة متعلق باتى والضمير راجع الى الآى ومن نوره متعلق باتصلت وضمير نوره راجع الى محمد عليه الصلاة والسلام والنور هو الجوهر المضئ والنار كذلك غير ان ضوء النار مغمور بالدخان والنار الصرفة كالنفس فى اللطافة ولزوم الحركة لها الان كرة النار تتحرك على استدارتها بمتابعة الفلك والنفس تتحرك دائما بحركات مختلفة ارادية كذا قالوا و بهم متعلق باتصلت ايضا والضمير للرسل وحاصل معنى البيت ان جميع ما اتى الرسل والانبياء من خوارق العادات فانما اتصلت وحصلت تلك الايات الظاهرة والمعجزات الباهرة من اثر نوره الاصلى فمعجزات السابقين معجزة له كما ان كرامات اللاحقين كرامة له فالسابقون واللاحقون انما هم فى الحقيقة له نائبون كالمقدمة والساقة للامير ومعنى البيت لا يظهر الا بنقل ما روى عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله الانصارى وهو انه قال قلت يارسول الله بابى انت وامى اخبرنى عن اول شئ خلق الله تعالى قبل الاشياء قال يا جابر ان الله تعالى خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ولم يكن فى ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا ارض ولا شمس ولا قمر ولا جن ولا انس فلما اراد الله تعالى ان يخلق الخلق قسم ذلك النور اربعة اجزاء فخلق من الجزء الاول القلم ومن الثانى اللوح ومن الثالث العرش ثم قسم الجزء الرابع اربعة اجزاء فخلق من الجزء الاول حملة العرش ومن الثانى الكرسى ومن الثالث باقى الملائكة ثم قسم الجزء الرابع اربعة اجزاء فخلق من الاول السموات ومن الثانى الارضين ومن الثالث الجنة والنار ثم قسم الرابع اربعة اجزاء فخلق من الاول نور ابصار المؤمنين ومن الثانى نور قلوبهم وهى المعرفة بالله ومن الثالث نور انفسهم وهو التوحيد لا اله الا الله محمد رسول الله فالعرش والكرسى من نورى والكروبيون والروحانيون من الملائكة من نورى وملائكة السموات السبع من نورى والجنة وما فيها من النعم من نورى والشمس والقمر والكواكب من نورى والعقل والعلم والتوحيد من نورى وارواح الانبياء والرسل من نورى والشهداء والسعداء من نورى فاقام النور وهو الجزء الرابع فى كل حجاب الف سنة وهو مقام العبودية

وهو حجاب الكرامة والسعادة والهيبة والرحمة والرأفة والعلم والحلم والوقار والسكينة والصبر والصدق واليقين فلما اخرج النور من الحجب ركبه فى الارض فكان يضئ منه ما بين المشرق والمغرب كالسراج فى الليل ثم لما خلق الله تعالى آدم من الارض ركب فيه النور فوق جبينه ثم انتقل الى شيث الحديث فمن هذا الحديث علم ان كل آى وصل الى سائر الانبياء فهو من نوره عليه الصلاة والسلام لان كل ما فى الكونين من نوره

* فَإِنَّهُ شَمْسُ فَضْلٍ هُمْ كَوَاكِبُهَا * يُظْهِرْنَ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلَمِ *

لما كانت صغرى القياس التى هى البيت الاول غير مبينة اراد ان يبينها ويثبتها فقال فانه شمس فضل الخ فترتيب قياسه هكذا نبينا اتصلت من نوره الآيات التى اتى الرسل الكرام بها اليهم لان نبينا شمس فضل هم كواكبها وكل من شانه كذا فانما اتصلت من نوره الايات التى اتى الرسل الكرام بها اليهم فينتج المطلوب وقوله يظهرن علة لصغرى هذا القياس فترتيب قياسه هكذا نبينا عليه السلام شمس فضل هم كواكبها لان نبينا عليه السلام تظهر سائر الانبياء انواره للناس فى عدم وجوده دون حين وجوده عليه السلام وكل من شانه كذلك فهو شمس فضل فينتج المطلوب فالفاء فى فانه للتعليل والضمير له عليه السلام وشمس فضل اى كشمس فضل اذ هو من التشبيه البليغ لان طرفيه مذكوران وبعضهم جعله استعارة مصرحة بان يقال شبه النبى عليه السلام بالشمس فى المظهرية وازالة الظلمة فاستعير الشمس له عليه السلام فذكر الشمس واريد النبى عليه السلام ولا يضر هذه الاستعارة ذكر الطرفين لانه انما يضر اذا كان على وجه ينبئ عن التشبيه وههنا ليس كذلك واضافة الشمس الى الفضل بمعنى من اى شمس من فضل الله ثم اعلم ان القسطلانى عد الشمس فى المواهب اللدنية من اسمائه عليه الصلاة والسلام حيث قال واما الشمس فسمى بها صلى الله عليه تعالى وسلم لكثرة نفعه وعلو رفعته وظهور شريعته وجلالة قدره وعظم منزلته لانه لا يحاط بكماله حتى لا يسع الرائى ان ينظر اليه ملئ عينه اجلالا له كما ان الشمس فى الرتبة ارفع من انواع الكواكب لانها فى السماء الرابعة والانتفاع بها اكثر من غيرها كما لا يخفى وايضا لما كان سائر الكواكب يستمد من نورها ناسب تسميته صلى الله عليه وسلم بها لان نور الانبياء استمد من نوره عليه السلام انتهى وهم راجع الى الانبياء وجعله راجعا الى اصحاب النبى عليه السلام غير ظاهر والكواكب

جمع كوكب والمراد بها اما الاقمار او النجوم والضمير راجع الى الشمس فالاضافة لادنى ملابسة لان الشمس سبب لكونها نجوما ذوات نور وحمل الكواكب على الانبياء اما بطريق التشبيه البليغ او الاستعارة كما سبق فتذكر فلما كان وجه الشبه فى تينك الاستعارتين خفيا اظهر بيظهرن اى تلك الكواكب انوارها اى انوار تلك الشمس للناس اى لجميع العباد فى الظلم جمع ظلمة اى فى غيبوبة تلك الشمس فالكواكب ليست مضيئة بالذات وانما هى مستمدة من الشمس فهى عند غيبة الشمس تظهر نور الشمس فيها فكذلك الانبياء قبل وجوده عليه الصلاة والسلام كانوا يظهرون فضله فجميع ما ظهر على ايدى الرسل عليهم الصلاة والسلام من الانوار فانما هو من نوره الفائض ومدده الواسع من غير ان ينقص منه شئ واول ما ظهر ذلك فى آدم عليه الصلاة والسلام حيث جعله الله تعالى خليفة وامده بالاسماء كلها من مقام جوامع الكلم لمحمد عليه الصلاة والسلام فظهر بعلم الاسماء كلها على الملائكة القائلين (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) الآية ثم توالت الخلائق فى الارض الى ان وصل الى زمان وجود جسم نبينا عليه الصلاة والسلام لاظهار حكم منزلته فلما برز كالشمس اندرج فى نوره كل نور وانطوى تحت منشور آياته كل آية لغيره من الانبياء ودخلت الرسالة كلها فى صلب نبوته والنبوات كلها تحت لواء رسالته فلم يعط احد منهم كرامة او فضيلة الا وقد اعطى صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها فآدم عليه الصلاة والسلام اعطى ان الله تعالى خلقه بيده فاعطى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام شرح صدره تولى الله تعالى شرح صدره بنفسه وخلق فيه الايمان والحكمة وهو الخلق النبوى مع ان المقصود كما مر بخلق آدم خلق نبينا عليه الصلاة والسلام واما سجود الملائكة لآدم فلاجل ان نور نبينا عليه الصلاة والسلام كان فى جبهته واما تعليم آدم عليه السلام اسماء كل شئ فكذلك نبينا عليه الصلاة والسلام علم اسماء العلوم وذواتها ولا ريب ان المسميات اعلى رتبة من الاسماء لان الاسماء يؤتى بها لتبيين المسميات فهى المقصودة بالذات واما ادريس عليه السلام فرفعه الله تعالى مكانا عليا واعطى سيدنا محمدا عليه الصلاة والسلام المعراج والرفع الى مكان لم يرفع اليه غيره واما نوح عليه السلام فنجاه الله ومن آمن معه من الغرق والخسف واعطى سيدنا محمد عليه السلام انه لم تهلك امته بعذاب من السماء قال الله تعالى (وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم)

واما ابراهيم عليه السلام فكانت عليه نار نمرود بردا وسلاما واعطى سيدنا محمدا عليه السلام نظير ذلك اطفأ نار الحرب عنه عليه السلام قال تعالى (كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله) وكذلك انه عليه السلام مر ليلة المعراج على بحر النار مع سلامته منه واما ما اعطى ابراهيم عليه الصلاة والسلام من مقام الخلة فاعطى عليه السلام اياه وزاده بمقام المحبة واما ما اعطى ابراهيم من كسر الاصنام والازلام فاعطى سيدنا محمد عليه السلام كسرها باسرها بمحضر من اولى نصرها من غير تعريض فى القول ولا تمريض فى الصول بل قال جهرا (قل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا) واما ما اعطى موسى عليه السلام من قلب العصا حية فاعطى عليه السلام انه لما اراد ابوجهل ان يرميه عليه السلام بحجر رأى على كتفيه ثعبانين فانصرف مرعوبا واما ما اعطى موسى عليه السلام من اليد البيضاء فاعطى سيدنا محمد عليه السلام انه لم يزل نورا فى اصلاب وبطون وكان يرى من نوره فى الليلة المظلمة ما سقط على الارض من الخياط واما ما اعطى موسى ايضا من انفلاق البحر فاعطى سيدنا محمد انشقاق القمر كما سيجئ ان شاء الله تعالى فموسى تصرف فى عالم الارض وسيدنا محمد فى عالم السماء والفرق واضح وذكر ابن حبيب ان بين السماء والارض بحرا يسمى المكفوف يكون بحر الارض بالنسبة اليه كالقطرة من البحر المحيط قال فعلى هذا كان ذلك البحر منفلقا لنبينا عليه السلام فى ليلة المعراج واما ما اعطى موسى من اجابة الدعاء فقد اعطى سيدنا محمد ما لا يحصى وسيجئ بيان بعضه واما ما اعطى موسى عليه السلام من تفجر الماء له من الحجارة فاعطى سيدنا محمد ان الماء تفجر من بين اصابعه وهذا ابلغ واما ما اعطى موسى عليه السلام من الكلام فاعطى سيدنا مثله ليلة الاسراء وزيادة الدنو ومقامه عليه السلام كان فوق السموات العلى وسدرة المنتهى ومقام موسى كان طور سينا واما ما اعطى هرون عليه السلام من الفصاحة فكان عليه السلام افصح جميع بنى آدم واما ما اعطى يوسف عليه السلام من شطر الحسن فاعطى سيدنا محمد عليه السلام كله وقد سبق وسيأتى بعضه واما ما اعطى يوسف عليه السلام من تعبير الرؤيا فقد اعطى عليه السلام ما لا يعد ولا يحصى واما ما اعطى داود عليه السلام من تليين الحديد فاعطى نبينا عليه السلام مثل ذلك وزاد عليه ما اعطى من الخشب لبعض الاصحاب

حيث كان سيفا قويا واما ما اعطى سليمان عليه السلام من جنود الجن فخير منه عد الملائكة مع جبريل من جملة اجناده عليه الصلاة والسلام واما ما اعطيه من الملك فنبينا عليه الصلاة والسلام خير بين ان يكون نبيا ملكا ونبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا واما ما اعطى عيسى عليه الصلاة والسلام من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى فاعطى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام جميع ذلك لانه رد العين الى مكانها بعد ما سقطت فعادت احسن ما كانت وكذا ما روى ان امرأة معاذ بن عفراء كانت برصاء فشكت الى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فمسح عليها بعصا فذهب البرص منها ذكره الرازى واما احياؤه عليه الصلاة والسلام الموتى فقد سبق فتذكره وما ذكرنا كواحد من العشر بالنسبة الى ما جاء فى هذا البحث من الخبر

﴿ أَكْرِمْ بِخَلْقِ نَبِيٍّ زَانَهُ خُلُقٌ ۞ بِالْحُسْنِ مُشْتَمِلٍ بِالْبِشْرِ مُتَّسِمِ ﴾

لما بين اجمالا حسن خلقه وصورته عليه الصلاة والسلام بتشبيهه بالشمس اراد ان يذكر بعضا من تفصيله مع جعل بيان بعض خلقه وسيرته تابعا له فقال اكرم بخلق نبى زانه خلق الخ اكرم فعل تعجب على صيغة امر الحاضر والفاعل مستتر راجع الى الله اى ما اكرم الله بخلق نبى اى تعجب من اكرام الله بخلق نبى والباء فيه زائدة على ما ذهب اليه الاخفش متعلق باكرم والخلق بمعنى الذات والصورة والتنوين فى نبى للتعظيم اى نبى فخيم والمراد محمد عليه الصلاة والسلام بقرينة المقام وجملة زانه صفة لنبى وهو من الزينة وزان يتعدى بنفسه كقول امرئ القيس فى قصيدته المعلقة

۞ وفرع يزين المتن اسود فاحم ۞ اثيث كقنو النخلة المتعثكل ۞

والخلق بالرفع فاعل زان وهو بضمتين جمع خلق بمعنى الصفة والسيرة والمراد شمائله عليه السلام وقد اشار فى هذا المصراع الى ان حسن الصورة انما هو حسن ان كانت الاخلاق حسنة وبالحسن متعلق بالمشتمل المؤخر وانما قدم ليفيد الحصر والالف واللام للاستغراق يعنى اشتمال جميع انواع الحسن مقصور على نبينا عليه السلام دون غيره ومشتمل بالجر صفة بعد صفة لنبى وهو على صيغة اسم الفاعل من الاشتمال بمعنى الاحاطة والاجتماع لانه من شمل بمعنى جمع واحاط لا من شمل بمعنى تفرق والفرق بين الاشتمال والشمول ان الاشتمال يستعمل فى تناول الكل لاجزائه والشمول

فى تناول الكلى لجزئياته وبالبشر متعلق بالمبتسم المؤخر والبشر بكسر الباء تحرك بشرة الوجه عند السرور والبشاشة يقال لقينى فاظهر البشر اى الطلاقة والبشاشة وفى بعض النسخ وقع بدل البشر البر بمعنى الصدق لكن الاول اولى لكون الثانى مستلزما للتكرار حيث سبق بيان ابريته عليه الصلاة والسلام فى قوله نبينا الآمر الناهى الخ ومبتسم بالجر صفة بعد صفة لنبى وهو اسم فاعل من الاتسام بمعنى الاتصاف من الوسم بمعنى العلامة ومنه ماقول الشاعر

※ اوكلما وردت عكاظ قبيلة ※ بعثوا الى عريفهم يتوسم ■

وحاصل المعنى ما اكرم خلق محمد وصورته الظاهرة الذى زينه وحسنه خلقه وسيرته الباطنة فهو كما قال الله تعالى نور على نور وقال مثل نوره كمشكاة فيها مصباح الموصوف باشتمال الحسن واحاطته بجميع حالاته ومقالاته وسكناته وقد وردت فى بسط حسن صفاته احاديث مشهورة كثيرة كقول ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ما رأيت شيئا احسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كأن الشمس تجرى فى وجهه واذا ضحك يتلألأ فى الجدر وقول ام معبد فى بعض ما وصفته به كان عليه السلام اجمل الناس من بعيد واحلاهم واحسنهم من قريب وقول على رضى الله تعالى عنه فى آخر وصفه من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله صلى الله تعالى عليه وسلم وغير ذلك مما يطول سرده فى هذا المختصر وكذلك كان عليه الصلاة والسلام هو الموصوف بالاتسام بالبشر التام والبشاشة على طريق الدوام وفيه احاديث معروفة يطول ذكرها ومنها قول عبد الله بن الحارث ما رأيت احدا اكثر تبسما من رسول الله عليه السلام وقول ابى هريرة اذا ضحك رسول الله يتلألؤ فى الجدر فان قلت المستفاد من هذا الحديث ثبوت ضحكه عليه السلام مع انه ينفيه ما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها حيث قالت ما رأيت رسول الله عليه السلام مستجمعا قط ضاحكا قلت ان عائشة انما نفت رؤيتها وابو هريرة اخبر بمشاهده والمثبت مقدم على النافى وقال ابن حجر والذى يظهر من مجموع الاحاديث انه عليه السلام كان فى اكثر احواله لا يزيد على التبسم وربما زاد على ذلك فضحك فان لم يكن ما ذكرته لك كافيا بالوفا فعليك بما فى المواهب والشفا ※ فلعله يكون لك به اكتفا ※ ثم اعلم ان هذا البيت رابع الابيات الستة

التى تمايل فيها النبى عليه الصلاة والسلام ويلزم لقارئه ان يكرره وترا

※ كَالزَّهرِ فى تَرَفٍ وَالبَدرِ فى شَرَفٍ ■ وَالبَحرِ فى كَرَمٍ وَالدَّهرِ فى هِمَمِ ※

ثم ترقى فى تفصيل اوصافه من خلقه وخلقه فقال كالزهر فى ترف الخ المصراع الاول لبيان حسن خلقه وصورته والثانى لبيان حسن خلقه وسيرته فقوله كالزهر ظرف مستقر مجرور على انه صفة بعد صفة لنبى او مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف اى هو كالزهر والكاف للتشبيه والزهر بفتح الزاى المعجمة نور النبات قيل هو مختص باصفره لكن الاصح انه اعم وجمعه ازهار وازاهر والزهر ايضا يقال لشئ نورانى فى غاية الضياء الذى وجهه يلمع كالسراج الوهاج والمراد ههنا المعنى الاول بقرينة سباقه وفى ترف متعلق بالتشبيه المستفاد من الكاف فهو بيان لوجه الشبه والترف بفتحتين النعومة فى الجلد والاولى ان يكون المراد من الزهر الورد لانه سلطان الازهار مع طيب رائحته ولطافة نعومته على سبيل المجاز بذكر العام وارادة الخاص وعلى التقديرين يكون التشبيه مقلوبا والا فلم يكن شئ انعم واترف واطيب والطف من رسول الله عليه الصلاة والسلام ولو كان التشبيه على حقيقته لزم ان تكون نعومته عليه السلام انقص من الزهر اذ قاعدة التشبيه نقصان ما يحكى وهو غير صحيح كيف وقد قال فى المواهب اللدنية وقد جاء فى رواية ابن عساكر انه عليه السلام قال الورد الابيض خلق من عرقى ليلة المعراج والورد الاحمر خلق من عرق جبرائيل والورد الاصفر خلق من عرق البراق وقوله والبدر بالجر معطوف على مدخول الكاف والبدر هو القمر فى ليلة اربعة عشر وفى شرف عطف على فى ترف لا يقال فحينئذ يكون من قبيل عطف شيئين بحرف واحد على معمولى عاملين مختلفين وهو فاسد لانا نقول لا نسلم اختلاف العامل على ان المجرور مقدم كما لا يخفى والشرف بمعنى العلو لكن المراد العلو القدرى لا العلو المكانى فتأمل (ثم اعلم ان البدر من اسمائه عليه السلام وقد صادف تشبيهه عليه السلام بالبدر لان التشبيه بالبدر ابلغ فى العرب من التشبيه بالقمر والشمس اما الاول فلان البدر وقت كماله دون القمر واما الثانى فلما سبق ان البدر يملأ الارض بنوره ويؤنس كل من شاهده ويتمكن من النظر اليه بخلاف الشمس التى تغشى البصر فتمنع من تمكن الرؤية ولقد احسن من قال

■ كالبدر والكاف ان انصفت زائدة ※ فلا تظنن فيه الكاف للشبه ※

وبالجملة انهم قالوا ان التشبيهات الواردة فى صفاته عليه السلام انماهى على عادة شعراء العرب والا فلاشئ من هذه المحدثات يعادل صفاته الخلقية والخلقية وقوله والبحر بالجر عطف على قريبه اوبعيده يعنى ان رسول الله كالبحر فى اعطاء ماينفع لانه كما ان البحر المالح يعطى الانسان لؤلؤا ومرجانا وجواهر كثيرة فكذلك رسول الله عليه السلام ولذا قال فى وجه الشبه فى كرم والفرق بين الكرم والجود والسخاء ان من اعطى البعض فهو سخى ومن بذل الاكثر فهوجواد ومن اعطى الكل فهو كريم وقد ثبت كرمه عليه السلام باخبار كثيرة وآثار وفيرة منها حديث انس مرفوعا انا اجود بنى آدم وفى رواية لمسلم ماسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا الا اعطاه فجاء رجل فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه فقال ياقوم اسلموا فان محمدا يعطى عطاء من لايخاف الفقر وفى رواية اعطى صفوان يوم حنين واديا مملوأ ابلا ونعما ولله در ابن جابر حيث قال

* هذا الذى لايتقى فقرا اذا ▪ يعطى ولو كثر الانام وداموا ▪
* وادمن الانعام اعطى آملا ▪ فتحيرت لعطائه الاوهام ▪

وفى رواية البخارى عن انس انه عليه الصلاة والسلام اعطى العباس من الذهب ما لم يطق حمله والتفصيل فى المطولات وقوله والدهر بالجر عطف على القريب اوالبعيد والدهر بفتح الدال بمعنى الزمان وعلى قول بمعنى الابد وقيل هو مدة الدنيا وقيل زمان طويل وقيل هو الف سنة وسيجئ مايتعلق بالدهر فتبصر والهمم جمع همة وهى قصد اكمال التوجه يعنى كان الدهر الطويل والزمان المديد يقبل الرجل ويعطيه مارغبه ويكمله كذلك النبى عليه السلام ▪ فى البيت تضمين من قول حسان فى وصفه

* له همم لاينتهى لكبارها * وهمته الصغرى اجل من الدهر ▪

* كَأَنَّهُ وَهُوَ فَرْدٌ فِى جَلَالَتِهِ * فِى عَسْكَرٍ حِينَ تَلْقَاهُ وَفِى حَشَمِ *

لمابين وصفه عليه السلام من بشاشته وزيادة كرمه وتوهم القاصرون انه من خوفه من قومه دفع ذلك فقال كأنه وهوفرد الخ كأن للتشبيه لاللظن والضميران راجعان اليه عليه الصلاة والسلام والواو فى وهو للحال والفرد بمعنى المنفرد اى حال كونه منفردا غير مقارن لاحد وفى جلالته متعلق بالتشبيه المستفاد من كان وهو بيان وجه الشبه والجلالة المهابة والعظمة قيل الكبير يستعمل فى الذات والجليل فى الصفات والعظيم فيهما وفى عسكر ظرف مستقر خبر

كان يعنى ان النبى عليه الصلاة والسلام فى كمال متانته وتمام شجاعته كمن كان فى عسكر منفردا لان من كان له عسكر وكان هو واقفا فى وسطهم يلزم له الشجاعة البتة و المتانة عادة وقوله حين تلقاه ظرف التشبيه و تلقاه من الملاقاة بمعنى الوصول وهو خطاب لكل احد من شانه ان يخاطب لايقال انه ركيك لانه يلزم ان يكون شجيعا ومهيبا على المؤمنين مع انه رحيم بهم لانا نقول التشبيه مقيد بكونه فى عسكر وهو يدل على انه عليه السلام كان شجيعا على عسكر غيره على انه لايلزم من كونه عليه الصلاة والسلام وقت الملاقاة شجيعا غير شجيع فى حماية المؤمنين وجعل تلقاه على صيغة التأنيث وارجاع ضميره الى جماعة الاعداء ركيك كما لايخفى وفى حشم عطف تفسير وبيان وتأكيد للعسكر وفى بعض النسخ وفى بهم بضم الباء جمع بهمة وهو الفارس الذى لا يعلم من اين يجئ و بالمقابلة الى العسكر يراد من العسكر الجيش المشاة وهذه النسخة اولى من النسخة الاولى لان التأسيس خير من التأكيد وحاصل معنى البيت كأنه عليه السلام والحال انه منفرد بذاته وثابت فى عظمة صفاته وكائن فى كمال هيبته وجمال ابهته قائم فى قلب عسكر كبير وفى وسط جيش كثير تلقاه ايها المخاطب وتراه فى ذلك الموكب ومن كمال شجاعته ماروى ان ابا جهل كان وصيا ليتيم فجاء اليتيم اليه عريانا يسأله من مالى نفسه فطرده ولم يعطه ما له فأيس الصبى فقال اكابر قريش قل لمحمد لك يشفع وكان غرضهم الاستهزاء ولم يعرف اليتيم ذلك فجاء الى النبى عليه السلام والتمس منه ذلك وهوعليه السلام كان لايرد محتاجا فذهب معه الى ابى جهل فقام ابوجهل ورحب به وبذل المال لليتيم فعيره قريش وقالوا اصبوت فقال لاوالله ماصبوت ولكن رأيت عن يمينه وعن يساره حربة فخفت ان لم اجبه يطعنانى ذكره شيخ زاده فى سورة الماعون وكذا ماذكر فى كتب الاحاديث انه كان بمكة رجل شديد القوة يحسن الصراع وكان الناس يأتون اليه من البلاد للمصارعة فيصرعهم فبينما هو ذات يوم فى شعبة من شعاب مكة اذ لقيه رسول الله عليه السلام فقال ياركانة الاتتقى الله وتقبل ما ادعوك اليه فقال له ركانة يامحمد هل من شاهد على صدقك قال ارأيت ان صرعتك اتؤمن بالله ورسوله قال نعم يامحمد فقال له تهيأ للمصارعة قال تهيأت فدنا منه رسول الله عليه السلام فاخذه ثم صرعه فتعجب ركانة من ذلك ثم سأله الاقالة والعودة ففعل به

ذلك ثانيا وثالثا ووقف كانه متعجبا وقال ان شأنك عجيب رواه الحاكم فى مستدركه

﴿ كَأَنَّمَا اللُّؤْلُؤُ الْمَكْنُونُ فِي صَدَفٍ ● مِنْ مَعْدِنَيْ مَنْطِقٍ مِنْهُ وَمُبْتَسَمِ ﴾

لما توهم القاصرون العاجزون من البيت السابق انه عليه الصلاة والسلام كان غليظ القلب عبوس الوجه شديد الكلام دفعه فقال كأنما اللؤلؤ المكنون الخ كأن للتشبيه وما كافة عن العمل واللؤلؤ الدر وانما اطلق عليه الجوهر الابيض لتلألؤ لونه وهو مبتدأ خبره قوله الاتى من معدنى منطق اى مستخرج وحاصل من معدنى منطق والمكنون بالرفع صفة اللؤلؤ بمعنى المستور والمصون المحفوظ وفى صدف متعلق بمكنون وجعله خبر المبتدأ بعيد كل البعد كما لا يخفى واما جعل اللؤلؤ خبر مبتدأ محذوف وجعل من معدنى صفة صدف بان يقال كأن كلامه عليه السلام اللؤلؤ المكنون فى صدف مستخرج من معدنى الخ فقريب وظاهر فتأمل والصدف ظرف اللؤلؤ قال الحيانى فى شرح التحفة الصدف حيوان من حيوانات البحر يكون اكثريا فى بحر بلاد الهند والصين فاذا جاء شهر نيسان يخرج على وجه البحر و يكشف فمه الى جانب السماء فاذا سقط فى فمه قطرة واحدة من المطر فى ذلك الوقت تكون تلك القطرة فى بطنه درة ذات قيمة كبيرة يقال لها الدرة اليتيمة والفريدة واذا سقط فى فيه منه قطرتان تكون تانك القطرتان فى بطنه درتين يقال لهما اخوان لكن تكون قيمتهما انقص واقل من الاول واذا سقط فى فيه منه قطرات ثلاث تكون دررا ثلاثا وان اربعا فاربع وقس على هذا لكن كلما زادت القطرات كانت قيمة درها انقص ثم ان الصدف حيوان اولا واذا سقط الماء للدر فى فمه ينزل الى قعر البحر و يتأصل فيه كتأصل الشجر ولا يتحرك الى طرف اصلا كالحجر انتهى وفى هذا المصراع استعارة حيث شبه جوامع كلمه ومنظوم اسنانه عليه الصلاة والسلام باللؤلؤ المكنون فى صدف فى كونه بريئا من الفساد ومورثا للسرور والنشاط ثم استعير اللؤلؤ لكلامه ومنظوم اسنانه فذكر اللؤلؤ واريد كلامه وثغره عليه السلام والمعدن بكسر الدال وهو فصيح محل العدن بمعنى الاقامة وهو على صيغة التثنية حذف نونه بالاضافة و المنطق والمبتسم اما مصدران فالاضافة بمعنى اللام والمعدن للنطق هو القلب لانه يظهر منه الكلام الدال على المرام لايقال الكلام فى اللسان لا فى القلب لانا نقول حقيقة الكلام فى القلب دون اللسان بل هو دليل عليه وترجمان له كما افاده قول الاخطل

❊ ان الكلام لفى الفؤاد وانما ● جعل اللسان على الفؤاد دليلا ❊

ومعدن الابتسام هو الفم لانه يظهر منه الاسنان والثغر واما اسما مكان فعلى هذا تكون الاضافة بيانية كما لا يخفى وحاصل المعنى انه عليه السلام كان فى غاية البشاشة ونهاية اللطافة ولم يكن غليظ القلب كما يشهد عليه شاهد صدق وكان كلامه وثغره المصون كالدر المكنون وكان فمه عليه السلام فى حفظ الكلام كالصدف المقبول بين الانام قال صاحب الزبدة فيها قال المحلى حكى ان بعضهم رأى فى المنام ان الصديق يزف النبى بهذا البيت والبيت الذى قبله

﴿ لَا طِيبَ يَعْدِلُ تُرْبًا ضَمَّ أَعْظُمَهُ ● طُوبَى لِمُنْتَشِقٍ مِنْهُ وَمُلْتَثِمِ ﴾

لما اشار الى بعض كمالاته الصورية والمعنوية فى خلقه وخلقه وافضلية قدره فى حال الحياة اراد ان يشير ايضا الى افضليته من جميع المخلوقات فى حال الممات فقال لا طيب يعدل تربا ضم اعظمه الخ لا لنفى الحكم عن الجنس والطيب اسم لما يتطيب به و يعدل اى يساوى يقال فلان عديل فلان اى مساو به وجملة يعدل خبر لا واسمها الطيب والمعنى لا شئ طيبا يساوى تربا بضم التاء وسكون الراء لغة فى تراب او بمعنى التربة وضم بمعنى التصق ومس والجملة صفة تربا والاعظم جمع عظام والمراد جميع اعضائه عليه الصلاة والسلام وانما خصها بالذكر لكون قيام الاعضاء عليها و الضمير فيها راجع اليه عليه السلام ومراد الناظم الفاهم اثبات الطيبية لبدنه عليه السلام بطريق الكناية اذ هو ابلغ من الحقيقة فوصف تراب روضته عليه السلام بانه شريف طيب لا طيب مثله وصف ذاته عليه السلام بطريق الكناية فالتراب انما اخذ الطيب من مقارنته له عليه السلام اذ كان عليه السلام متصفا برائحة الطيب كما روى عن انس انه قال ما شممت مسكا ولا عنبرا اطيب من ريح رسول الله عليه السلام وطوبى بمعنى الطيب والحسنى والخير قاله فى القاموس وقال غيره هى فرح وقرة عين وقال الضحاك غبطة وقال عكرمة نعمة وشجرة فى الجنة اسمها طوبى وقد يكنى بها عن الجنة وفى الحديث طوبى للشام فان الملائكة باسطة اجنحتها عليها وطوبى ههنا اما صفة لتربا اى تربا مقولا فى حقه طوبى او مبتدأ خبره لمنتشق فليتأمل ومنتشق اسم فاعل من الانتشاق وهو الاشمام يعنى طوبى لمن شم ذلك التراب

ومنه متعلق بمتنشق وملتثم عطف على متنشق وهو من الالتثام بمعنى التلثيم والبيت مقتبس من مرثية فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها حيث قالت

صبت على مصائب لوانها * صبت على الايام صرن لياليا

ماذا على من شم تربة احمد * ان لا يشم مدى الزمان غواليا

ولله در الناظم الفاهم حيث اشار فى هذا البيت الى النوعين المستعملين فى الطيب لانه اما ان يستعمل بالشم واشار اليه بقوله لمتنشق واما بالتضمخ واليه اشار بملتثم وهذا مبنى على ان المراد ان تربته افضل انواع الطيب باعتبار الحقيقة الحسية وذلك اما لانه كذلك فى نفس الامر ادركه من ادركه ام لا واما باعتبار اعتقاد المؤمن فى ذلك فان المؤمن لا يعدل بشم رائحة تربته عليه السلام شيأ من الطيب فان قلت لو كان المراد الحقيقة الحسية لادرك ذلك كل احد والجواب لا يلزم من قيام المعنى بمحل ادراكه لكل احد بل حتى توجد الشرائط وتنتفى الموانع وعدم الادراك لا يدل على عدم المدرك وانتفاء الدليل لا يدل على انتفاء المدلول فالمزكوم لا يدرك رائحة المسك مع رائحة قائمة بالمسك لم تنتف ولما كانت احوال القبر من الامور الاخروية لا جرم لا يدركها من الاحياء الا من كشف له الغطاء من الاولياء المقربين لان متاع الاخرة باق ومتاع الدنيا فان والفانى لا يجتمع بالباقى للتضاد ولا ريب عند من له ادنى تصديق بشريعة الاسلام ان قبره روض من رياض الجنة وافضلها وانه لا طيب يعدل تراب قبره عليه السلام لتماس جسمه اللطيف الذى هو اطيب الطيب ولذا قال العلماء ان تربة قبره افضل من البيت والمسجد الاقصى والعرش والكرسى (ثم اعلم) انهم اختلفوا فى زيارة قبره عليه السلام هل هو واجب او سنة فذهب بعض المالكية الى الاول واستدلوا عقلا ونقلا اما الاول فلان الزيارة تعظيم وتعظيمه صلى الله عليه وسلم واجب فزيارته واجبة واما الثانى فلقوله عليه السلام من وجد سعة ولم يعد الى فقد جفانى وفى حديث آخر من حج ولم يزرنى فقد جفانى فانه ظاهر فى حرمة ترك الزيارة لان الجفاء اذى والاذى حرام بالاجماع فتجب الزيارة اذ ازالة الجفاء واجبة وهى بالزيارة فالزيارة واجبة حينئذ وذهب اكثر الشافعية والحنفية الى الثانى كما قال القاضى عياض انها سنة من سنن المسلمين مجمع عليها وللاحاديث السابقة مؤولة وبيانها فى كتب القوم مفصلة

ابانَ مَولِدُهُ عَن طِيبِ عُنصُرِهِ * يا طِيبَ مُبتَدَأٍ مِنهُ وَمُختَتَمِ

لما بين شرافة آخره ولطافة انتهائه صلى الله تعالى عليه وسلم فى البيت السابق قيل فكيف كان ابتداؤه فاجاب ببيان شرافة ابتدائه ولطافة اوله عليه السلام فقال ابان مولده عن طيب عنصره الخ ابان بمعنى اظهر وكشف والمولد بكسر اللام اسم زمان وهو فاعل ابان ومفعوله محذوف اى عجائب كثيرة واسناد ابان مجاز وعن طيب متعلق بابان وكلمة عن قد تكون للبدل كما فى قوله * جزى ربه عنى عدى بن حاتم * وقد تكون لافادة كون ما بعدها سببا لما قبلها كما فى قولك فعلت هذا عن امرك وقد تكون بمعنى بعد كما فى قوله تعالى (لتركبن طبقا عن طبق) وههنا للمعنى الثانى لان طيب عنصره سبب لاظهار زمان ولادته العجائب كما لا يخفى والمعنى اظهر الله زمان ولادته بسبب طيب عنصره عليه السلام عجائب كثيرة وسيبين بعض تلك العجائب ان شاء الله تعالى والطيب معلوم والعنصر بمعنى الاصل فى اللغة العربية كالاسطقس فى اللغة اليونانية والمراد من طيب عنصره عليه السلام طهارته وخلوصه عما لا ينبغى كما يقع فى سائر المولودين وكلمة يا للنداء والمقصود بالنداء محذوف اى يا ايها العقلاء انظروا بنظر التعجب الى طيب ابتدائه وانتهائه فالمبتدأ والمختتم بمعنى المصدر ويجوز ان يكونا اسمى زمان فان قلت قد بين طيب ابتدائه من هذا البيت وطيب انتهائه من البيت السابق فاين بيان طيب اواسطه عليه السلام قلت قد بين طيب اوسطه ايضا فى الابيات السابقة فى بيان شرافة خلقه وخلقه عليه السلام على ان المشهور بين العرب انهم يذكرون طرفى الشئ ويريدون مجموعه كما فى قوله تعالى (وسبحوه بكرة واصيلا) ومثله كان كثيرا (ثم اعلم) ان ما روى فى انباء فضائله فى زمان ولادته واخبار عجائبه فى زمان ابتدائه كثير لا يعد ولا يحصى منها ما ذكر فى كتب الاحاديث انه لما استقرت نطفته الزكية ودرته المحمدية فى صدف آمنة القرشية نودى فى الملكوت ومعالم الجبروت ان عطروا جوامع القدس الاسنى وبخروا جهات الشرف الاعلى وافرشوا سجادات العبادات فى صفف الصفا لصوفية الملائكة المقربين اهل الصدق والصفا فقد انتقل النور المكنون الى بطن آمنة ذات العقل الباهر والفخر المصون وقال سهل بن عبد الله التسترى لما اراد الله خلق محمد عليه السلام فى بطن آمنة ليلة رجب وكانت ليلة جمعة امر الله فى تلك الليلة خازن الجنان ان يفتح الفردوس

ونادى مناد فى السموات والارض ان النور المخزون الذى يكون منه نور النبى الهادى فى هذه الليلة يستقر فى بطن امه الذى يتم فيه خلقه عليه السلام وروى انه كانت قريش فى جدب شديد وضيق عظيم فاخضرت الارض وحملت الاشجار فسميت تلك السنة التى حمل فيها رسول الله عليه السلام سنة الفتح والابتهاج وفى رواية ان آمنة قالت ثم لما اخذنى ما يأخذ النساء ولم يعلم بى ذكر ولا انثى وانى لوحيدة فى المنزل وعبد المطلب فى طوافه سمعت وجبة عظيمة وامر عظيم هالنى ثم رأيت كأن جناح طير ابيض قد مسح على فؤادى فذهب عنى الرعب وكل وجع اجده ثم التفت واذا انا بشربة بيضاء فتناولتها فاصابنى نور عال ثم قالت ورأيت رجالا قد وقفوا فى الهواء بايديهم اباريق من فضة فكشف الله عن بصرى فرأيت مشارق الارض ومغاربها ورأيت ثلاثة اعلام مضروبة علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة فاخذنى المخاض فوضعت محمدا عليه الصلاة والسلام فنظرت اليه فاذا هو ساجد قد رفع اصبعه الى السماء كالمتضرع المبتهل ثم رأيت سحابة بيضاء قد اقبلت من السماء حتى غيبته عنى فسمعت مناديا ينادى طوفوا به مشارق الارض ومغاربها وادخلوه فى البحار ليعرفوه بنعته وصورته وهذه القصة طويلة يتحير منها الافهام حتى ان بعض الفضلاء الكرام وضعوا لمولده عليه السلام كتابا مستقلا فى حسن النظام ومن اراده فعليه الرجوع والقيام

يوم تفرس فيه الفرس انهم * قد انذروا بحلول البؤس والنقم

لما قدر المفعول فى البيت السابق اعنى قوله عجائب اوعلامات وكان ذلك فى غاية الاجمال اراد ان يفصله بذكر بعض منه فقال يوم تفرس فيه الفرس الخ يوم بدل من المولد والمراد من اليوم النهار وقد يستعمل فى مطلق الزمان لكن المراد هنا النهار اذ المشهور والاصح انه عليه السلام ولد يوم الاثنين فعن قتادة انه عليه السلام سئل عن صيام يوم الاثنين فقال ذلك يوم ولدت فيه وعن ابن عباس انه قال ولد عليه السلام يوم الاثنين وانزل عليه النبوة يوم الاثنين وخرج مهاجرا يوم الاثنين ودخل المدينه يوم الاثنين ووضع القبر يوم الاثنين وكذا فتح مكة يوم الاثنين وانزل عليه سورة المائدة يوم الاثنين ومن قال المراد من اليوم ههنا مطلق الزمان فليس له خبرة بكتب الاحاديث وتفرس اى نظر وعلم بالفراسة والفراسة قوة يدرك بها الانسان المعانى الباطنة من المخايل الظاهرة

وفيه متعلق به وضميره راجع الى اليوم والفرس بالرفع فاعله والفرس اسم جمع لاهل فارس وفارس معرب پارس وهو اسم لپارس بن ناسور بن سام بن نوح وهى بلاد كثيرة بناها المزبور وبلاده المشهورة شيراز واصفهان وقد ورد فى مدح اهل فارس حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حيث قال ان الله تعالى اختار من بين خلقه من العرب قريشا ومن العجم فارسا وفى حديث آخر ابعد الناس عن الاسلام الروم ولو كان الاسلام معلقا بالثريا لتناوله رجل من فارس وانهم ان مع اسمها وخبرها مفعول تفرس والضمير للفرس وقد للتحقيق وانذروا ماض مجهول من الانذار بمعنى التخويف مع الابلاغ وبحلول متعلق بالانذار والحلول بمعنى النزول والبؤس الشدة والمضايقة واللام للاستغراق او للجنس او للعهد والنقم عطف تفسير للبؤس وهو بفتحتين جمع النقمة بكسر النون وهى الشدة والعقوبة اعلم انه روى ان الليلة التى ولد فى فجر نهارها رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ملك فارس وهو ساسان رؤيا تحير منها فلم يدع كاهنا ولا ساحرا ولا منجما من اهل مملكته الاجمعه مع طائفة من احبار اليهود فقال لهؤلاء انى رأيت رؤيا حيرتنى فاخبرونى بها قالوا اقصصها علينا حتى نخبرك بتأويلها قال لا اطمأن بتأويلكم بعد القصص وانى اريد ان تخبرونى بالرؤيا وتأويلها قبل القصص عليكم فتحيروا ولم يقدروا على اخباره فقال له رجل منهم ان كنت تريد هذا فابعث الى سطيح حتى يخبرك فبعث ساسان اليه عبد المسيح فبلغ عبد المسيح الى البحرين وكان سطيح يخرج فى كل سنة مرة وكانوا يضعونه على صحيفة من الذهب فيخبر عن احكام السنة الآتية والناس يكتبونها فانتظر عبد المسيح خروجه فلما خرج بدأ الكلام برؤيا ساسان وقال انه رأى رؤيا تحير منها وهى انه رأى خيلا عرابا تملأ المدائن وتسوق الابل العراقية وتخرجها منها وانما هذه العلامة علامة ولادة النبى الامى العربى الهاشمى محمد الذى هو افضل ابناء الخليل الموصوف فى التوراة والانجيل وتأويل رؤياه ان خيل العرب هم اصحاب ذلك النبى يدخلون بلاد فارس وستفتح لهم ويأخذون المدائن من آل ساسان ثم بكى فقيل ما يبكيك فقال اما ابكى وقد بقى من عمرى قليل ولا ادرك بعثة هذا النبى فرجع عبد المسيح فاخبر بها ساسان فامر ساسان بقتل سطيح فقتلوه وشقوا رأسه

وبات ايوان كسرى وهو منصدع * كشمل اصحاب كسرى غير ملتئم

ثم شرع فى بيان العلامة الثانية والاية الواقعة فى يوم ولادته فقال وبات

ايوان كسرى الخ بات يجي لمعنيين الاول الفعل في الليل يقال بات في الليل اي كذا فعله في الليل والثاني بمعنى صار سوآء كان في الليل اوفي اليوم وهذا عام كما ان الاول خاص و يجوز ههنا كلا معنييه والجملة معطوفة على جملة تفرس والعائد محذوف اى بات فيه فليتأمل وايوان بكسر الهمزة اسم معرب لسقف لايكون لجانب مقدمه جدار و همزته اصلية اذ لو كانت زائدة لانقلبت الواو ياء كما انقلبت في ايام فعلم بهذا ان ايوانا مثل ديوان ووزنهما فوعال والاصل فيهما اووان ودووان فقلبت الواو الاولى ياء لكسرة ما قبلها كراهة التضعيف وكسرى معرب خسرو وهو اسم جنس لمن يملك العجم ويجمع على اكاسرة كما ان قيصر اسم جنس لمن يملك الروم والنجاشي لمن يملك الحبشة وخاقان لمن يملك الترك وفرعون لمن يملك مصر وتبع لمن يملك اليمن والواو في وهو حالية والضمير راجع الى الايوان ومنصدع اسم فاعل من الانصداع بمعنى الانهدام والتفرقة اذ روى ان بني ساسان بنى ذلك الايوان في تسعين سنة وطلاه بماء الذهب ونقشه بالزبرجد واللؤلؤ وبكل جوهر عظيم القيمة فلما كانت ليلة ولادته عليه السلام اهتز وانصدع ذلك فسقط اربع عشرة شرفات من شرافاته ومابقي الاثمان شرفات وفي سقوط الاربع عشرة شرافة اشارة الى انه يملك منهم ملوكا بعدد الشرفات وقوله كشمل اصحاب كسرى دفع لما يتوهم ان يقال من انه هل بنى بعد انشقاقه كالاول اوبقي في انشقاقه فقال كشمل اصحاب كسرى يعني كما ان اصحابه تفرقوا وما جمعوا كالاول كذلك ذلك الايوان تفرق وانشق وما جمع وما بنى بعده ويكون كشمل في التركيب ظرفا مستقرا حالا ولك ان تجعله صفة مصدر محذوف اى وهو منصدع انصداعا كشمل الخ وعلى كلا التقديرين يكون قوله كشمل اصحاب كسرى من قبيل التكملة والاحتراس كما لايخفى على من له من علم المعاني ادنى اختلاس ۞ والشمل من الاضداد وهو ههنا بمعنى التفرقة وقوله اصحاب كسرى فان قلت اللازم ان يقول اصحابه بالضمير فما فائدة الاظهار في مقام الاضمار قلت فائدته تقريره في الذهن ودفع توهم رجوع الضمير الى الايوان و يمكن الجواب بالتغاير بين كسرى الاول والثاني فلا يكون من قبيل وضع الظاهر موضع الضمير ويؤيده ما قاله بعضهم من ان في هذا البيت اشارة الى قصتين حيث اشير في المصراع الاول الى سقوط ايوان كسرى اعنى انقراض ساسانيان وخرابه وفي الثاني اشارة الى ماروى

ان كسرى الذي هو يزدجرد بن شهريار وهو آخر الاكاسرة وقد ملك الفرس كلهم جعل رستما من الارامنة وهو غير رستم المشهور من العجم صاحب الجيش ورئيسهم ووهب له جميع خزائنه وقال له خذ من السلاح والذهب والفضة ماشئت وادفع شر العرب عني فذهب رستم من بلاد خراسان بمائتي الف رجل الى بلاد العراق وتبعه جميع اهل الذمة ونقضوا العهد وكان ذلك في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه فوجه عمر رضي الله عنه عساكر كثيرة وجعل سعد بن ابي وقاص صاحب الجيش وامر جيشه الذي كان في العراق اولا ان يبايعوا سعدا فوصل سعد مع العساكر الى عسكر رستم فلما تقابل الفريقان رأى هلال بن علقمة الهيثمي رستما فتوجه اليه فرماه فقتله فاعطاه سعد سلبه فبلغ سلبه سبعين الف درهم سوى قلنسوته فانها بلغت مائة الف وانهزمت الفرس فنهض سعد خلفهم يفرق شملهم و يقتل حزبهم ولم يلتئم بعد ذلك شملهم فوصل الى المسلمين مغانم كثيرة روى انهم اخذوا علم الكفار وذهبوا به مع المغانم الى عمر رضي الله تعالى عنه فقسمه بين المسلمين فبلغ سهم علي كرم الله وجهه شيرا منه فباعه بعشر آلاف دينار

﴿ وَالنَّارُ خَامِدَةُ الأَنْفَاسِ مِنْ أَسَفٍ ۞ عَلَيْهِ وَالنَّهْرُ سَاهِي الْعَيْنِ مِنْ سَدَمِ ﴾

ثم شرع في بيان العلامة الثالثة والرابعة فقال والنار خامدة الانفاس من اسف الخ الواو عاطفة والجملة معطوفة على الجملة السابقة ولابد فيه من فيه ايضا ولا يرد ان هذه الجملة اسمية والاولى فعلية فلا يحسن عطفها عليها لكون كل واحدة منها في تأويل المفرد وتقديره فحينئذ لايضر العطف كما لايخفى وخامدة من الخمود وهو انقطاع شعلة النار مع بقاء جمرها والانفاس جمع نفس وهو بالفتح ما يدوم ببقائه الحيوان والمراد ههنا به شعلة النار بطريق الاستعارة بان شبه شعلة النار بنفس الحيوان في كونهما سببا للدوام و استعير الانفاس لشعلة النار فذكر الانفاس واريد الشعلة والقرينة على هذه الاستعارة ايقاع الخامدة على الانفاس هذا مبني على ان تكون النار على حقيقتها و يجوز ان يراد من النار الكفار مجازا واستعارة بان شبه الكفار بالنار في اهلاك من قرب منها فاستعير النار للكفار فذكر النار واريد الكفار فعلى هذا يكون الخمود تجريدا والانفاس تخييلا والاسف ترشيحا و يجوز ان تكون النار استعارة مكنية بتشبيهها بالحيوان المضمر والانفاس تخييلها والاسف ترشيحها وقوله من اسف متعلق بخامدة والاسف بمعنى الحزن كما في قوله تعالى حكاية

(يا اسفا على يوسف) وعليه متعلق بأسف والضمير اما راجع الى النار فيكون المعنى ان نار المجوس في يوم الميلاد قد خمدت شعلتها من اسفها على نفسها وبقائها بين الكفار وكونها معبودا لهم واما راجع الى يوم الميلاد فيكون المعنى ان نار المجوس كانت مشتاقة الى جماله صلى الله عليه وسلم فتأسفت من فراقه وعدم وصولها اليه عليه السلام فخمدت شعلتها وانطفأ لهبها واما راجع الى الفرس الذين عاونوها باحراقها دائما وعدم اطفائها اصلا فيكون المعنى ان نار المجوس قد خمدت شعلتها لتأسفها وحزنها على عونتها لانهم تفرقوا عن هذا ولم يجتمعوا بعده ابدا وقوله والنهر عطف على النار والمراد من النهر ماء الفرات فذكر المحل واريد الحال وساهى العين بالرفع خبر المبتدأ اعنى النهر والساهى بمعنى الغافل والعين من الالفاظ المشتركة تجئ لمعان كثيرة والمراد ههنا منبع الماء ومن سدم متعلق بالساهى ومن اجلية والسدم الحزن والندامة وفي بعض النسخ من ندم بالنون ولابد من تقدير عليه في هذه الجملة بقرينة سباقه ففي ضمير عليه المقدر يجرى ايضا احتمالات ثلاثة بان يرجع ضميره الى النهر ويكون المعنى ان نهر الفرات قد غفل عن مجراه السابق وافرط في اخراج الماء فجاوز عينه في يوم الميلاد للتأسف على نفسه اى ابعده عنه عليه السلام وبقائه في ارض بعيدة او يرجع الى يوم الميلاد والمعنى ان نهر الفرات كان مشتاقا الى جماله ورؤيته عليه السلام فتأسف في ذلك اليوم من عدم وصوله فبكى قطفا ماؤه فغفل عن مجراه السابق او يرجع الى الفرس لانهم كانوا خدمة ذلك الماء اذ كان عين ذلك الماء في بلادهم والمعنى ان ماء الفرات قد تأسف على عونته وخدمته فغفل عن مجراه السابق فافرط ماؤه لان عونته قد تفرقوا بعد ولادته عليه السلام ثم اعلم النهر يجوز فيه وجوه الاستعارة التي قد سبقت فتذكرها وترتبها

﴿ وساء ساوة ان غاضت بحيرتها ❊ ورد واردها بالغيظ حين ظمى ﴾

ثم شرع في بيان العلامة الخامسة فقال وساء ساوة ان غاضت بحيرتها الخ الواو للعطف والجملة معطوفة على قريبها او بعيدها فلا تنس تقدير فيه ههنا ايضا وساء اما لازم بمعنى حزن او متعد بمعنى احزن والانسب الثاني وساوة اسم مدينة عظيمة والمراد من ساوة اهلها اما بطريق المجاز المرسل بان يكون من قبيل ذكر المحل وارادة الحال او بطريق المجاز الحذفي كقوله

تعالى (واسئل القرية) وهي غير منصرفة لكونها مؤنثة وعلما ثم ان ساء ان كان لازما تكون ساوة بالرفع فاعلا له وان متعديا تكون بالنصب مفعوله وفاعله قوله ان غاضت وغاض بمعنى غاب يقال غاض الماء اذا غاب وبحيرتها بالرفع فاعل غاضت والضمير الى ساوة والبحيرة اسم لمياه عظيمة في مملكة عراق العجم بين همدان وقم وتركب فيها السفن ويسافر بها الى ما حولها من البلاد مثل اذرعات والرى وما جاوز ذلك وكانت اكثر من ستة فراسخ وكان ماؤها لطيفا لايشابه مياه سائر البحار وكان في اطرافها كنائس كثيرة واسواق غفيرة وكان الكفار يروجون كفرهم عندها وقيل كانوا يعبدونها فلما ولد رسول الله الماحي جميع طرق الكفر غاب ماء تلك البحيرة ثم اعلم ان في البحيرة ايضا مجازا من ذكر المحل وارادة الحال وفي اضافتها الى الضمير الراجع الى ساوة احتراز عن بحيرة طبرية فانها كانت ايضا على حواليها كنائس معتبرة منقوشة بالذهب فغاب ماؤها وقت ميلاده عليه الصلاة والسلام وكان غيبوبة ذلك الماء سببا لخرابها واما ساوة فلم تكن خربة بل بنى اهلها في موضع البحيرة مدينة عظيمة وهي باقية الآن كذا رأيت في رسالة مصنفة في مولده عليه الصلاة والسلام وقوله ورد على بناء المفعول وواوه اما للحال او للعطف فالجملة معطوفة على غاضت والمعنى واحزن اهل ساوة ان رد الخ ولا يجوز ان تكون معطوفة على ساء والا يلزم ان يكون قوله ورد بيانا لعلامة مستقلة لوقت مولده عليه الصلاة والسلام ولا يكون من تتمة الاولى وهو باطل ومن قال انها معطوفة على جملة ساء فقد اساء فتدبر ورد بمعنى رجع وانصرف وقوله واردها بالرفع نائب فاعل لرد والضمير راجع الى البحيرة والوارد بمعنى الذاهب لاخذ الماء وقوله بالغيظ متعلق برد اى بالغضب ورد ان الذاهب الى ماء البحيرة ليأخذ الماء ويذهب به الى بيته جاء الى البحيرة فرأى انه قطع ماؤها فرد عنه وانصرف بالغضب حيث كان في يديه كوبان فلما رأى انقطاع الماء ضرب احدهما على الآخر وكسرهما وحين ظمى ظرف للوارد او لرد وظمى اصله ظمئ اى عطش فحذف همزته لضرورة الشعر

﴿ كَأَنَّ بِالنَّارِ مَا بِالْمَاءِ مِنْ بَلَلٍ ❊ حُزْنًا وَبِالْمَاءِ مَا بِالنَّارِ مِنْ ضَرَمِ ﴾

لما اراد الناظم الفاهم تكملة البيتين السابقين قال كأن بالنار الخ فالمصراع الاول تكملة للبيت الاخير والثاني للاول وكأن من الحروف المشبهة بالفعل وبالنار ظرف مستقر خبر كأن متعلق بحصل المقدر اى كأنه حصل بالنار

والمراد من النار نار المجوس وما موصولة و بالماء متعلق بعقد راى ما حصل بالماء ومن بلل بيان لما والمراد من الماء ماء ساوة والمعنى ان اهل ساوة ظنوا ان الماء الذي عبدوه قدا نقطع و يبس وصار بحال كانه كان موضع ذلك الماء موقدنار وكان البلل الذي حصل بالماء يبس بالنار ولما كان هذا الظن بعيدا عن الاذهان علله بقوله حزنا اى لاجل حزن وقع فيهم يظنون مثل هذا الظن وقوله و بالماء الواو عاطفة والماء معطوف على بالنار و بالنار عطف على بالماء من قبيل عطف شيئين بحرف واحد على معمولى عامل واحد وهو كائن ومن ضرم بيان لما والضرم التهاب النار واشتعالها والالف واللام فى بالنار للعهد اى نار المجوس التى لم تخمد الف عام و معنى هذا المصراع ان عبدة النار كانوا محزونين حتى ظنوا انه وقع فى موقع نارهم بلل حاصل بالماء (فائدة) قال فى تفسير روح البيان ان اول من عبد النار قابيل حيث قتل اخاه هابيل ونفاه آدم عليه السلام بامر الله الى ارض اليمن فخرج مع اخته اليها فجاءه الشيطان فقال انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يعبد النار فاصطنع انت ايضا نارا واعبدها فاصطنع النار وعبدها فتبعه بعض الانام من اولاده واولاد اولاده

﴿ والجنِ تهتِف والانوار ساطِعة ❋ والحق يظهر مِن معنى ومِن كلِمِ ﴾

ثم شرع فى بيان العلامة السادسة والسابعة فقال والجن تهتف الخ الواو عاطفة والجملة معطوفة على سابقها او الواو حالية والجن مقابل الانس وهو جوهر نارى يتشكل باشكال مختلفة وانما سموا به لكونهم فى الستر عن اعين الناس والجن فى اللغة بمعنى الستر قالوا ان كونهم مستورين عن اعين الناس من نعم الله علينا وكذا استتار الملائكة اما الجن فلكونهم فى صور قبيحة غاية القبح حتى لو رأهم احد من الناس لمات اوزال عقله واما الملائكة فلكونهم فى غاية الحسن والجمال حتى لو رأهم على صورتهم الملكية احد لزال عقله اومات فلاتسع حوصلة الانسان رؤيتهما ثم اعلم انه روى ان الجن كانوا ثلاثة اصناف صنف لهم اجنحة يطيرون فى الهواء وصنف فى صورة الحيات والكلاب وصنف يرحلون ويطعنون وقالوا وفى الجن ملل كثيرة مثل الانس ففيهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاصنام وفى مسلميهم مبتدعة الاهواء وكلهم مكلفون تهتف اى تصيح وتصوت وتتكلم بولادته عليه السلام اذ روى ان فى الهواء وارجاء مكة تسمع

اصوات الجن يبشرون بولادته عليه السلام و فى المواهب مر فى ذلك الوقت جن المشرق الى المغرب والمغرب الى المشرق يبشرون بولادته عليه السلام ومن اراد بهتف الجن اخبارهم الكهنة باستراق السمع فقد بعد عن المرام حيث اشير اليه فى قوله و بعد ماعاينوا فى الافق ولولم يمنعه ههنا ماسيأتى لزم الاستدراك فتأمل فان قيل ان قوله الجن تهتف جملة اسمية والجملة الاسمية تدل على الدوام فيقتضى ثبوت صوت الجن ودوامه وهو غير ثابت اجيب عنه بان هذه الجملة لاتدل على الدوام لان خبرها فعلية ومايدل عليه ماكان له صرافة فى الاسمية كما لايخفى وقوله والانوار ساطعة بيان لعلامة اخرى فالواو عاطفة والجملة معطوفة على سابقها والانوار جمع نور وهو جوهر مضئ كامر وساطعة من السطوع بمعنى الظهور وهذه الجملة الاسمية تدل على الدوام والثبات ففيه اشارة الى ان نوره عليه السلام باق الى يوم القيام و يرى ذلك النور من فى قلبه نور وهذه الجملة اشارة الى ماروى فى المواهب والشفاء من انه روى عن آمنة ام رسول الله عليه السلام انها قالت لما ولدته عليه السلام خرج من رحمى نور اضاءله قصور الشام قال فى اللطائف وخروج هذا النور اشارة الى مايجئ به من النور الذى اهتدى به اهل الارض وزال به ظلمة الشرك قال تعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب) الآية واما اضاءة ذلك النور قصور الشام فهو اشارة الى ماخص به الشام من النور بنبوته فانها دار ملكه انتهى و يجوز ان يكون المراد من الانوار شريعته عليه السلام على طريق الاستعارة بان يشبه شريعته بالانوار فى دفع الظلمات والواو فى والحق اما عاطفة او حالية والحق ضد الباطل و يجوز ان يكون المراد منه شانه عليه السلام بان يشبه شانه بالحق فى العلو لان الحق يعلو و لايعلى عليه و يظهر من الظهور بمعنى يتجلى ومن معنى من لابتداء الغاية متعلق بيظهر و تنوينه للتعظيم كتنوين كلم و المراد من المعنى معانى القرآن ومن الكلم الفاظه والمعنى ومن علاماته عليه السلام انه كانت الشريعة ظاهرة بسبب وجوده من معانى القرآن والفاظه فان معناه دال على احكام الشريعة والفاظه دالة على صدق نبوته لانه معجز غاية الاعجاز هذا على ان يكون الواو للعطف وان يكن الحق بمعناه الحقيقى واما لو كان الواو للحال والحق بمعنى شانه يكون هذا المصراع بيانا وتفسيرا للمصراع الاول على طريق اللف والنشر المشوش بان يكون المراد

من المعنى نوره عليه السلام ومن كلم كلمة الجن ويجوز ان يكون المراد من المعنى الامور المعقولة ومن الكلم الامور المحسوسة والكلام طويل لايليق اتيانه فى هذا المختصر

﴿ عَمُوا وَصَمُّوا فَاِعْلَانُ الْبِشَارِ لَمْ * تُسْمَعْ وَبَارِقَةُ الْاِنْذَارِ لَمْ تُشَمِ ﴾

لما نشأ من البيت السابق توهم ان يسئل بانه اذا اخبر الجن بنبوته ودلت الانوار على حقيته هل آمن به قومه اولا دفعه فقال عموا وصموا الخ اى لم يؤمن قومه لكونهم فى العمى والصمم فقوله عموا فعل ماض من العمى بمعنى عدم الرؤية يعنى الكفار لم يروا الانوار الساطعة والشرائع الرافعة لعمى ابصارهم واطلاق العمى عليهم مع كونهم اولى ابصارهم لعدم جريهم بموجب رؤيتهم وصموا كعموا يعنى ان الكفار لم تسمع كلام الجن وتبشيرهم لصمم آذانهم فقوله عموا ناظر الى قوله فيماسبق والانوار ساطعة وقوله صموا ناظر الى قوله والجن تهتف لكن على سبيل اللف والنشر المعكوس ويمكن ان يكون البيت ناظرا الى المصراع الثانى فى البيت السابق فيكون عموا ناظرا الى الكلم وصموا الى المعنى كالاول فتأمل والفاء فى فاعلان البشار للتفصيل لانه تفصيل قوله وصموا كما ان قوله وبارقة الانذار تفصيل قوله عموا على طريق اللف والنشر المعكوس كقوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت الآية والاعلان بمعنى الاظهار والبشار جمع بشير بمعنى المخبر بالاخبار السارة ففى العبارة حذف مضاف اى اعلان اخبار البشار ولم تسمع على صيغة التأنيث والضمير راجع الى الاعلان لايقال انه مذكر فلا يصح ارجاع الضمير اليه لانانقول انه قد اكتسب التأنيث من المضاف اليه على طرز قوله ✻ وما حب الديار شغفن قلبى ✻ وقوله وبارقة الانذار عطف على اعلان البشار وبارقة من برق بمعنى لمع وتاؤها للتأنيث او للمبالغة والانذار الابلاغ على وجه التخويف وفيه استعارة مكنية حيث شبه الانذار فى الذهن بالسيف فى كونه مخوفا وادعى للسيف فردان فرد متعارف وفرد غير متعارف وهو الانذار ثم استعير السيف للفرد الغير المتعارف اعنى الانذار ثم ذكر فى الخارج المشبه اعنى الانذار واريد الانذار الذى كان فردا غير متعارف للسيف فحينئذ يكون قوله بارقة تخييلا لهذه الاستعارة ولم تشم بمعنى لم تنظر ولم تبصر وضميره راجع الى البارقة

﴿ مِنْ بَعْدِ مَا اَخْبَرَ الْاَقْوَامَ كَاهِنُهُمْ * بِاَنَّ دِيْنَهُمُ الْمُعْوَجَّ لَمْ يَقُمِ ﴾

ثم فصل قوله عموا وصموا تفصيلا ثانيا فبين قوله صموا بهذا البيت فقال من بعد ما اخبر الاقوام كاهنهم الخ مع الاشارة الى ان عدم اتباعهم الرسول عليه الصلاة والسلام من عنادهم لامن جهلهم لان كاهنهم كان صادقا ومعتمدا عندهم فعدم تصديقهم اياه من عنادهم فقوله من بعد متعلق بصموا اولم تسمع او بهما معا على سبيل التنازع ومن جوز تعلقه بعموا او بلم تشم فهو غافل عن كون هذا البيت تفصيلا لصممهم اللهم الا ان يقال انه جوزه بعد ربط البيت الثانى كما لايخفى وما مصدرية والاقوام جمع قوم وقد سبق تفصيله وهو بالنصب مفعول اخبر وكاهنهم بالرفع فاعله وهو من يتدع القوم ويخبر عما سيكون من غير وحى وفى المفردات الكاهن الذى يخبر بالاخبار الماضية الخفية بضرب من الظن كالعراف الذى يخبر بالاخبار المستقبلة على نحو ذلك ولكون هذين الصناعتين مبنيتين على الظن الذى يخطئ ويصيب قال عليه السلام من اتى عرافا وكاهنا فصدقه بما قال فقد كفر بما انزل الله على محمد قالوا هذا فى حق من اعتقد صدق العراف والكاهن واما من سألهم لاستهزائهم اولتكذيبهم فلا يلحقه ماذكر فى الحديث بقرينة حديث آخر من صدق كاهنا لم تقبل منه صلاة اربعين يوما وليلة قال ابن ملك اللائح لى فى التوفيق ان يقال مصدق الكاهن يكون كافرا اذا اعتقد انه عالم بالغيب واما اذا اعتقد انه ملهم من الله او ان الجن يقولون مما يسمعون من الملائكة فصدقه فلا يكون كافرا انتهى فظهر مما ذكرنا فساد ماقيل وتصديق الكاهن فيما اخبر به من المغيبات كفر على اطلاقه فتدبر بان دينهم متعلق باخبر والدين فى اللغة الاطاعة والجزاء وهنا بمعنى الطريق والمعوج بالنصب صفة دينهم وهو اسم مفعول من الاعوجاج وهو يستعمل فى المحسوسات والمعقولات فان استعمل فى الاولى يكون بمعنى عدم الاستقامة وان فى الثانية يكون بمعنى مالا ينبغى ولم يقم بمعنى لم يدم وفى المواهب وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان يهودى قد سكن بمكة فلما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال يامعشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لانعلم قال انظروا فانه ولد فى هذه الليلة نبى هذه الامة بين كتفيه علامة فانصرفوا فسألوا فقيل لهم قد ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام فذهب اليهودى معهم الى امه فاخرجته لهم فلما رأى اليهودى العلامة خر مغشيا عليه فقال ذهبت النبوة من بنى اسرائيل

يامعشر قريش اما والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من الشرق والمغرب انتهى وامثاله كثيرة شائعة بين الانام وتفصيلها لايتحمله المقام

﴿ وبعد ماعاينوا في الافق من شهب * منقضة وفق مافي الارض من صنم ﴾

ثم شرع فى بيان التفصيل الثانى لقوله عموا فقال وبعد ماعاينوا الخ مع الاشارة فى المصراع الثانى الى علامة اخرى فى يوم ولادته عليه الصلاة والسلام الواو عاطفة وبعد عطف على محل من بعد وما مصدرية وعاينوا ماض من المعاينة بمعنى المكاشفة التامة وفى الافق متعلق بعاينوا والافق بسكون الفاء للتخفيف جوانب السماء ومن شهب بيان لما والشهب بضمتين جمع شهاب وهو شعلة نار او بمعنى الكواكب لانه فسر قوله تعالى (فاتبعه شهاب) بشعلة نار وبنجم كما لايخفى وقوله منقضة يجوز فيه الاحوال الثلاثة الجر على انه صفة شهب وهو الاظهر والنصب على انه حال منه والرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وهو اسم مفعول من انقض بمعنى سقط روى ان الله تعالى اذا قضى امرا كان يسمعه حملة العرش فيسبحون فيسبح من تحتهم الى سماء الدنيا فيقولون ثم تسبيحهم فيستخبرون حتى ينتهى الخبر الى سماء الدنيا فيختطف وتسرقه الشياطين ثم يأتون به الكهنة على الارض فما جاؤا به على وجهه فهو حق ولكنهم يزيدون فيكذبون وكان ذلك فى الجاهلية فلما ولد عليه السلام كانت الشياطين مرجومين من السماء وممنوعين من الصعود اليها بنجوم ونيران ترميها الملائكة اليهم فان قيل قوله تعالى فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا يدل على ان الرجم لم يكن قبل بعثة رسول الله عليه السلام وكذا يدل هذا البيت عليه ايضا وقوله تعالى (وجعلناها رجوما للشياطين) يدل على انه كان قبل ذلك لانه لما ذكر لخلق الكواكب فائدتين التزيين ورجم الشياطين وكانت فائدة التزيين حاصلة قبل البعثة وجب ان تكون الفائدة الاخرى حاصلة قبلها ايضا اجيب عنه بان ذكر الفائدتين لايقتضى اقترانهما بحسب الزمان لم لايجوز ان يكون المعنى وجعلناها بحيث تصلح لان ترجم بها فان الرجم مصدر سمى به ما يرجم به ويؤيد هذا المعنى ماروى عن جماعة من المفسرين من ان السماء لم تكن تحرس فى الفترة بين عيسى ومحمد خمسمائة عام فلما بعث محمد منعوا من السماء وحرست بالملائكة والشهب وقوله وفق ما بالنصب صفة مصدر منقضة اى انقضاضا موافقا لانقضاض ما فى الارض ومن صنم بيان لما والفرق بين الصنم والوثن ان الوثن ماكان له جثة من الخشب او الحجر او الفضة

او غير ذلك والصنم الصورة بلا جثة ومنهم من جعل الوثن صنما وهذا القول اشارة الى سقوط اصنام العرب فى وقت ولادته عليه السلام منكوسة حيث كان لكل واحد فى داخل البيت صنم فلما ولد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سقط كل مكبا على وجهه والتفصيل فى الكتب المفصلة

﴿ حتى غدا عن طريق الوحي منهزم * من الشياطين يقفو اثر منهزم ﴾

لما بين فى البيت السابق انقضاض الشهب اراد ان يفصله ويبين فائدة انقضاضها فقال حتى وحتى لانتهاء الغاية وغدا بمعنى اعرض لانه استعمل بعن وغدا اذا استعمل بعن يكون بمعنى الاعراض كصار وذهب ورغب وطريق الوحى كناية عن السماء لان جبرائيل كان يجئ بالوحى منها ومنهزم بالرفع فاعل غدا وهو اسم فاعل من الانهزام بمعنى الفرار من العدو بسرعة ومن الشياطين صفة منهزم وهو جمع شيطان وجملة يقفو حال منه وضميره المستتر راجع الى المنهزم ويقفو كيدعو من القفو بمعنى التبعية كقوله

*ومن يقف آثار الهزبر يزل به * طرائح حمر الوحش اذ هو رائع

وقوله اثر بالنصب مفعول يقفو والاثر بمعنى عقب يقول الاثر يدل على السير كالبعرة تدل على البعير يعنى ان الشياطين يصعدون الى السماء راكبا بعضهم على بعض فتنقض الشهب قبل ادراكهم السماء فينصرفون منها بالانهزام والفرار تابعا بعضهم اثر بعض وندركهم الشهب ولاتخطى ابدا فمنهم من تحرقه وتجعله رمادا ومنهم من تحرق بعض اجزائه ومنهم من يفسد عقله لايقال ان الشيطان من النار فلا يحترق لانا نقول انه ليس من النار الصرفة كما ان الانسان ليس من التراب الخالص على ان النار القوية اذا استولت على الضعيفة استهلكتها كما لايخفى

﴿ كانهم هربا ابطال ابرهة * او عسكر بالحصى من راحتيه رمي ﴾

لما كان فرار الشياطين وانهزامهم امرا وهميا اراد ان يقرره فى اذهان السامعين بتشبيهه بالمحسوس مع الاشارة الى علامة عجيبة كانت بسبب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال كانهم هربا ابطال ابرهة الخ كأن للتشبيه وضميره راجع الى الشياطين وهربا بالنصب حال من اسم كأن وهو بفتحتين الفرار خوفا وابطال بالرفع خبر كأن وهو جمع بطل بمعنى الشجعان وابرهة اسم ملك اليمن من الحبش رئيس اصحاب الفيل شبه الناظم النحرير فرار الشياطين من السماء تابعا بعضهم اثر بعض بفرار شجعان الملك ابرهة فى الانهزام وكونه

بسبب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفي قصته اختلاف فلنذكر ماذكره بعض المفسرين وهو ان ابرهة من الحبشة كان ملك اليمن ذا اتباع كثيرة فركب يوما مع اصحابه للصيد فرأى عيرا فقال من هؤلاء قالوا ان لهم بيتا في مكة يزورونه في كل سنة فغضب ابرهة فارسل اليهم رجالا حتى منعهم عن سبيلهم فقال لوزيره هل ينبغي ان لا يكون لنا بيت ويكون الناس زائرين له وكان العرب يزورون بيتهم في مكه ويأتون اليه من كل فج عميق فاني اريد ان ابني كنيسة لم يكن مثلها في الدنيا فركب ابرهه مع المهندسين فخرج الى الصحراء فرأى ارضا واسعة على بعد مسافة ثلاث ساعات من بلدة يقال لها صنعاء اليمن فامر ان يبنى في ذلك الموضع كنيسة فبنوا فيه واتموا وعلقوا فيها قناديل من الذهب والجواهر ووضعوا فيها كراسى مكللة باللؤلؤ وانواع الجواهر وملؤها بالاموال النفيسة ووضع ابرهة فيها رجالا حافظين وخدمة وجعل على حيطانها استعارا منقوشة بالذهب واللؤلؤ وقال لحافظها ان اتى احد من اهل الحجاز اليها فأذنوا له في الدخول لعلهم اذا رأوها تركوا بيتهم وتوجهوا اليها ثم ذهب ستة نفر من اهل الحجاز الى ارض اليمن للتجارة فقالوا بينهم ان كنيسة ملك اليمن قد شاع خبرها فلا نتركها حتى ننظرها فجاؤا الى بابها فقال الخادمون لهم من انتم قالوا نحن من اهل مكة فأذنوا لهم في الدخول فلما نظروا اليها تعجبوا فقال احد الخادمين لهم أهذه احسن ام بيتكم قالوا بيتنا احسن واعلى لانكم تفرحون بالجواهر والذهب ونحن لا ننظر اليها ولكن الكعبة قد بناها نبي الله ابراهيم وولده اسمعيل عليهما السلام ولها خواص كثيرة منها انه ما من احد يأخذ باستارها او بحلقة بابها ويسألن بها حاجته الا وقد تجاب دعوته فوقع بينهم نزاع فغلق احد تلك الستة باب الكنيسة وسلواسيوفهم وقتلوا الخادمين كلهم وتغوطوا داخلها ولطخوا بعذرتهم حيطانها ثم خرجوا وفروا الى ارض الحجاز فلما اطلع ابرهة على هذه الاحوال زل عقله من غضبه وقال لوزيره هيئ لنا آلات الحرب فجمعها واحضر عساكر كثيرة وجنود وفيرة فارسل وزيره وكان معهم اربعون فيلا ثم ركب ابرهة ايضا وعزم على ان يقتل اهل مكة ويحرق البيت فلما وصلوا الى قرب مكة نزلوا ثمة واستاقوا ابل قريش وغنمها وكان لعبد المطلب فيها اربع مأة ناقة فلما بلغ الخبر الى عبد المطلب جد النبي عليه الصلاة والسلام لبس لباسا نفيسا وعمامة لطيفة وركب ناقة وتوجه الى ابرهة فلما وصل الى الفيل الذى كان اعظم الفيلة وكان اسمه محمودا قال

انى جد محمد عليه الصلاة والسلام نبي آخر الزمان فرجع الفيل القهقرى ووضع وجهه على الارض وتملق اليه فمشى عبد المطلب حتى وصل الى سرير ابرهة فدعا الله تعالى وقال اللهم يا سميع يا بصير يا عليم يا خبير انت جعلت نور حبيبك في في ستين سنة فبحرمة صاحبه لا تجعلني حقيرا ولا تخجلا بين يدى الظالمين فوقعت الهيبة في قلوبهم فقام ابرهة ونزل عن سريره وقال مرحبا بك يا سلطان مكة يا شيخ الحرم لاى حاجة جئت فقال انما جئت لان جيوشك قد اخذوا اربعمائة من ابلى فانا اطلبها فضحك ابرهة وقال انى ظننت انك تسألنى الكعبة قال عبد المطلب لست انا بصاحب الكعبة فان لها صاحبا يحفظها واما الجمال فالى فامر ابرهة ان يعطوه جماله وركب ناقته فجاء الى مكة واخبر بالحال اهل مكة وذكر كثرة جيشه فقالوا انا لا نستطيع محاربته فخرجوا وفروا حتى خلت مكة منهم فجاء عبد المطلب فاخذ حلقة البيت فدعا وتضرع فوثب النور من جبهته فوقع في الكعبة ونصب الى السماء فلما رأى عبد المطلب هذه الحال قال يا قوم ارجعوا فقد كفيتم فلا خوف عليكم ولا انتم تحزنون فالتفتوا الى السماء فاذا طيور كثيرة نشأت من جانب البحر واجتمعت فوق عسكر ابرهة ومع كل طائر ثلاثة احجار حجر في منقاره وحجران في رجليه كل حجر كعدسة وعليه مكتوب اسم من يرمى به فرمت الطيور تلك الاحجار فما اصاب احدا منهم حجر الا اهلكه فهلك القوم كلهم الا وزير ابرهة فهرب وفوقه طير حتى وصل الى ابرهة فحكى له الحال ولما اتم حكايته رمى الطير حجره فاصابه فهلك فلما رأى عبد المطلب هذه الحال نزل من جبل ابى قبيس فاخذ اموالهم وكان سبب دفع هذه البلية نوره عليه السلام ولذا قال تعالى الم تر كيف فعل ربك الخ ومن اراد تفصيل القصة فعليه بالرجوع الى قصص الانبياء وقوله اوعسكر بالحصى الخ تشبيه آخر واشارة الى معجزة اخرى له عليه السلام فعسكر معطوف على ابطال يعني ان الشياطين في الفرار كعسكر الكفار وبالحصى متعلق برمى المؤخر والحصى احجار صغيرة ومن راحتيه متعلق ايضا برمى المؤخر وراحتيه بمعنى كفيه وضميره راجع اليه عليه السلام يعنى ان الشياطين في الفرار كعسكر الكفار الذى انهزموا برميه عليه السلام اليهم حصيات ففروا بلا قرار حيث روى انه لما التقى منهم الجمعان اخذ رسول الله بقبضة من الحصيات وقال شاهت الوجوه فرماها اليهم فلم يبق احد منهم الا امتلأت عينه بالغبار والحصيات فانهزموا وفروا فان قلت المشهور والثابت بالاحاديث انه كان تلك الحصى

كفا ويشهد له البيت الاتى فكيف يصح قوله فى هذا البيت من راحتيه بصيغة التثنية اللهم الا ان يقال تثنية الراحتين باعتبار الوقتين فى الغزوتين اعنى فى بدر كما رواه البخارى وفى احد كما رواه مسلم وسيجئ تفصيل الغزوتين فى فصل الجهاد

نَبَذًا بِهِ بَعْدَ تَسْبِيحٍ بِبَطْنِهِمَا * نَبْذَ الْمُسَبِّحِ مِنْ اَحْشَاءِ مُلْتَقِمِ

لما بين العلامات العجيبة التى وقعت قبل بعثته عليه السلام اراد ان يشرع بيان بعض ما وقع من معجزاته عليه السلام بعد بعثته فقال نبذا به بعد تسبيح ببطنهما الخ نبذا مصدر رمى من غير لفظه والتقدير نبذ نبذا ومعنى النبذ الرمى من اليد والباء فى به زائدة لتقوية العمل والضمير راجع الى الحصى فان قيل هذا ذائد لافائدة فيه لانه قد سبق فى البيت الاول بعينه فى الاعادة استدراك قلت لانسلم انه لافائدة فيه كيف واعادته للتأكيد والتقدير على ان الاول مطلق وهذا مقيد فلا يكون عين الاول كما لايخفى وقوله بعد تسبيح ظرف نبذا اورمى وكان التسبيح صادرا من الحصيات واختلف فى كيفية ذلك التسبيح وببطنهما متعلق بتسبيح والباء بمعنى فى اوظرف مستقر على انه صفة تسبيح اى كائن فى بطنهما وضمير التثنية راجع الى الراحتين فان قلت الراحة بمعنى باطن اليد فلو رجع هذا الضمير اليهما يلزم استدراك قوله ببطن كما لايخفى قلت لانسلم ان الراحة بمعنى باطن اليد لامطلق اليد ولو سلم فلم لايجوز ان يكون فى ضمير ببطنهما استخدام بان يراد بمرجعه اعنى الراحتين معنى باطن اليد وبالضمير الراجع اليه مطلق اليد مجازا من ذكر اللازم وارادة الملزوم اومن ذكر الجزء وارادة الكل ولوسلم فلم لايجوز ان تكون اضافة البطن الى الضمير بيانية فتأمل وحاصل معنى هذا المصراع ان رسول الله عليه السلام رمى تلك الحصيات بعد تسبيحها فى راحتيه عليه السلام حيث روى انه عليه السلام لما اخذ بقبضة من الحصيات بالوحى سبحت فى كفه عليه السلام وهو يسمع ثم اعطاها ابا بكر فسبحت ايضا فى كفه وهو يسمع ثم اعطاها عمر فسبحت فى كفه ايضا وهو يسمع ثم اعطاها عثمان ثم اعطاها عليا فسبحت فى كفهما وهما يسمعان وقد كان مثل ذلك كثيرا ايضا فى اوقاته عليه السلام كما بينوه فى الكتب المفصلة ثم اتى بتشبيه لذلك الحكم مع الاشارة الى قصة لطيفة فقال نبذ المسبح الخ وهو بالنصب مفعول رمى والاداة محذوفة اى كنبذ المسبح وهو مضاف الى مفعوله وفاعله محذوف اى نبذ الله المسبح

والالف واللام فى المسبح للعهد اى المسبح المعهود وهو يونس النبى عليه الصلاة والسلام ومن متعلق بنبذ والاحشاء جمع الحشى وهو بمعنى البطن وجمعه اما على حقيقته لان يونس كان فى بطون ثلاثة الاول بطن الحوت الاول والثانى بطن الحوت الثانى والثالث بطن البحر اومن قبيل فقد صغت فلو بكماله والملتقم بمعنى المبتلع والمراد به الحوت ثم اعلم ان التشبيه فى النبذ المطلق لا فى المنبوذ كما لايخفى وحاصل معنى هذا المصراع كرمى الله تعالى نبيه يونس عليه الصلاة والسلام من بطن الحوت الى ساحل البحر بسهولة بلاشدة وقصته ان يونس عليه السلام بعثه الله تعالى الى قوم كانوا مائة الف وسبعين الفا فلم يجبه احد من قومه وآذوه وضربوه فخرج من المدينة فقال اللهم انزل عليهم رجزك وعذابك فنزل جبرائيل وقال له ان الله تعالى يقول ارجع اليهم فادعهم اربعين ليلة اخرى فان اجابوك فنعم والا فانا مرسل اليهم العذاب فرجع يونس فدعاهم سبعة وثلاثين يوما فلم يجيبوه فاخبرهم بالعذاب الى ثلثة ايام فلما جاءت ليلة الاربعين خرج يونس من عندهم بغير اذن ربه فلما اصبحوا تغشاهم سحاب العذاب فظنوا انه مطر فنظروا الى السحاب فاذا يخرج من اطرافه شرر النار فتحاجوا وندموا وطلبوا يونس فلم يجدوه فقالوا لملكهم ان كان يونس غائبا عنا فان آلهه لم يغب فاجتمع الناس كلهم فى ارض سهلة فتابوا وتضرعوا وكسروا اصنامهم وقبلوا دين الله تعالى وسجدوا له تعالى فاستجاب الله دعاءهم وكشف عنهم العذاب وكان يونس على جبل بعيد من المدينة فلم يقف على هذه الحال فجاء اليه الشيطان فى صورة شيخ فقال يونس له من اين تجئ قال من المدينة قال اى حال تركت اهلها قال ابليس تركتهم يطلبون كذابا يقال له يونس فانه قال لهم يأتيكم العذاب فلم يأتهم فيطلبونه ويريدون قتله فقال يونس كيف ارجع الى قوم كذبونى فذهب مغاضبا الى قومه من غير وحى من الله تعالى فاتى بحر الروم فاذا سفينة مشحونة فركبها يونس عليه الصلاة والسلام فلما ركبها تحركت السفينة حتى كادت تغرق فقال الملاحون ههنا رجل عاص وعبد آبق وهذا رسم السفينة اذا كان فيها العبد الآبق لا تجرى ومن رسمها ايضا ان يقترعوا فى مثل هذا فمن وقعت القرعة عليه القوه فى البحر فساهم اى قارع اهل السفينة ثلاث مرات فوقعت فى كلها على يونس عليه السلام فكان يونس من المدحضين اى من المقروعين فقام

يونس فقال انا الرجل العاصى و العبد الآبق فالقوه او القى نفسه فى البحر فالتقمه الحوت ثم جاء حوت آخر اكبرمنه فابتلع هـذا الحوت فنزل به الى قعر البحر فمكث فى بطنه اربعين يوما فنادى فى الظلمات الثلاث وسبح الله تعالى قال (لااله الاانت سبحانك انى كنت من الظالمين) فاستجاب الله تعالى دعاءه بحرمة تسبيحه فاخرجه الى ساحل البحر فانبت الله عليه شجرة اليقطين ليستظل بظلها ثم مشى الى قرية فاقبل عليه اهل تلك القرية فاكرموه وعظموه وتمام لقصص الانبياء للامام الثعلبي

جاءت لدعوته الاشجار ساجدة ❊ تمشى اليه على ساق بلا قدم

لما ذكر فى البيت السابق معجزته عليه السلام اعنى تسبيح الحصى فى كفه عليه السلام انتقل منها الى بيان معجزة اخرى مع المناسبة بين المعجزتين اذكلتاهما كانتا جمادا وشهدتا بنبوته وغيرذلك مما لو تأملت لوجدته فقال جاءت لدعوته الاشجار الخ جاءت اى اتت لدعوته اى وقت طلبه تشهد على نبوته عليه السلام كما سيجئ حكايته والاشجار بالرفع فاعل جاءت وهى جمع شجر قال فى اخوان الصفاء فى الفرق بين الشجر والنبات والنجم ان الشجر ماهو قائم على ساقه مرتفع فى الهواء يورق فى الصيف و يتناثر ورقه فى الشتاء و يخرج الثمر ماكول او غير مأكول و النبات مايبرز من الحب والبزر و النجم ماينبت من غير بزر و ينبسط على وجه الارض من الحشائش والكلاء وكلها ذو طعم ولون و رائحة انتهى والمراد من الشجر هنا شجر النخل وقيل غير ذلك وساجدة بالنصب حال من الاشجار و السجدة هنا اما على حقيقتها او المراد منها الخضوع والانقياد كما جاء الركوع بمعنى الخضوع فى قوله تعالى (يامريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين) ولما توهم ان يسأل عن كيفية مجيئها بانه هل خلق لها قدم اوجاءت بلا قدم دفعه فقال تمشى اليه فهذه الجملة استيناف اوحال واليه متعلق به و الضمير راجع اليه عليه السلام على ساق متعلق بتمشى وقوله بلاقدم اما متعلق بتمشى اوظرف مستقر صفة ساق اوحال منه و فى المعنى تأكيد كما لايخفى وفى البيت انواع من خوارق العادة كفهم الخطاب من النبات مع انها ليست من ذوات الادراك ومجيئها وتحركها وقصدها اليه وتواضعها لديه ومشيها على ساق و بلاقدم قال العصام المجئ انما حصل من شجرة واحدة على ماورد فى الاخبار فجمع الاشجار محمول على التكرار يعنى تكرار حركتها مع وجود وحدتها

وغفل عما فى المواهب والشفاء اذذكر فى المواهب اخرج الامام احمد عن ابى سفيان قال جاء جبريل الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم وهو حزين قد خضب بالدماء حيث ضربه بعض اهل مكة فقال له جبرائيل اتحب ان اريك آية فقال نعم فقال ادع تلك الشجرة التى وراء الوادى فدعاها فجاءت تمشى حتى قامت بين يديه فقال مرها فلترجع الى مكانها فامرها فرجعت الى مكانها فقال عليه السلام حسبى حسبى وعن بريدة جاء اعرابى وسأل منه عليه السلام آية فقال له قل لتلك الشجرة ان رسول الله يدعوك فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت حتى وقفت بين يدى رسول الله عليه السلام قالت السلام عليك يارسول الله قال الاعرابى مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها فى موضعها فاستقرت الحديث وفى حديث جابر ذهب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقضى حاجته فلم ير شيأ يستتر به فاذا شجرتان فى شاطئ الوادى فانطلق فاخذ بغصن من اغصان احديهما وقال انقادى معى باذن الله فانقادت معه حتى اتى الشجرة الاخرى فاخذ بغصن من اغصانها ايضا وقال انقادى معى حتى اذا كان بالمنتصف ممابينهما قال التئما على باذن الله فالتأمتا ثم بعد انقضاء حاجته افترقتا وامثاله ايضا ذكر فى الشفاء

كأنما سطرت سطرا لما كتبت ❊ فروعها من بديع الخط فى اللقم

لما توهم ان يسئل عن كيفية مشى الاشجار على ساقها بلاقدم اجاب عنه فقال بتشبيه بليغ كأنما سطرت الخ فكأن للتشبيه وما كافة اى كأن الاشجار فى مجيئها سطرت بمعنى كتبت واثرت والضمير للاشجار اولفروعها وسطرا مفعول مطلق له واللام فى لما للتوقيت اوللتعليل وما موصولة وكتبت صلته وضمير الموصول محذوف اى كتبته اوكلمة ما مصدرية اى لكتابة الفروع وعلى كل تقدير قوله فروعها بالرفع فاعل كتبت والفروع بمعنى الاغصان والافنان وضميره للاشجار وقوله من بديع الخط بيان لما واضافة البديع الى الخط من قبيل اضافة الصفة الى موصوفها اى الخط البديع بمعنى الخط الحسن وقوله فى اللقم متعلق بكتبت واللقم بفتحتين بمعنى وسط الطريق والمعنى كأن الاشجار انتظمت سطور الكتابة والفروع الاغصان فى وسط الطريق خطا حسنا دالا على المعانى الكثيرة وفى البيت استعارة تمثيلية بان شبه الهيئة المنتزعة من الاشجار واغصانها وانتظامها سطرا وكتابة فروعها

خطا حسنا فى وسط الطريق بالهيئة المنتزعة من كاتب حقيقة وانتظامه سطورا بالمسطار وكتابته بالقلم خطا حسنا على الكاغد وفى هذين البيتين اشارة الى ان المسلمين اولى بالمبادرة لاوامره عليه السلام وبان يقمن على قدم العبودية والاطاعة واذا كانت الاشجار مطيعة منقادة له عليه السلام فامته اولى به

مِثْلَ الغَمامَةِ أَنّى سارَ سائِرَةً ❊ تَقِيهِ حَرَّ وَطِيسٍ لِلْهَجِيرِ حَمِي

ثم انتقل من المعجزة السابقة الى بيان معجزة اخرى مع المناسبة بين هذه المعجزة وتلك من وجوه لان الغمامة كانت تسير مع النبى اين سار واطاعت له عليه السلام وكذلك الاشجار كانت مطيعة ومنقادة له عليه السلام تذهب الى اين امر ولان الغمامة كانت تظلل النبى عليه السلام من حر الشمس كذلك الاشجار كانت تظلل النبى عليه السلام كما روى فى الاحاديث الصحيحة انه عليه السلام اذا نام فى الصحراء كانت تجيء له الاشجار وتظلله ولان الغمامة سبب لانبات النباتات والاشجار وغير ذلك فقال مثل الغمامة الخ مثل بالنصب على انه صفة مصدر محذوف اى مجيئا مثل الغمامة او بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هى اى الاشجار مثل الغمامة والغمامة بفتح الغين المعجمة بمعنى السحاب وخبط العصام حيث قال الغمامة كالعمامة لانها بكسر المهملة كذا فى القاموس وأنى بفتح الهمزة بمعنى اين اى الى اى محل سار او بمعنى كيف اى كيف سار النبى عليه السلام سواء سار راكبا او ماشيا سريعا او بطيئا وعلى كلا التقديرين فهو ظرف لقوله المؤخر سائرة وسار بمعنى ذهب وضميره راجع اليه عليه السلام وسائرة اما بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هى سائرة فتكون الجملة بيانا لحال الغمامة او منصوبة على انها حال من الغمامة وتقيه بمعنى تحفظه وضمير فاعله راجع الى الغمامة وضمير مفعوله راجع الى النبى عليه السلام والجملة اما حال او استيناف لبيان علة السير فيمكن ان يرتب لهذا قياس بان يقال الغمامة تسير اين سار النبى لان الغمامة كانت تظلل النبى وتقيه حر وطيس للهجير حمى وكل شئ شانه كذا فهو يسير الى اين سار النبى فينتج المطلوب وحر وطيس بالنصب مفعول ثان لتقى لكن من قبيل الحذف والايصال اى من حر وطيس والوطيس التنور لكنه مستعار لمعنى الشمس حيث شبه الشمس وقت الزوال بالتنور فى شدة الحر فاستعير التنور للشمس فذكر التنور واريد الشمس وقوله للهجير اللام للتوقيت وهو ظرف مستقر

صفة لوطيس او ظرف له او ظرف للحر والهجير بمعنى نصف النهار عند اشتداد الحر يقال الهجير يابس النبت والحوض وحمى فعل ماض وسكون آخره عارض فى الوقف وهو صفة لوطيس والحمى بمعنى اشتداد الحر يقال حمى النهار بكسر العين اذا اشتد حره وحاصل المعنى ان الاشجار ساجدة لديه جائية اليه مثل الغمامة كانت تسير الى اين سار النبى لكونها حافظة له من حر شمس كائنة وقت الزوال الشديد الحر بقدرة الملك المتعال والبيت اشارة الى قصة بحيرا الراهب وهى انه عليه السلام لما خرج الى الشام لمصلحة خديجة ارسل الله تعالى على رأسه عليه السلام غمامة بيضاء ليظلله من حر الشمس حتى وصلت العير الى صومعة بحيرا الراهب فنزلت العير عندها تحت شجرة فاخضرت تلك الشجرة مع انها يابسة فخرج الراهب من صومعته ورأى العير والغمامة التى تظلله فعرفه بذلك وقال ليس تحتها الا نبى واتخذ ضيافة ودعا اهل العير ليعرف صاحب تلك الكرامة فذهبوا باجمعهم وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند اثقالهم لاعتمادهم عليه فنظر الراهب ان الغمامة لم تزل من مكانها فسألهم وقال هل بقى منكم احد فى مكانكم فقالوا لا الا حافظ يحفظ اثقالنا فطلب الراهب منهم ان يأتوا به فاتى به عليه السلام فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تلك الصومعة نظر الراهب الى الغمامة فرآها واقفة على الباب فدخل وقال يا شاب من اى بلدة انت قال من مكة قال من اى قبيلة قال من قريش قال ما اسمك قال اسمى محمد فوقع الراهب عليه وقبله بين عينيه وقال (لا اله الا الله ❊ محمد رسول الله) واسلم وحسن اسلامه وتمام القصة مذكور فى كتب السير

أَقْسَمْتُ بِالقَمَرِ المُنْشَقِّ اِنَّ لَهُ ❊ مِنْ قَلْبِهِ نِسْبَةً مَبْرُورَةَ القَسَمِ

ثم انتقل الى بيان معجزة اخرى لها مناسبة للسابقة من وجوه شتى حيث كانت السابقة سماوية وكذا هذه ولانها كانت خاصة بنبينا عليه السلام وكذا هذه ولانها انقادت اليه عليه السلام فكذا هذه فقال اقسمت بالقمر الخ اقسمت على صيغة التكلم من القسم بمعنى الحلف لا من الاقسام لعدم مجيئه وبالقمر متعلق باقسمت فيكون القمر مقسما به فان قلت القسم بغير اسم الله لا يجوز من العباد بل الظاهر من كلام مشايخنا انه كفر ان كان باعتقاد انه حلف يجب البر به وحرام ان كان بدونه وقد قال عليه السلام من حلف بغير الله فقد اشرك رواه الترمذى والحاكم بسند صحيح عن ابن عمر

رضى الله تعالى عنه وعن ابن عباس لأن احلف بالله فآثم خير من ان احلف بغيره تعالى فابر فكيف يجوز قسم الناظم النحرير بالقمر قلت الجواب عنه من وجوه اما اولا فبان يقال فى العبارة حذف مضاف اى اقسمت برب القمر اوخالقه كما قدره اكثر المفسرين فى مثل قوله تعالى (والشمس والضحى والليل) وغير ذلك واما ثانيا فبان يقال ان هذا القول وان كان فى صورة القسم لكن لم يكن المراد به القسم بغير الله تعالى فان العلماء اذا ارادوا تأكيد مضمون الكلام وترويجه واخبار صدقه يذكرونه فى صورة القسم لانه اقوى من سائر المؤكدات واسلم وليس الغرض به اليمين الشرعى واما ثالثا فبان يقال ان الحلف بغير اسم الله تعالى انما لا يجوز فى مذهب الحنيفة والناظم شافعى المذهب كما سبق فيجوز الحلف بغير الله تعالى فى مذهبهم ثم ان القمر يطلق على الكوكب المنير بالليل بعد مضى ثلاث ليال واما قبله فيقال له الهلال والمنشق بالكسر صفة القمر وهو اسم مفعول من الانشقاق بمعنى الانصداع وانشقاق القمر باشارته عليه الصلاة والسلام ثابت بالقرآن والاحاديث قال فى المشكاة روى ان اباجهل عليه اللعنة ومن تابعه لما عجزوا عن معارضة نبينا عليه الصلاة والسلام وارتفعت يوما فيوما شمس شريعته وجعل الناس يؤمنون به بعثوا الى حبيب ابن مالك خليفة الشام مكتوبا وكتبوا فيه اما بعد ليعلم الملك انه قد ظهر بيننا رجل ساحر كذاب يدعى ربا واحدا ودينا جديدا وانه يسب آلهتنا وكلما قابلناه بالحجة غلب علينا فاليوم ضعف دينك ودين آبائك فالحق به قبل ان ينتشر دينه فركب حبيب بن مالك ومعه اثنا عشر الف فارس ونزل بالابطح وخرج لاستقباله ابو جهل وعظماء مكة بالهدايا فاقعده حبيب عن يمينه وسأله عن احوال محمد قال ايها السيد سل بنى هاشم فسأل منهم فقالوا نعرفه بالصدق فى صغره ولما بلغ عمره اربعين سنة جعل يسب آلهتنا ويظهر دينا غير دين آبائنا قال حبيب احضروا محمدا طوعا ولو ابى فكرها فبعثوا اليه الحاجب فاتى اليه عليه الصلاة والسلام ابو بكر بحلة حمراء وعمامة سوداء فلبسهما رسول الله فجاء الى حضور حبيب وابو بكر عن يمينه وخديجة من خلفه فلما رأى النبى عليه السلام قام اكراما للنبى عليه الصلاة والسلام فلما جلس رسول الله والنور يتلألأ فى وجهه سكنت الالسن ووقعت الهيبة على الناس فقال حبيب يا محمد انت تعلم ان للانبياء كلهم معجزات ألك معجزة فقال عليه الصلاة والسلام ماذا تريد فقال حبيب اريد ان تغيب الشمس وتخرج القمر

وتنزله الى الارض وتجعله منشقا نصفين ثم يعود الى السماء قمرا منيرا فقال عليه الصلاة والسلام ان فعلته اتؤمن بى قال نعم بشرط ان تخبر بما فى قلبى فصعد رسول الله الى جبل ابى قبيس وصلى ركعتين فدعا ربه فنزل جبرائيل فقال ان الله تعالى سخر لك الشمس والقمر والليل والنهار وان لحبيب بن مالك بنتا سطيحة يعنى ساقطة على قفاها وليس لها يدان ولا رجلان ولا عينان فاخبره بان الله تعالى قد رد عليها جوارحها فنزل رسول الله عليه الصلاة والسلام من الجبل وجبريل فى الهواء وصفت الملائكة صفوفا فاشار باصبعه عليه الصلاة والسلام الى الشمس فركضت حتى غابت واشتد الظلام وطلع القمر بدرا منيرا فاشار اليه باصبعه فجعل القمر يركض ركضا حتى نزل الى الارض فانفلق فلقتين ثم عاد قمرا منيرا ثم عادت الشمس كما كانت اول مرة ثم قال حبيب بقى عليك الشرط فقال النبى عليه الصلاة والسلام ان لك ابنة سطيحة والله تعالى قد رد جوارحها فقال حبيب قائما يا اهل مكة لا كفر بعد الايمان اعلموا (انى اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله) فقال ابوجهل اتؤمن بهذا الساحر ثم خرج حبيب بن مالك الى الشام مسلما ودخل قصره فاستقبلته بنته قائلة (اشهد ان لا اله الا الله) الخ فقال لها يا ابنتى من اين علمت هذه الكلمات قالت اتانى آت فى المنام فقال لى ان اباك قد اسلم وان كنت مسلمة ترد عليك اعضاؤك سالمة فاسلمت فى منامى فاصبحت كما ترانى وتمام القصة مذكور فى محلها وقوله انه له بكسر الهمزة لانه وقع فى جواب القسم وله ظرف مستقر خبر ان والضمير راجع اليه عليه الصلاة والسلام وقوله من قلبه متعلق بنسبة قدم عليه للحصر ومن بمعنى الباء والنسبة بمعنى المشابهة يعنى ان للقمر المنشق مشابهة لقلب النبى عليه الصلاة والسلام فى الانشقاق ومبرورة القسم بالنصب على انه حال من فاعل اقسمت فيكون الالف واللام عوضا عن المضاف اليه اى وانا مصدوق فى قسمى واما صفة للنسبة اوحال منها فعلى هذا يكون المعنى ان للقمر المنشق نسبة لقلبه حتى لو حلف احد على وجود تلك النسبة يكون بارا فى قسمه وانشقاق قلبه اشارة الى شرح صدره حيث روى مسلم عن انس ان جبريل اتاه وهو يلعب مع الغلمان فاخذه فصرعه وشق صدره عن قلبه فاستخرج القلب واستخرج منه علقة سوداء فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله فى طست من ذهب ثم املأه بالحكمة ثم اعاده فى مكانه وقد كان شرح الصدر له عليه السلام مرتين

وماحوى الغار من خير ومن كرم ❊ وكل طرف من الكفار عنه عمي

لما ذكر بعض معجزته السابقة الواقعة قبيل هجرته عليه السلام اراد ان يبين بعض المعجزات التى وقعت فى هجرته عليه السلام فقال وماحوى الخ الواو عاطفة ماحوى مبتدأ محذوف الخبراى ومن جملة معجزاته عليه السلام ماحوى اى جمع واحاط فما اسم موصول عبارة عن ذات الرسول عليه السلام اوعنه وعن ابى بكر رضى الله تعالى عنه فان قلت المناسب لهذا المقام ان يقول ومن بدل وما لانهم قالوا ان من مختص بذوى العقول وما لغيره وقد نص عليه الصلاة والسلام فى مجادلة عبدالله بن الزبعرى قلت اختار مادون من لكونه عبارة ههنا عن الوصف حيث بين بالخير والكرم وهما غير ذى العقل فيناسبه مادون من اونقول ان ماههنا بمعنى من مجازا كما قال جمهور المفسرين ان ماقد يستعمل فى ذوى العلم مجازا كما فى قوله تعالى (والسماء ومابناها) وماحوى بمعنى جمع واحاط والغار الالف واللام فيه للعهد والغار بمعنى الكهف اى الكهف المعهود الذى كان فى جبل ثور فى قرب مكة المكرمة والمراد بالخير الفضائل ومن الكرم الفواضل والفعال الجليلة والخصال الجميلة وفى العبارة اماحذف مضاف اى ذى خير وذى كرم اومن باب المبالغة كرجل عدل والمراد بهما الجامعان لهما من النبى والولى على طريق اللف والنشر المرتب فالخير المطلق خير البرية والكرم يراد به افضل الامة قال عليه السلام مانفعنى مال احد مثل مانفعنى مال ابى بكر وقال عليه السلام لووزن ايمان ابى بكر بايمان العالمين لرجح ايمانه وكل طرف الواو للحال اواستينافية والطرف بمعنى العين والتنوين للتحقير ومن الكفار اماحال من طرف اوصفة له والمراد من الكفار الذين تفحصوا عن رسول الله عليه السلام وعنه متعلق بعمى المؤخر قدم للوزن وضميره راجع اليه عليه السلام افرده لكونه الاصل المتبوع وعمى اما فعل ماض وهو الاظهر او هو صفة وحاصل المعنى لما اجتمع اكابر قريش فى دار الندوة للمشاورة فى الاهانة له عليه السلام تمثل لهم ابليس بصورة شيخ فجلس معهم فقالوا ماادخلك علينا بغير اذن قال اللعين انا رجل من نجد رأيت فيكم حسن النية والاجتماع لامر حسن فاحببت ان اجلس معكم فقالوا هذا ليس من اهل تهامه لابأس وتكلموا فقال بعضهم احبسوه فى بيت ولا تعطوه شرابا ولا طعاما حتى يهلك قال اللعين بئس الرأى لان له اقارب يجتمعون و يأخذونه من ايديكم

وقال آخر اخرجوه وغربوه من بينكم قال اللعين ايضا بئس الرأى لان له لسانا لطيفا ووجها مليحا والله ليجتمعن عليه خلق كثير ثم ليأتينكم ويخرجنكم من بلادكم قالوا صدق الشيخ قال ابو جهل خذوا من كل بطن شابا بسيف صارم فيضربوه مضربة حتى يقتل ويفرق دمه فى القبائل قال اللعين هذا الرأى صواب فاجتمعوا عليه ليأتوه ليلا فاخبر جبريل بتلك الحال النبى عليه السلام وامره بالخروج فاقام رسول الله عليا فى فراشه فخرج وجاء الى بيت ابى بكر وذكر الحال فقال اتخرج معى فقال ابو بكر سمعا وطاعة فخرجا حتى وصلا الى باب الغار فدخل اليه ابو بكر اولا فرأى فيه جحرة فاخرج بردته فخرقها وحشا تلك الجحرة فبقى ثقبان فسدهما بعقبيه وقال ادخل يارسول الله فدخل والكفار جاؤا طالبين رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيته فلم يجدوه فسالوا عليا فقال لا ادرى فطلبوا اقطار مكة حتى جاؤا الى باب الغار فلم يروهما وسيأتى تفصيل هذه القصة فى الابيات الآتية

فالصدق فى الغار والصديق لم يرما ❊ وهم يقولون مابالغار من ارم

ثم شرع فى بيان تفصيل قوله وماحوى الغار فقال فالصدق فى الغار الخ الفاء للتفصيل والصدق مصدر بمعنى الصادق اوالمصدوق الذى انحصر فيه الصدق اوذو الصدق اوعلى طريق المبالغة وفى الغار خبر مبتدأ فان قيل الظاهر ان يقول فيه لسبق ذكره فلم عدل الى غير الظاهر قلت اعاد ذكره للاستلذاذ ولئلا يتوهم رجوعه الى الكرم والى الخير لايقال اعادة ذكره لضرورة الوزن لانا نقول ذكره بالضمير لايخل بالوزن ايضا بان يقول فالصدق فيه مع الصديق لم يرما مع انه على هذا يكون البيت اسلم لفظا واحسن معنى فتأمل والصديق صيغة مبالغة بمعنى كثير الصدق وفى هذا المصراع اشارة الى قوله تعالى والذى جاء بالصدق وصدق به الآية وخبر قوله والصديق محذوف اى كذلك ولم يرما بفتح الياء وكسر الراء من ورم انفه اذا غضب لان الغضبان ينتفخ انفه والجملة حال فيكون المعنى لم يغضبا على القضاء والقدر بل لم يجئ الى قلبهما اثر وفى بعض الرواية قرئ لم يرما بضم الياء على انه مجهول يروم من الروم بمعنى الطلب ومن اللطائف انهما مطلوبان وليسا بمطلوبين بل انهما محجوبان ولكن كانا عن اعين الاعداء محجوبين وقيل اصله لم يرم فهو مؤكد بالنون الخفيفة من ورم بمعنى انتفخ فابدلت النون الفا فى الوقف

كما فى قول امرئ القيس ❁ قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ❁ فيكون ضميره راجعا الى الصدق وتكون الجملة خبرا عنه والمعنى والحال ان الصديق لم تنتفخ من لدغ الحية رجله المباركة حيث روى ان ابابكر لما سد الثقب فى الغار برجله المباركة وكان فيها حية فلدغت رجله فشكا الى النبى عليه السلام من لدغها فاخذ النبى عليه السلام من بزاقه الشريف فوضع عليه فبرئ باذن الله وارتفع عنه الورم وقرأ بعض الناس لم يريا على انه تثنية مضارع من الرؤية لكن رده شيخ زاده وانا من الداخلين معه وقوله يقولون الواو حالية والضمير للكفار وجملة يقولون خبر مبتدأ والقول ههنا بمعنى الحكم اى والكفار يحكمون ومابالغار من ارم مقول الكفار ومامشبهة بليس والباء فى بالغار بمعنى فى وهو خبرما ومن زائدة وارم بالرفع اسم ماوهو بمعنى احد يقال مافى الدارارم اى احد وحاصل المعنى ان رسول الله عليه السلام وابا بكر دخلا الغار وسكنا فيه راضيين بقدر الله وحكمه غيرغاضبين والكفارجاؤا باب الغار لعلامة الاثار فلم يروهما بحفظ الملك الجبار حتى روى ان بعضهم قفوا اثرهما الى باب الغار ثم انقطع الاثر فيه فصعدوا على الجبل فوق الغار فقال ابو بكر رضى الله عنه يارسول الله لوان احدهم نظر الى قدميه لابصرنا قال عليه السلام ياابابكر ماظنك باثنين الله ثالثهما

﴿ ظَنُّوا الْحَمَامَ وَظَنُّوا الْعَنْكَبُوتَ عَلَى ❁ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ لَمْ تَنْسُجْ وَلَمْ تَحُمِ ﴾

لما توهم ان يسئل عن سبب عدم رؤيتهم بان يقال مامنعهم من الرؤية قال مجيبا ظنوا الحمام الخ الظن قديراد به العلم المطابق وقديراد به غالب الرأى وقد يراد به الجانب المرجوح اى الوهم وهو المراد ههنا والحمام طير يألف البيوت قال فى اخوان الصفاء الحمام خاصته ان يحمل كتابا الى بلد بعيد وهو القائل فى طيرانه وذهابه ياوحشتنا من فرقة الاخوان ياطول الاشواق الى الخلان يارب ارشدنا الى الاوطان وقال فى حلبة الكميت اختلف الناس فى صوت الحمام هل هو بكاء اوغير ذلك فمنهم من جعله بكاء وقال انها تبكى على فرخ لها صاده جارح فى عهد نوح عليه السلام فمامن حمامة الاوهى تبكى عليه الى يوم القيامة قلت والذى يظهر لهذا الفقير والله اعلم ان ذلك يختلف باختلاف المسامع فتارة يسمعه الخليل فيطرب ويسميه غناء وتارة يسمعه العاشق فيحزن ويسميه بكاء انتهى والعنكبوت دويبة تنسج فى الهواء والجمع عناكب والذكر عنكب وهى اقنع الاشياء وعلى رزقها احرص الاشياء وتبيض

وتحيض واول ماتلد تلد دودا صغارا ثم يتغير ويصير عنكبوتا وتكمل صورته فى ثلاثة ايام ويقوى على النسج ساعة يولد من غير تعليم والذى تنسج لاتخرجه من جوفها بل من خارج جلدها قال فى حياة الحيوان اذا وضع نسج العنكبوت على الجراحة الطرية فى ظاهر البدن حفظها من الورم ويقطع سيلا الدم واذا دلكت الفضة بنسجها جاء جلاؤها والعنكبوت الذى ينسج على الخلاء اذا علق على المحموم يبرأ باذن الله واذا لف فى حرقة وعلق صاحب حمى الربع نفع انتهى وفى الجامع الصغير قال عليه السلام العنكبوت شيطان مسخه فاقتلوه وروى الثعلبى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه انه قال طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه فى البيوت يورث الفقر وفى الحلية نسجت العنكبوت مرتين مرة على داود عليه السلام حين كان جالوت يطلبه ومرة على النبى عليه السلام فى الغار وروى الديلمى فى مسند الفردوس عن على رضى الله عنه ان النبى عليه السلام سئل عن الممسوخ فقال هم ثلاثة عشر الفيل والدب والخنزير والقرد والجريث والضب والوطواط والعقرب والدعموص والعنكبوت والارنب وسهيل والزهرة الحديث قال فى الزبدة نهى عليه السلام عن قتل العنكبوت والحمام الكائنتين فى الحرم وعلى خير البرية متعلق بالفعلين الاتيين على سبيل التنازع والبرية بمعنى المخلوق والالف واللام فيه للاستغراق اى جميع المخلوقات وقوله لم تنسج ولم تحم فيه لف ونشر مشوش لان الاول للثانى والثانى للاول ولم تحم بمعنى لم تبض وحاصل المعنى ان الكفار لعدم يقينهم بالنبى المختار حسبوا ان العنكبوت لم تنسج على باب الغار وان الحمامة لم تحم حول الغار فظنوا ان ليس فى الدار ديار ورجعوا من تتبع الاثار وقالوا لوكان احد فى الغار لما كانت هذه الاثار حتى قال واحد منهم لامية بن خلف ندخل الغار فقال امية ما تصنع فى الغار وان عليه عنكبوتا كانت قبل ميلاد محمد سيد الابرار

﴿ وِقَايَةُ اللّٰهِ اَغْنَتْ عَنْ مُضَاعَفَةٍ ❁ مِنَ الدُّرُوعِ وَعَنْ عَالٍ مِنَ الْاُطُمِ ﴾

لما كان هذا المقام مظنة ان يتوهم بان الهجرة والاختفاء فى الغار غير لائق بشان النبى المختار بل اللائق بشانه ان ابليس الدرع ويتحصن فى قلعة ويحارب مع الكفار دفعه بقوله وقاية الله اغنت الخ مع الاشارة الى ان هذا ابلغ فى الاعجاز مع المقاومة معهم لان فيه تنبيها على كونهم فى غاية الضعف ونهاية الهلاك حيث كان اوهن البيوت مقابلا لهم ومانعا من مطلوبهم

وانهم فى غاية الحماقة ونهاية البلادة حيث لم يفهموا من الآثار كونهما فى الغار ثم ان الوقاية بمعنى الحفظ مضاف الى فاعله ومفعوله محذوف اى وقاية الله اياه اعنى الرسول عليه السلام واغنت ضميره راجع الى الوقاية اى جعلت الرسول غنيا عن المضاعفة من الدروع والمضاعفة اسم مفعول من ضاعف يضاعف والتضعيف ضم شئ الى شئ فان قلت ان الله تعالى حفظه وجعله مستغنيا عن اصل درع فما فائدة اتيان المضاعفة قلت فى اتيانها اشارة الى شدة الكفار وكثرتهم يعنى اشارة الى انه لو قوبل معهم وحورب بهم يحتاج الى دروع كثيرة وقلعة مرتفعة اونقول ان فى البيت سلوكا الى مسلك برهانى وهو ان يذكر الدعوى المشتملة على دليها وههنا كذلك حيث كان هذا البيت فى تقدير وقاية الله تعالى اغنته عن مضاعفة من الدروع لان وقاية الله تعالى اغنته عن درع واحدة وكل ماغنى عن مضاعفة به ينتج المطلوب ومن الدروع حال من المضاعفة وهى جمع درع وهو مايلبس فى الحرب وعن عال عطف على مضاعفة اى مكان مرتفع وعال اصله عالى حذفت الياء للضرورة ويجرى القياس السابق فى هذا ايضا والاطم بضمتين جمع اطمة وهو بمعنى القلعة الحصينة والمعنى حفظ الملك الجبار نبيه المختار وجعله مستغنيا عن الدروع او الاسلحة المتعددة ومن الحصون العالية المرتفعة وجعله الغار له بقدرته بمنزلة الحصن الحصين وصير نسج العنكبوت فى قوة الدرع المتين فان قلت ما الحكمة فى هجرته عليه الصلاة والسلام الى المدينة واقامته بها الى ان انتقل الى ربه عزوجل قلت ان حكمة الله قد اقتضت انه عليه السلام تتشرف به الاشياء فلو بقى فى مكة الى انتقاله الى ربه لكان يتوهم انه قد تشرف بمكة اذ كان تشريف مكة بالخليل واسمعيل عليهما الصلاة والسلام فاراد الله تعالى ان يظهر شرفه عليه السلام فامره بالهجرة الى المدينة فلما هاجر اليها تشرفت به حتى اجمعوا ان الموضع الذى ضم اعضاءه الكريمة افضل من جميع البقاع (ثم اعلم ان خاصية هذا البيت انه من كان فى ارض مخوفة من الوحوش فليقرأه سبعا اوتسعا وليجعل فى اطرافه دائرة فان تلك الوحوش لاتضره ولاتدخل داخل تلك الدائرة قال الاستاذ طول الله تعالى بقاءه وجعل آخرته خيرا من اولاه جربناه مرارا فوجدناه مصادقا

﴿ ماسامَنِي الدهرُ ضَيمًا واستجرتُ بِهِ ❊ اِلّا ونِلتُ جِوارًا منهُ لم يُضَمِ ﴾

لما ذكر فيما تقدم محفوظيته عليه السلام ترقى الى بيان حافظيته فى الدنيا

فقال ما سامنى الدهر الخ سامنى من السوم بمعنى اذاقة الشدة والمحنة ومنه قوله تعالى يسومونكم سوء العذاب وفى بعض النسخ ماضامنى من الضيم بمعنى الظلم وعلى كلا التقديرين فالمعنى ماظلمنى الدهر فان قلت كيف يسند الظلم الى الدهر وقد نهى عنه رسول الله عليه الصلاة والسلام حيث قال لاتسبوا الدهر فان الدهر هو الله وفى حديث ابى هريرة بلفظ ولاتقولوا خيبة الدهر وفى حديث آخر لايسب احدكم الدهر قلت قوله فان الدهر هو الله فيه ثلاثة تأويلات الاول ان المراد بهذا القول اى المدبر للامور والثانى انه على حذف مضاف اى صاحب الدهر والثالث ان التقدير مقلب الدهر وقال بعضهم انه من الاسماء الحسنى وقد وقع فى القرآن حكاية وما يهلكنا الا الدهر وبالجملة ان النهى عن السب لكونه راجعا الى سب فاعله وخالقه ومن اراد هذا البحث على وجه الكمال فعليه بالرجوع الى الباب الثالث والسبعين من الفتوحات للشيخ الاكبر ففى اسناد سام الى الدهر مجاز اى ما ابتلانى خالق الدهر وقوله ضيما مفعول مطلق من لفظ فعله على تقدير كون النسخة ماضامنى ومن غير لفظه على تقدير كونه ماسامنى ووقع فى بعض النسخ يوما بالنصب على الظرفية والواو فى واستجرت حالية واستجرت من الاستجارة من قولهم استجار فلان من فلان اى طلب الخلاص والنجاة كما فى قوله تعالى وان احد من المشركين استجارك وقيل بمعنى الالتجاء والنياز ويجوز ان تكون الواو للعطف لكن الاول اولى ولايرد عليه انه يلزم فى الماضى قد اذا كان حالا وهو غير موجود لانه اعم من الملفوظ والمقدر وههنا مقدر والباء فى به اما للسببية او للاستعانة والضمير راجع اليه عليه السلام وفيه حذف مضاف اى بسبب مدحه عليه السلام والاستثناء مفرغ حذف فيه المستثنى منه اى ماظلمنى الدهر مع انى ملابس بطلب خاص بسبب مدحه فى حال من الاحوال الا فى حال الوصول والواو فى ونلت تأكيد اللصوق كما فى قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ونلت بمعنى وصلت والمراد من الجوار اما على حقيقته بان يراد الجوار فى الدنيا بالمؤالفة به عليه السلام والمصاحبة معه او يراد بالجوار الاستراحة والخلاص من جميع فتن الدنيا وهو المناسب لتعلق منه به وضميره راجع الى الضيم وقوله لم يضم صفة جوار وايراده لدفع توهم ناشئ من الاستثناء اذا استفيد منه كون الجوار من جنس الظلم فدفعه بقوله لم يضم (ثم اعلم ان قوله الاونلت يجوز ان يكون من قبيل تأكيد المدح بما يشبه الذم

وان لم يتعرض له الشارحون بل كونه من هذا القبيل احسن لانه كدعوى الشيء ببينة كما لايخفى على الفطن لايقال انه لاحكم فى هذا المقام قبل الاستثناء حتى يكون قبله شيء مشابه للمدح فيؤكد لانا نقول هذا الكلام مبنى على ماذهب اليه الشافعية من وجود الحكم قبل الاستثناء لان الناظم شافعى كامر غير مرة وحاصل معنى البيت ما اذا قنى الله تعالى فى زمان من الازمان ضررا من امور الاكوان والحال انى قد التجأت اليه الا وقد نلت خلاصا ووجدت فيه مناصا لم يغلب ولم يظلم ثم اعلم ان خاصية هذا البيت انه اذا كتبه من يريد السفر فترك المصراع الاول فى داره مع اهله واخذ المصراع الثانى معه فسافر فهو يصل الى اهله باذن الله تعالى سالما من الافات

﴿ ولا التمست غنى الدارين من يده ❊ الا استلمت الندى من خير مستلم ﴾

لما بين فى البيت السابق حافظيته عليه السلام فى دار الدنيا اراد الترقى منها لبيان حافظيته فى الدارين فقال ولا التمست الخ الواو عاطفة والجملة معطوفة على جملة سابقة وتكرير النفى للتأكيد ولا التمست على صيغة التكلم من الالتماس وهو طلب المساوى من المساوى وهنا مستعمل بمعنى الطلب مطلقا اما تجريد او حقيقة وغنى الدنيا انما يكون بالسعة والكفاية وفى الحديث ليس الغنى من كثرة العرض انما الغنى غنى القلب ويكون غنى الدنيا ايضا بصحة البدن والسلامة من بليات الدنيا وغنى الآخرة انما يكون بالفوز والنجاة من الجحيم والدخول فى جنة النعيم ولذا ورد فى الخبر اكثر اهل الجنة بله اى حمق لانهم يرضون بغنى الآخرة اعنى الجنة ولا يطالبون جمال الله قال تعالى فى التنزيل والله خير وابقى ومن يده متعلق بالتمست والمراد من اليد ذاته عليه السلام من قبيل ذكر الجزء وارادة الكل او اليد هنا بمعنى الطرف والجانب يقال حصلت المصلحة من يد فلان اى من طرفه وجانبه وفى الحديث وهم يد واحدة على من سواهم او بمعنى الاحسان ونعمه عليه السلام فيكون ايضا مجازا من قبيل اطلاق اسم ما هو بمنزلة العلة الفاعلية والصورية على المعلول والاستلام بمعنى الاخذ والندى العطاء كما فى قوله ❊ ولا فضل فيها للشجاعة والندى ❊ وهو بالنصب مفعول استلمت وخير مستلم كناية عن رسول الله عليه السلام ومستلم يجوز ان يكون على صيغة اسم الفاعل او المفعول وحاصل معنى البيت ما طلبت غنى الدنيا بالكفاية وغنى العقبى بالسلامة من احسانه وانعامه او من ذاته عليه السلام الا اخذت العطاء

ونلت المنى من خير مستلم فكنت بسببه محفوظا من الآفات فى الدنيا ومن البليات فى العقبى عليه الصلاة والسلام فى كل صبح ومساء

﴿ لا تنكر الوحى من رؤياه ان له ❊ قلبا اذا نامت العينان لم ينم ﴾

لما بين اوصافه الكاملة اراد ان يشير الى ان من اتصف بهذه الصفات والنعوت لا يستبعد ولا ينكر ان يكون قلبه مربوطا به تعالى لا يفارقه فى جميع الليالى والايام ولو كان عيناه فى المنام فقال لا تنكر الوحى الخ فتكون الاوصاف المذكورة كالعلة والدليل لهذا البيت فترتيب قياسه هكذا اذا كان نبينا عليه الصلاة والسلام متصفا بهذه الصفات فلا ينبغى انكارك الوحى من رؤياه لكن المقدم حق والتالى مثله فقوله ان له الخ كالعلة للتالى بان يقال لا ينبغى انكار الوحى من رؤياه لانه كان له قلب اذا نامت العينان لم ينم فلا ينبغى انكارك الوحى من رؤياه لكن المقدم حق والتالى مثله ثم ان لا تنكر نهى حاضر من الانكار والخطاب عام لمن شانه ان يخاطب والوحى منصوب على انه مفعول لا تنكر والوحى يجيء فى اللغة على معان كالاشارة والرسالة والالهام والكلام الخفى وفى العرف اعلام الله تعالى لانبيائه وهو اما ظاهر او باطن اما الظاهر فثلاثة الاول ما ثبت بلسان الملك فوقع فى سمعه بعد علمه بالمبلغ انه قطعى والقرآن من هذا القبيل والثانى ما وضح له باشارة الملك من غير بيان بالكلام كما قال عليه السلام (روح القدس نفث فى روعى ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا فى الطلب) والثالث ما يبدى الله لقلبه فى رؤياه وفى عيانه بلا شبهة بالهام الله تعالى بان اراه نورا من عنده وكل حجة مطلقا بخلاف الهام الاولياء فانه لا يكون حجة على غير نفسه وقوله من رؤياه صفة للوحى اتى به للاحتراز عن وحيه الذى كان فى عيانه بواسطة جبريل فانه بديهى متواتر بين الانام فلا حاجة الى ذكره فى هذا المقام والرؤيا ما يراه الشخص فى منامه قال القاضى ابو بكر الرؤيا ادراكات يخلقها الله تعالى فى قلب العبد النائم على يدى ملك او شيطان وفى الحديث ان رؤيا المؤمن كلام يكلمه ربه فى المنام (ثم اعلم ان الرؤيا اما صادقة وهى ثلاث تبشير يبشره الملك الموكل على الرؤيا بما يسره من الامور الاخروى او الدنيوى وتحذير يخوفه مما يبعده عن الطاعة ويقربه الى المعصية والهام يلهمه ما هو نفع محض كالحج والتهجد واما كاذبة وهى ايضا ثلاث رؤيا هممة وهى ما تخيلها فى اليقظة فليس لها اعتبار ورؤيا علة

ناشئة من امراض فليس لها اعتبار ايضا ورؤيا شيطان وهى اضغاث احلام هذا فى رؤيا غير الانبياء واما رؤياهم فكلها صادقة بل وحى يجب العمل بها وقوله ان له علة للنهى وضميره راجع اليه عليه الصلاة والسلام وقلبا بالنصب على انه اسم ان والتنوين للتعظيم وجملة اذا نامت صفة قلبا وضمير الفاعل فى لم ينم راجع الى القلب وحاصل المعنى لاتنكر ايها المنكر ولاتستغرب ايها المقر الوحى الربانى والالهام الصمدانى الحاصل من رؤياه فى المنام لان له عليه السلام قلبا عظيما وصدرا كريما اذا نامت عيناه لم ينم قلبه فى رؤياه وفى البيت تلميح قريب الى قوله عليه السلام (ان عينى تنامان ولاينام قلبى) والى قوله عليه الصلاة والسلام (الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة واربعين جزأ من النبوة وفى رواية ابى هريرة جزء من خمسة واربعين جزأ ومن حديث عمر جزء من سبعين جزأ وعن انس جزء من ستة وعشرين جزأ وفى رواية من اربعة وعشرين جزأ) وفى تأويل الرواية الاولى قال بعض اهل العلم ان الله تعالى اوحى الى نبيه فى المنام ستة اشهر ثم اوحى اليه بعد ذلك فى اليقظة بقية مدة حياته ونسبتها الى الوحى فى المنام جزء من ستة واربعين جزأ لانه عاش بعد النبوة ثلاثا وعشرين كما سيجئ فتامل (ثم اعلم ان الحديث الاول اعنى قوله ان عينى الخ اعترض عليه بانه مخالف لما وقع فى الوادى من نومه عليه السلام الى ان طلعت الشمس وفاته وقت صلاة الفجر لانه لوكان قلبه غير نائم لم يفت وقت الصلاة منه عليه السلام واجيب عنه اولا بان الحديث مقيد بغالب الاوقات فلاينافى ماوقع منه نادرا لحكمة ومصلحة من تأسيس سنة واظهار شرع كما قال عليه السلام لوشاء الله تعالى لايقظنا ولكن اراد ان تكون سنة لمن بعدكم وثانيا بانه لاينام قلبه من اجل انه يوحى اليه فى النوم وليس فى قصة الوادى الانوم عينه عن رؤية الشمس وليس هذا من فعل القلب وله اجوبة اخرى تركناها واعترض على الحديث الثانى اعنى قوله الرؤيا الحسنة الخ بان النبوة قد انقطعت بوفاته عليه السلام فلامعنى لكون الرؤيا جزأ من النبوة اجيب اولا بانه ان وقعت منه عليه السلام فهو جزء من اجزاء النبوة حقيقة وان وقعت من غيره عليه السلام فهو على سبيل المجاز وثانيا بان معنى الحديث جزء من علم النبوة فانها وان انقطعت فعلمها باق وثالثها بانه عليه السلام لم يرد بانها نبوة باقية بل اراد ان الرؤيا تشبه النبوة من جهة الاطلاع على بعض الغيب والتشبيه بشئ لايستلزم ثبوت وصفه فاحفظ

ماتلونا عليك من الكلام فانه ينجيك من اكثر ماكان من القال الا قدام والحمد لله المفضل المنعام

﴿ فَذَاكَ حِينَ بُلُوغٍ مِنْ نُبُوَّتِهِ ❁ فَلَيْسَ يُنْكَرُ فِيهِ حَالُ مُحْتَلِمِ ﴾

لما توهم ان يقال ان رؤياه عليه السلام لوكانت وحيا لكان رؤياه التى رآها قبل النبوة وحيا ايضا مع انه ليس كذلك لان الوحى انما يطلق على ماوقع بعد النبوة والبعثة دفعه فقال فذاك حين بلوغ الخ فالفاء للتفصيل وذا اشارة الى كون رؤياه وحيا فذاك مبتدأ خبره محذوف اى واقع حين فحين ظرف لذلك المحذوف والبلوغ بمعنى الوصول وتنوينه عوض عن المضاف اليه اى حين بلوغه عليه السلام والنبوة من النبأ بمعنى الخبر والمراد بها ههنا سفارة بين الله وبين اولى الالباب لازاحة عللهم ولم يقل من رسالته للاشارة الى ان كون الرؤيا وحيا غير مختص بالرسول بل يوجد فى كل من الانبياء ولغيرهم فافهم والفاء فى فليس جزائية وليس بمعنى لا وينكر على صيغة المجهول من الانكار وفيه متعلق بينكر والضمير الى البلوغ من النبوة وحال محتلم بالرفع على انه نائب فاعل لينكر والمحتلم بفتح اللام بمعنى من يدرك خياله فى النوم والمراد به رسول الله عليه السلام او بكسر اللام على انه اسم فاعل بمعنى البالغ العاقل وحاصل معنى البيت ان ذلك الوحى الذى كان فى رؤياه فى ابتداء نبوته فى بدء بدور رسالته فليس ينكر فى ذلك الزمان وبلوغ ذلك الاوان حال بالغ مبلغ الرجال موصوف باوصاف الكمال من دعوى الوحى فى المنام فانه من مقدمات الوحى الحقيقى له عليه السلام فان قلت لم ابتدئ عليه السلام بالوحى المنامى ولم يجئ له وحى ظاهرى اولا قلت لانه لوجاء اليه الملك بالوحى الظاهرى بغتة لاحتمل ان لاتتحمله القوى البشرية فبدئ بها باوائل خصال النبوة وتباشير الكرامة بخلاف سائر الانبياء فانهم كانوا يعرفون نزول الوحى من تعليم كتب الاسلاف ونبينا عليه السلام لم يقرأ حرفا من كتب سائر الانبياء المتصفين بكمال الاوصاف عليهم الصلاة عدد الكاف والقاف

﴿ تَبَارَكَ اللّٰهُ مَا وَحْيٌ بِمُكْتَسَبٍ ❁ وَلَا نَبِيٌّ عَلَى غَيْبٍ بِمُتَّهَمِ ﴾

لما توهم من البيت السابق ان يسئل بانه لم لم تكن رؤياه فى جميع اوقاته وحيا واخر الى سن الاربعين ولم لم يكتسب رسول الله صلى الله عليه وسلم النبوة

في حاله الاولى دفعه مشيرا الى ان الوحي والنبوة بمحض عناية الله تعالى لا بالكسب واخبارهم عن المغيبات انما هو باعلام الله تعالى فقال تبارك الله ماوحي الخ تبارك الله للتعجب وتبارك من البركة وهو كثرة الخير ومعناه تزايد على كل شيء وتعالى وتعاظم في صفاته وافعاله قال المولى الفناري في تفسير الفاتحة يروى ان الصاحب بن عباد كان يتردد في معنى الرقيم وتبارك والمتاع ويدور على قبائل العرب فسمع امرأة تسئل ابنة اين المتاع ويجيب ابنها الصغير بقوله جاء الرقيم واخذ المتاع وتبارك الجبل فاستفسر عنهم وعرف ان الرقيم الكلب وان المتاع هو مابل بالماء فيمسح به القصاع وان تبارك بمعنى صعد وقيل معنى تبارك دام دواما ثابتا لا انتقال له ولهذا لايقال يتبارك مضارعا لانه للانتقال قال في البرهان ان هذه لفظة لاتستعمل الا لله تعالى ولاتستعمل الا بلفظ الماضي انتهى وانما خص ذكره بهذا الموضع لان مابعده امر عظيم وقوله ماوحي بمكتسب الخ اي لم يكن وحي اصلا في زمان من الازمنة بكسب كاسب لان الفضل بيد الله تعالى يؤتيه من يشاء في اي وقت شاء فان قلت لو كان الوحي والنبوة من فضل الله تعالى من غير كسب لكان من الصفات الجبلية لا الاختيارية ولو لم يكن من الصفات الاختيارية لايكون مدحا فلا يجوز للناظم الفاهم ذكره في سلك الاوصاف والامداح قلت المدح قد يتعلق بغير الاختياري بناء على ان الحمد والمدح مترادفان كما هو مذهب صاحب الكشاف والسيد تأمل وقوله ولا نبي عطف على وحي وتكرير النفي للتأكيد وهذا القول لدفع توهم بعض القاصرين من ان غير الله تعالى لايعلم الغيب فلا يجوز اخبار الانبياء عن الغيب وقوله على غيب متعلق بمتهم ولايرد انه لايجوز تعلقه به لعدم جواز تقديم مافي حيز الجار عليه لانا نقول ان هذا في غير الظرف وفيه يغتفر مالا يغتفر في غيره على انه لايجوز ان يكون تقديمه لضرورة الشعر والمتهم على صيغة اسم المفعول بمعنى المحمول على التهمة والكذب وحاصل معنى البيت تبارك الله وتعالى وتعاظم في ذاته وصفاته فسبحان الله تعالى لم يكن وحيه اصلا حاصلا بالاكتساب ولابتحسين القول والخطاب بل موهبة من الله تعالى وعطية من الاله ولايجوز حمل نبي ثبتت نبوته وتحققت معجزته على التهمة فيما يأتي من المغيبات واخبار امور الكائنات فان من كان نبيا لاينطق عن الهوى بل ما قوله الا وحي يوحى وفي البيت تلميح الى قوله تعالى (فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول) الآية وقوله تعالى (وما هو على الغيب بضنين) على القراءة بالظاء وهو المشهور عند اهل التفسير كما لا يخفى على من القى السمع وهو بصير

كَمْ اَبْرَأَتْ وَصِبًا بِاللَّمْسِ رَاحَتُهُ ❊ وَاَطْلَقَتْ اَرِبًا مِنْ رِبْقَةِ اللَّمَمِ

لما استفيد من البيت السابق ان الوحي والبعثة انما هو فضل الله يؤتيه من يشاء ويعلم حيث يجعل رسالته توهم ان يسأل سائل عن حكمة البعث وفائده الوحي فقال مشيرا الى فائدته كم ابرأت وصبا باللمس راحته الخ يعني ان الحكمة والمصلحة في بعثه عليه السلام ابراء المرضى من مرضهم الباطني الذي طبه ومعالجته مخصوص به عليه السلام ولاسبيل الى حصوله الا من جهته عليه السلام فان صلاح القلوب موقوف على ان يكون عارفا بربه وباسمائه وصفاته واحكامه وافعاله وان يكون مؤثرا برضاه ومحابه بمحبته وساخطا بمناهيه وتابعا لاوامره ولاسبيل الى تلقي ذلك الا من جهة سيدنا محمد عليه السلام وكذا ابراء المرضى من مرضهم الظاهري الذي يكون في ظاهر الجسد وباطنه كما سيذكر ان شاء الله تعالى ثم ان كم ههنا خبرية لان قائلها مخبر ومدخولها خبر بخلاف الاستفهامية لانها بالعكس فظهر ضعف قول من قال انها استفهامية فالمعنى كثيرا ما ابرأت وهو من الابراء بمعنى الازاحة والازالة ووصبا يروى بفتح الصاد وكسرها فعلى الاول يكون بمعنى المرض مطلقا فالمعنى كثيرا ما ابرأت راحته امراض المرض وعلى الثاني يكون بمعنى صاحب المرض فحينئذ يكون المعنى كثيرا ما ابرأت صواحب المرض من امراضهم والباء في باللمس سببية متعلقة بابرأت وراحته بالرفع فاعل ابرأت والضمير له عليه السلام والراحة بمعنى داخل الكف فحاصل المعنى كثيرا ما كان المرضى بريئين من مرضهم بسبب راحته المباركة الشافية ثم اعلم انه يجوز ان يكون المراد من اللمس اللمس الحقيقي كما ثبت فيما روى ان اباجهل قطع يوم بدر يد معوذ بن عفراء فجاء يحمل يده فاخذها رسول الله عليه السلام والصقها فلصقت كالاول وعن ابن عباس رضي الله عنهما جاءت امرأة بابن لها به جنون فمسح عليه السلام صدره فقال اخرج فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود فشفي وايضا فعل في عين علي وكان قد رمد رمدا شديدا فاصبح بارئا ومثل ذلك كثير وغيره ولايلزم علينا ذكر جميع ما ورد في الخبر الشهير ويجوز ان يكون المراد من اليد المستفادة من الراحة ذاته عليه السلام وباللمس لمسه المعنوي وهو كونه وسيلة الى دواء المرضى الباطني وكونه لهم شفاء كما كان دواء لداء اهل الشفاء وهذا غير مخصوص بزمانه عليه الصلاة والسلام بل هو باق الى يوم القيامة

لانه او ربط احد قلبه به عليه الصلاة السلام وصلى عليه ودعا الله ان يجعله وسيلة له لكان البتة باذن الله تعالى لذآته دواء وقد وقع مثله من اكابر العلماء والاولياء قال فى المواهب نقل عن القشيرى ان ولده مرض مرضا شديدا حتى اشرف على الموت واشتد عليه الامر قال فرأيت رسول الله عليه السلام فى المنام فشكوت اليه مابولدى فقال لى اين انت من آيات الشفاء فانتبهت فتفكرت فيها فاذاهى فى ستة مواضع من كتاب الله تعالى (ويشف صدور قوم مؤمنين ❁ وشفاء لما فى الصدور ❁ يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ❁ وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ❁ واذا مرضت فهو يشفين ❁ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء) قال فكتبتها ثم محوتها بالماء وسقيته اياها فكانما نشط من عقال وقال ابو بكر الرازى كنت باصبهان عند ابى نعيم فقال له شيخ ان ابابكر بن على قد سعى به عند السلطان فسجن فرأيت النبى عليه السلام فى المنام وجبرائيل عن يمينه يحرك شفتيه بالتسبيح فقال لى النبى عليه السلام قل لابى بكر يدعو بدعاء الكرب الذى فى صحيح البخارى حتى يفرج الله عنه قال فاصبحت فاخبرته فدعا به فلم يمكث الا قليلا حتى اخرج ودعاء الكرب مارواه الشيخان وهو قوله عليه الصلاة و السلام (لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات والارض ورب العرش الكريم) ويقول هذا الفقير المعترف بالعجز و التقصير وقع ايضا فى زماننا مثل ماذكرنا وهو انه كان لاستاذنا العلامة زوجة ابتليت بمرض فى قلبها كانت لاتسكن اصلا فى كل صباح ومساء الا وتصيح بصوت رفيع حتى سئم منها جيرانه فاخذ دواء من اطباء كثيرين ومانفعها فقال لى الاستاذ يوما اكتب منا كتابا الى روضة المصطفى صلى الله عليه وسلم حتى يكون شفيعا لهذا الدآء فكتبت اليه عليه السلام كتابا زينته اولا بالصلاة والسلام ووصفته بكونه شفيعا الامراض لاتحصى ورجوت فى آخره منه الدواء والاستشفاء لهذا الداء فارسله الاستاذ مع الحجاج الى روضته فحسبنا الايام الى اليوم الذى وصلت الحجاج فيه الى المدينة فانقطع صوتها ومرضها فى بيته فحمدنا الله حمدا كثيرا وقوله واطلقت عطف على ابرأت اى كثيرا ما اطلقت الاطلاق التخلية والعفو والاخلاص من القيد والارب بكسر الراء بمعنى صاحب الاحتياج ومن ربقة متعلق اطلقت والربقة بالكسر حبل له عقدة يشدبه البهائم واللمم بفتحين صغار

الذنوب لكن اريد به ههنا مطلق الذنب بقرينة ان المقام مقام المبالغة ثم انه يجوز ان تكون اضافة الربقة الى اللمم بمعنى اللام فيكون المعنى كثيرا ما اطلقت راحته عليه الصلاة والسلام صاحب احتياج من قيد لاجل ذنبه سواء كان ذنبه ظاهريا فيكون على هذا اشارة الى اطلاقه عليه السلام اسارى الكفار من ربقتهم حين شدهم المؤمنون فى الغزاة اوادعائيا فيكون اشارة الى ماروى عن ام سلمة انها قالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى صحراء فنادته ظبية يارسول الله قال ما حاجتك قالت صادنى هذا الاعرابى ولى خشفان فى ذلك الجبل فاطلقنى حتى اذهب فارضعهما وارجع قال عليه الصلاة والسلام اوتفعلين قالت نعم فاطلقها فذهبت ورجعت فاوثقها عليه السلام فانتبه الاعرابى وقال يارسول الله الك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو فى الصحراء وتقول (اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله) وغير ذلك ويجوز ان يكون من اضافة المشبه به الى المشبه اى من لمم كالربقة يعنى انه عليه الصلاة والسلام قد اطلق صواحب الحاجات من لممها الذى كالربقة كما ان الربقة تمنع الحيوان من وصوله الى مطلوبه كذلك اللمم يمنع الانسان من وصوله الى مطلوبه فيلزم الاطلاق اذ الوصول الى المقصود لايكون بالقيد والتحويل لابد من رفع العصيان والمحو وهو انما يكون به عليه الصلاة والسلام

﴿ وَاَحْيَتِ السَّنَةَ الشَّهْبَاءَ دَعْوَتُهُ ❁ حَتّٰى حَكَتْ غُرَّةً فِى الْاَعْصُرِ الدُّهُمِ ﴾

لما ذكر تأثير دعائه عليه الصلاة والسلام فى الارض شرع فى بيان تأثير دعائه فى السماء فقال واحيت السنة الشهباء الخ الواو عاطفة والجملة معطوفة على اطلقت واحيت من الاحياء ضد الاماتة والسنة بالنصب مفعول احيت بمعنى العام والحجة والشهباء بالنصب صفة السنة وهى مؤنث اشهب وهو الفرس الذى غلب عليه البياض والسنة الشهباء كناية عند العرب عن السنة التى لاماء فيها ولا كلاء والمراد باحيائها انبات النبات واحداث نضارتها ففى هذا المقام مجاز واستعارة وهو اما ان يكون فى احيت استعارة تبعية بان شبه تزيين الارض بانبات النبات واحداث نضارتها بالاحياء فى الانتفاع مطلقا ثم استعير الاحياء لتزيين الارض واحداث نضارتها ثم اشتق من الاحياء احيت ومن التزيين زينت اومن الانبات انبتت فذكر احيت واريد زينت او انبتت واما ان يكون فى السنة الشهباء استعارة بالكناية بان شبه السنة الشهباء فى الذهن بالموتى فى عدم الانتفاع ثم استعير الموتى فى الذهن لمفهوم السنة الشهباء وفى الخارج ذكر السنة الشهباء واريد نفسها ثم ثبت الاحياء الذى

هو من ملائم المشبه به للسنة الشهباء فكان استعارة مكنية وتخييلية وعلى كلا التقديرين يكون اسناد احيت الى دعوته مجازا من اسناد الشيء الى سببه اذ المحيي والمزين في الحقيقة هو الله تعالى وضمير دعوته راجع اليه عليه الصلاة والسلام وحكت بمعنى شابهت كما في قوله

* ظلمناك في تشبيه صدغيك بالمسك ■ وقاعدة التشبيه نقصان ما يحكى *

والضمير المستتر فيه راجع الى السنة وجعله راجعا الى الدعوة دعوى بلا دليل كما لا يخفى عن من له عقل قليل والغرة بالنصب مفعول حكت والغرة بياض قدر الدرهم في جبهة الفرس وفي الاعصر متعلق بحكت والاعصر جمع عصر وهو الدهر والزمان والدهم بضمتين جمع ادهم وهو بمعنى الاسود مثل ما في قول القبعثرى * مثل الامير يحمل على الادهم والاشهب ■ حين قال له الحجاج لاحملنك على الادهم ثم ان وجه الشبه في تشبيه السنة بالغرة قلة البياض يعني كما كانت الغرة بياضا قليلا في الفرس الاحمر والاسود كذلك كانت تلك السنة قليلة البياض اعني لخلوها من النبات او الحسن والضياء كما لا يخفى على اولي النهى وفي الاعصر الدهم استعارة مكنية وتخييلية وترشيحية بان شبه السنين الجدباء في الذهن بالفرس في كونهما غير مقبولين فاستعير ذلك الفرس لمفهوم تلك السنين فذكر في الخارج ما يدل على تلك السنين واريد تلك ثم اثبات الغرة تخييل وذكر الدهم ترشيح والبيت اشارة الى ما روى عن انس انه قال اصابت الناس سنة جدب على عهده عليه الصلاة والسلام فبينما النبي عليه الصلاة والسلام يخطب في يوم الجمعة قام اعرابي فقال يارسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله تعالى لنا فرفع يديه وما نرى في السماء سحابا الا قزعة فوالذي نفسي بيده ما وضعهما حتى صار السحاب امثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد حتى الى الجمعة الاخرى فقام رجل وقال يارسول الله هدم البناء وغرق المال فادع الله تعالى لنا فرفع يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا فما يشير الى ناحية من السحاب الا انفرجت وصارت المدينة مثل الجوبة وسال الوادي قناة شهرا ولم يجيء احد من ناحية الا حدث بالجود وهذه الواقعة مشهورة شائعة معروفة

﴿ بِعَارِضٍ جَادَ اَوْخِلْتَ الْبِطَاحَ بِهَا ■ سَيْبًا مِنَ الْيَمِّ اَوْسَيْلًا مِنَ الْعَرِمِ ﴾

فلما كان احياء دعائه عليه السلام السنة الشهباء مظنة ان يسئل انه هل كان احياؤه

عليه السلام بسبب المطر او بلا سبب بل بمعجزة اخرى اجاب عنه فقال بعارض جاد الخ الباء متعلق باحيت او حكت مبرزهما او اختراعهما والعارض بمعنى السحاب وجاد من الجود بفتح الجيم بمعنى المطر الشديد الذي لا يكون فوقه مطر وضميره المستتر راجع الى العارض فيكون المعنى بسبب سحاب امطر مطرا شديدا لا مطر فوقه ومن لم يكن له خبرة بكتب اللغة جعله من الجود بضم الجيم وجعل في العارض استعارة بالكناية او جعل في جاد استعارة تبعية والقوم صرحوا بانه مهما امكن الحقيقة في مقام لا يصار فيه الى المجاز فتأمل فيه فانه للافهام مجازوا وفي او خلت بمعنى الى وخلت من الخيال بمعنى الظن والحسبان وهو على صيغة الخطاب والخطاب عام والبطاح جمع ابطح او بطحاء وهو مسيل واسع للماء والمراد اودية المدينة ومكة وما حواليهما والباء في بها للسببية متعلق بخلت والضمير راجع الى العارض وتأنيثه باعتبار كون السحاب مؤنثا سماعيا وسيبا بالنصب مفعول ثان لخلت والسيب على وزن الغيب بمعنى الجري ومن اليم ظرف مستقر صفة السيب واليم بفتح الياء البحر بالسريانية وقد عربته ويجوز ان يكون السيب بمعنى العطاء قال في القاموس يقال فاض سيبه على الناس اى عطاؤه فعلى هذا يكون في اليم استعارة مصرحة فتأمل ووقع في بعض النسخ سيب بالرفع على انه مبتدأ وخبره قوله من اليم وكذلك قوله سيلا وهو بمعنى الماء المجتمع الجاري بغتة من كثرة المطر وفي الحديث اللهم انى اعوذ بك من السيل والبعير الصاؤل والعرم بفتح العين وكسر الراء بمعنى المطر الشديد او اسم واد ببلدة سباء فانه كان يجيء عليهم منه سيل عظيم وعلى كل من التقادير فالبيت كناية عن كثرة الامطار في تلك السنة وفي هذا البيت صنعة تلميح الى قصة بلاد سباء وسيل العرم وسباء اسم لحي سموا باسم الاب الاكبر لانهم من اولاد سباء بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكانوا في بلدة يقال لها مأرب في ارض اليمن وكان هناك واد عظيم وفاض يوما وهدم ابنيتهم فلما كانت بلقيس ملكة على تلك البلدة جمعت عمالا وحديدا وحجرا كثيرا فبنت امام ذلك الوادي سدا عظيما ووضعت انقابا ومازيب في اعلاه واوسطه واسفله فاتخذ اهل تلك البلدة في اسفل الوادي عن يمين البلدة وشمالها جنانا كثيرة فكانت في كثرة النعمة والفوا كه آية من آيات الله تعالى حتى ان لمرأة كانت تجعل الزنبيل على رأسها وتمر بين الاشجار ولا تحرك شجرا ولا تقطف ثمرا فيمتلئ الزنبيل من كثرة الفواكه وكانت بلدتهم طيبة

ليست بسبخة ولم يكن يرى فيها بعوض ولاذباب ولا برغوث ولاحية ولاعقرب ولاوباء واذا دخل المسافر فيها كان يموت ماعليه من البرغوث والقمل فقد كانت سعادة النشأة الاولى حاصلة لهم فلم يشكروا الله تعالى بل قالوا لانعرف لله علينا نعمة فارسل الله اليهم ثلاثة عشر رسولا وقيل نبيا فذكروا لهم نعم الله وقالوا اشكروا له فلم يسمعوا مواعظهم ولم يؤمنوا فسلط الله على سدهم فارة عمياء فنقبت احجار ذلك السد وكان الوادى ممتلئا كالبحر فانهدم السد فهجم الماء على بيوتهم وجنانهم فخربت وغرقوا جميعا باولادهم واموالهم وفى المثل تفرقوا ايدى سباء اوايادى سبأ فخذ ماآتيتك وكن من الشاكرين

﴿ دعني ووصفي آيات له ظهرت ◘ ظهور نار القرى ليلا على علم ﴾

لماورد على الناظم الفاهم سؤال ناشئ مماذكره من اوصافه ومعجزاته بانه لاحاجة الى بيانك لتلك الاوصاف لانها كانت كالشمس فى الظهور ولاحاجة الى تعريف الشمس اجاب عنه فقال دعنى الخ دعنى امر من ودع يدع بمعنى اتركنى ووصفى مفعول معه من دع اى مع وصفى والوصف بمعنى اصل المصدر لا الحاصل بالمصدر مضاف الى فاعله ومفعوله آيات وهى جمع آية بمعنى العلامات والمعجزات وقوله له امامتعلق بظهرت اوظرف مستقر صفة الآيات اومتعلق بوصفى الضمير راجع اليه عليه السلام اى لاثبات حقيقة شرف محمد عليه السلام والضمير المستتر فى ظهرت راجع الى الآيات وقوله ظهور بالنصب مصدر نوعى لظهرت والقرى بكسر القاف والقصر بمعنى الضيافة والعلم بفتحتين بمعنى الجبل كما فى قوله

◘ وان صخر التأتم الهداة به ◘ كأنه علم فى رأسه نار ◘

وليلا ظرف لظهور وعلى متعلق ايضا به وكان من عادة اسخياء العرب ايقاد النار فى رأس الجبل ليراها ابناء السبيل ويأتون اليها ويقضون عندها حاجتهم من الاكل والشرب وغير ذلك وتشبيه الآيات بها فى الظهور والاعلان كما لا يخفى على اهل الاذعان وحاصل معنى البيت اتركنى ايها الناصح بالاختصار فى الكلام لانه يجر الى الملال والسأم فان ذكر الحبيب لا يشبع منه اللبيب فخلنى مع وصفى له عليه السلام بآيات بينات وعلامات واضحات ظهرت وكشفت ظهورا بينا فى الآفاق فى وقت ظلمة الجهل بمحاسن الاخلاق مثل شعاع نار الضيافة على رؤس الجبال للعلامة فى الليل التى كانت ظلمته فى غاية الكمال لحضور المحتاجين

من ابناء السبيل والمسافرين ودفع احتياجهم من الكرام والحمد لله الملك العلام

﴿ فالدر يزداد حسنا وهو منتظم ◘ وليس ينقص قدرا غير منتظم ﴾

فقال لماكانت الدعوى المستفاد من قوله دعنى الخ اى يلزم لك تركى مع بيانى اوصافه وآياته وعدم السؤال عنى مجردة اراد ان يدللها اويثبتها فالدر الخ فالفاء للتعليل فيمكن ان يرتب ههنا قياس بان يقال يلزم لك تركى مع بيانى آياته لانه يلزم تركك من بيتها بالحسن والشرف وانا ابينها بالحسن والشرف ينتج يلزم لك تركى مع بيانى آياته والكبرى نظرية فاثبتها بقولى فالدر اى اقول انا ابين تلك الايات بالحسن والشرف لانه لماكانت آياته كالدر الذى يزداد حسنه وهو منتظم وليس ينقص قدرا غير منتظم كنت ناظما لتلك الآيات فانا ابينها بالحسن والشرف لكن المقدم حق والتالى مثله ثم اعلم ان الدر مبتدأ وهو اللؤلؤ المخرج من صدفه وجملة يزداد خبر المبتداء وحسنا تمييز من نسبة يزداد والواو فى وهو للحال فالمبتدأ مع خبره جملة والجملة حال من فاعل يزداد ومنتظم على صيغة اسم الفاعل من النظم بمعنى جمع اللؤلؤ فى السلك ففيه تجريد كما لا يخفى وحاصل المعنى ان آياته كالدر يزداد حسنها بالانتظام كذلك معجزاته عليه السلام يزيد حسنها بالانتظام وجعلها ابياتا اذ النظم لباس الكلام فكما ان المحبوب يزيد حسنه بلباس فاخر كذلك الكلام يزيد حسنه بلبسه نظما ولان فى الشعر حكمة كما ورد فى الحديث ولان النظم قريب الى الحفظ ولان فى قراءة الابيات يحصل للقلوب سرور ونشاط وقوله وليس ينقص قدرا الخ دفع لتوهم نشأ من الكلام السابق من انه لاحسن لبيان وصفه عليه السلام بغير النظم فالواو للحال وضمير ينقص راجع الى الدر والمراد منه الآيات وحسنا تمييز من فاعل ينقص والمعنى والحال ان آياته صلى الله تعالى عليه وسلم لاينقص حسنها باتيانها بلا نظم اذ الشرافة والحسن فى اصلها فبالنظم يزيد حسنها على وجه الكمال وبلا نظم تبقى فى اصل حسنها بلا زوال

﴿ فما تطاول آمال المديح الى ◘ مافيه من كرم الاخلاق والشيم ﴾

لمانشأ من البيت السابق من مدح نظمه تزكية نفسه وايهام ايراده جميع مدائحه عليه السلام مع انها لاتعد ولاتحصى بالمداد والاقلام اراد دفعه فقال فماتطاول آمال الخ كلمة ما للاستفهام الانكارى اوالتعجبى وتطاول اى مدعنقه مريدا الاطلاع عليه والآمال جمع امل وهو الرجاء والمديح اما

بمعنى المادح فالمعنى فيا عجبا اوكان بعيدا تطاول رجاء المادح الى اوصافه عليه السلام او بمعنى الممدوح فتكون اضافة الآمال اليه بحذف المضاف اى آمال اصحاب الممدوح وهم المداح فالمعنى فيا عجبا اوكان بعيدا تطاول آمال مداح الممدوح الى اوصافه عليه السلام والى متعلق بتطاول وما موصول وفيه ظرف مستقر صلته ومن بيانية واضافة الكرم الى الاخلاق من اضافة الصفة الى الموصوف اى الاخلاق الكريمة والمراد من الاخلاق الخصال الكسبية والشيم بكسر الشين وفتح الياء جمع شيمة وهي الخلق والعادة والمراد بها الاخلاق الضرورية الوهبية مآل البيت بيان عجزه عن عد اوصافه عليه الصلاة والسلام و بيان كثرة آيانه

﴿ آيَاتُ حَقٍّ مِنَ الرَّحْمٰنِ مُحْدَثَةٌ ❊ قَدِيمَةٌ صِفَةُ الْمَوْصُوفِ بِالْقِدَمِ ﴾

لما بين فى الابيات السابقة كونه واصفا لآياته عليه السلام ومبينا لها على احسن النظام وتمنى من المخاطب ترك الكلام فى حقه باللوم والملام فكانه قال قائل له فينبغى ان تبين منها ما هو المشهور والاوضح عند الانام وهو القرآن الباقى الى يوم القيام توجه الى قوله وشرع فى البيان فقال آيات حق الخ آيات بالرفع خبر مبتدأ محذوف اى ابهر المعجزات آيات حق او القرآن آيات حق اوغير ذلك او مبتدأ خبره محذوف اى آيات حق منزلة او بالنصب على انها عطف بيان لآيات فى قوله دعنى ووصفى آيات اوعلى المدح والآيات جمع آية وهى طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها سميت بها لانها علامة على صدق من اتى بها وقيل لانها علامة على انقطاع ما قبلها من الكلام عما بعدها واضافتها الى الحق بيانية ان كان الحق صفة مشبهة من حق بمعنى ثبت ولامية ان كان مصدرا ويجوز ان يكون المراد من الحق واجب الوجود تعالى شانه فيكون اسماله تعالى والاضافة حينئذ لامية ايضا اى الآيات المخصوصة للحق تعالى فعلى هذا يكون ذكر الرحمن تبركا باسمه الرحمن فان قلت لم اختار الرحمن من بين اسمائه تعالى ومن اسماء الغفار والرزاق والعلام والستار قلت اشارة الى ان فى انزال القرآن رحمة عامة الى جميع الخلائق حتى الكفار كما لا يخفى ومحدثة بالرفع خبر بعد خبر يعنى آيات الله الحقة منزلة محدثة وهى اسم مفعول من احداث وضميره راجع الى الآيات لكن باعتبار الفاظها وهى المكتوب فى المصاحف المقروءة بالالسن المحفوظ فى الصدور وقوله قديمة خبر بعد خبر اى الآيات محدثة قديمة لا يقال هل

هذا الا جمع بين النقيضين لانا نقول الحادث هو الفاظ القرآن والقديم معناه لان الكلام اثنان كلام لفظى وكلام نفسى كما قاله الاخطل

❊ ان الكلام لفى الفؤاد وانما ❊ جعل اللسان على الفؤاد دليلا ❊

فالحادث كلام لفظى والقديم كلام نفسى قائم بذاته تعالى (اعلم ان فى كلام الله تعالى سبعة مذاهب الاول ما ذهب اليه الاشاعرة من ان كلامه اثنان لفظى مكتوب فى المصاحف حادث ونفسى قائم بذاته قديم ليس بحرف ولا صوت بل هو المعنى فقط وان فى مذهبهم يجوز سمع ذلك المعنى الذى هو الكلام النفسى والثانى مذهب ابى منصور الماتريدى وهو ايضا ان كلامه اثنان لفظى مكتوب فى المصاحف حادث و نفسى قائم بذاته قديم ليس بحرف ولا صوت بل هو المعنى فقط والفرق بين الاول وبين هذا المذهب انه لا يجوز فى هذا المذهب سمع كلامه النفسى اصلا بل المسموع هو الكلام اللفظى كذا فى البداية والثالث مذهب بعض المتأخرين وهو صاحب المواقف ومن تلاه وهو ان كلامه اثنان لفظى مكتوب فى المصاحف محفوظ فى الصدور وهو حادث وكلام نفسى قديم عبارة عن لفظ ومعنى لكن بلا ترتيب والرابع مذهب الجلال الدوانى من انه اثنان لفظى قائم بالمصاحف والصدور وهو حادث ونفسى قائم به تعالى قديم عبارة عن لفظ ومعنى مع ترتيب على والخامس مذهب الحنابلة من ان كلامه تعالى فى الحقيقة واحد مركب من حروف واصوات قديم الى ان قال بعضهم وافرط بقدم الجلد والغلاف فهم ينكرون الكلام النفسى والسادس مذهب المعتزلة وهو ان كلامه واحد مركب من حروف واصوات حادثة لكن ليس بقائم بذاته تعالى بل بالغير كاللوح وفؤاد جبريل والنبى وشجرة موسى والسابع ما ذهب اليه الكرامية من انه كلام واحد مركب من الحروف و الاصوات حادث لكن قائم به تعالى فالفرق الثلاث ينكرون الكلام النفسى وتفصيل الكلام فى كتب الانام كالبداية و التمهيد فى التوحيد وبحر الكلام والابانة والكفاية والاحكام كما لا يخفى على اولى التبصرة والتذكرة ففى قول الناظم النحرير محدثة رد على الحنابلة وفى قوله قديمة رد على الكرامية وفى قوله قديمة مع قوله صفة الموصوف بالقدم رد على المعتزلة كما لا يخفى فقوله صفة الموصوف خبر بعد خبر وهو فى المعنى علة لكون الآيات اى معانيها قديمة فيمكن ان يرتب هنا قياس بان يقال الآيات اى معانيها قديمة لانها صفة الموصوف بالقدم وكل شئ شأنه

كذا فهو قديم ينتج المطلوب ولا تتوهمن ان ما هو صفة الله تعالى ما كان حادثا لانه مخالف المشهور فيما بين الاشعرى وابى منصور

لم تقترن بزمانٍ وهى تخبرنا ❊ عن المعاد وعن عادٍ وعن ارمِ

لما بين ذات الايات اراد ان يبين بعضا من معجزاتها واوصافها فقال لم تقترن الخ مع مناسبة تامة حيث جعل قوله لم تقترن علة اخرى لكون الايات اى معانيها قديمة اوعلة لكونهـا صفة الموصوف بالقدم وهو الظاهر فيمكن ان يرتب ههنا قياس بان يقال الايات قديمة اوالايات صفة الموصوف بالقدم لانهـا لم تقترن بزمان الخ وكل شئ شانه كذا فهو قديم اوصفة الموصوف بالقـدم فينتج المطلوب ثم ان جملة لم تقترن صفة بعد صفة الايات اوحال من فاعل قديمة وهو من المقارنة و بزمان متعلق بلم تقترن والزمان عند المتكلمين عبارة عن متجدد معلوم يقدر به متجدد آخر موهوم وعند الحكماء عبارة عن مقدار حركة الفلك الاعظم (ثم اعلم ان الآيات التى لم تقترن بزمان هى معانى الايات لا الفاظها لان الفاظها حادثة مقترنة بزمان بخلاف معانيها التى هى الكلام النفسى لانه صفة له تعالى والله تعالى وصفاته لا يجرى عليه زمان كما حقق فى محله وقوله وهى الواو للحال وهى مبتدأ راجع الى الايات وجملة تخبرنا خبره وجملة المبتدأ مع خبره اشارة الى دليل كون الايات من ابهر المعجزات وعن المعاد متعلق بتخبر والمعاد مصدر ميمى اواسم مكان والمراد به ههنـا الرجوع بعد الفناء واخبار القرآن منه فى مواضع كثيرة كقوله تعالى (اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى انشأها اول مرة) قال المفسرون نزلت هذه الاية فى ابى بن خلف خاصم النبى عليه الصلاة والسلام واتاه بعظم قدرم وبلى وفته بيده وقال يا محمد اترى الله تعالى يحيى هذا بعد مارم فقال صلى الله تعالى عليه وسلم نعم يبعثك ويدخلك النار كقوله تعالى (ثم انكم يوم القيامة تبعثون) وقوله تعالى (ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه بلى قادرين على ان نسوى بنانه) وقوله تعالى (افلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور)وغير ذلك وعن عاد عطف على المعاد اعاد الخافض للنظم اى تخبر الآيات ايضا عن قصة عاد وعاد قبيلة من العرب فى ناحية اليمن كما فى قوله تعالى فى سورة الاعراف (والى عاد اخاهم هودا) الاية وغير ذلك من سور القرآن وقصتهم انهم انبسطوا فى البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم اصنام

يعبدونهـا صداء وصمود والهباء فبعث الله تعالى اليهم هودا نبيا وكان من وسطهم واخيرهم وافضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا فامسك الله تعالى عنهم المطر ثلاث سنين حتى جاعوا وجهدوا وكانت عادة النـاس فى ذلك الوقت اذا نزل عليهم البلاء توجهوا الى البيت المكرم مسلمهم وكافرهم وطلبوا من الله تعالى الفرج فجهزت عاد الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا فدخلوا مكة رئيسهم قيل بن عنز فقـال قيل (اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم) فانشأ الله تعالى ثلاث سحابات بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه من السماء ياقيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت تلك السحابة الى بلدهم فغشيتهم فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منهـا ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه وقوله وعن ارم عطف على القريب او البعيد والمراد بارم ارم ذات العماد وهى لعاد الثانية فان القرآن اخبر عن قصتها ايضا فى سورة الفجر بقوله (الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد) وذكر قصتهم النيسابورى فى تفسير هذه الآية واجماله انه كان لعاد بن ارم ابنان شداد وشديد ملكا الدنيا ثم مات شديد فبقى الملك لشداد وكان عمره تسعمائة سنة وكان حريصا على قراءة الكتب فقرأ يوما صفة الجنة فاشتهت نفسه ووقع فى قلبه ان يبنى جنة مثل الجنة التى وصفها الله تعالى فارسل طائفة من جيشه ليطلبوا صحراء طيبة الهواء خالية من الاحجار كثيرة المياه والاشجار فسـاروا فى الارض فوجـدوا الصحراء مثـل ما وصف لهم فى ارض عدن فاخبروه بذلك فطلب شداد من وزرائه اصناف الجواهر والذهب والفضة فجمعوا منهـا ما لا يعد ولا يحصى فبعثها شداد الى تلك الارض مع مائة الف رجل من البنـائين والصنـاع فذهبوا اليها وبنوا اساسها لبنة من ذهب ولبنة من فضـة ولما فرغوا من بناء حيطانها نصبوا فيها اعمدة من زبرجد اخضر وياقوت احمر وبنوا فوقها قصورا كثيرة وغرفا فوق غرف من ذهب وفضة ومجـالس كثيرة ينظر ابواب بعضهـا الى بعض وجعلوا موضع الملك فى حصنهـا قصرا مبنيـا من ذهب وكان للملك الف وزير فجعلوا حـول الحصن الف قصر لكل وزير قصر منها وجعلوا فيها مجارى الانهار من الفضة وهى تجرى باللبن والخمر والعسل حتى فرغوا من بنائها فى ثلثمائة سنة ثم اخبروا الملك بفراغها فجمع وزراءه واتباعه وانصاره وساروا اليهـا فلما دنوا منها على

مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة فاهلكهم جميعا فلم يبق احد منه
وروى انه لم يدخل تلك الجنة الا واحد من المسلمين

﴿ دامت لدينا ففاقت كل معجزة * من النبيين اذجاءت ولم تدم ﴾

ثم شرع فى بيان كون الايات فائقة على آيات سائر النبيين والمرسلين فقال دامت لدينا الخ ضمير دامت راجع الى الآيات والتقييد بلدينا للاحتراز عما دام عند الله وقام به فانه باق فى كل زمان لايتناهى بل لايجرى عليه زمان والفاء فى ففاقت فاء النتيجة فما قبلها سبب وعلة لها فيمكن ان يترتب ههنا قياسا بان نقول القرآن فائق على كل معجزة لان القرآن جاء ودام وكل معجزة من النبيين جاءت ولم تدم وكل ماجاء ودام فهو فائق على كل معجزة جاءت ولم تدم ينتج القرآن فائق على كل معجزة وفاقت بمعنى تفوقت و برعت وكل معجزة بالنصب مفعول فاقت والمعجزة امر خارق للعادة يظهر على يد من يدعى النبوة عند تحدى المنكرين على وجه يعجز عن اتيان مثله اعلم ان ماكان خارقا للعادة ثمانية اقسام لانه اما ان يصدر عن مؤمن اومن كافر والاول اما عن النبى وهو اما ان يصدر قبل البعثة وهو الارهاصات مثل ماظهر حين ولادته عليه السلام او بعد البعثة وهى المعجزات واما من ولى وهى الكرامات واما من صالح وهى المعونة واما من فاسق وهو الاستدراج والثانى اما بتعليم وتعلم وهو السحر واما بلا تعليم و تعلم فان وافق مطلوبه فهو ابتلاء كما وقع من فرعون و الدجال وغيرهما وان لم يوافق فهو الاهانة كما وقع من مسيلمة الكذاب حيث دعا لاعور ليصلح عينه العوراء فاعورت الصحيحة ايضا والمراد من النبيين المعنى العام للمرسلين على مافهم من اساليب كلام الناظم فان قلت ان فى النبيين دخل نبينا عليه السلام ايضا فيلزم فضل معجزته على نفسه وهو باطل قلت المراد من النبيين من سوى نبينا عليه السلام لانه مستثنى منهم بالاستثناء العقلى كما فى قوله تعالى (ان الله على كل شئ قدير) واذ للتعليل ولم تدم عطف على جاءت يعنى ان معجزات سائر الانبياء قد انقضت واندرست بموتهم بخلاف معجزة نبينا عليه السلام لانها باقية الى يوم القيامة لايقال انا لانسلم ان معجزات سائر الانبياء قد جاءت ولم تدم كيف وان الانجيل باق عند النصارى كما ان التوراة باقية عند اليهود لانا نقول المراد من الدوام دوامه بلا تغيير لفظ وتحريف حرف وكلا الفريقين قد غيراهما وبسبب

تحريفهم كانوا كافرين ولو سلم فالمراد دوام حكمه اعنى شرعيته وكتب سائر الانبياء قد نسخت بكتابنا وكان الشرع الباقى عند الملل القرآن لاغيره من الكتب المنزلة على سائر الانبياء

﴿ محكمات فما يبقين من شبه * لذى شقاق ولا يبغين من حكم ﴾

لما بين كون الايات دائمة الى يوم القيامة بل الى مالا ينتهى شرع فى بيان كونها باقية على حكمها الاصلى بلا تبديل ولا تغيير فقال محكمات الخ وهى بالرفع خبر بعد خبر لايات اوصفة بعد صفة لها والمحكمات جمع محكم وهو فى اللغة بمعنى المتقن القوى الذى لايقبل الانهدام وفى اصطلاح الاصوليين ماظهر المراد منه ولم يحتمل النسخ والتغيير فعلى هذا يكون التشديد لضرورة الشعر فان قلت كيف يجوز حمل محكمات على الآيات لانه يستفاد منه ان جميع الآيات محكم مع ان الاصوليين صرحوا بان بعض القرآن محكم وبعضه مفسر وبعضه نص و بعضه ظاهر و بعضه خفى و بعضه مشكل و بعضه مجمل و بعضه متشابه قلت الحمل باعتبار معناه اللغوى لا الاصطلاحى على انه يجوز ان يكون فى ضمير محكمات استخدام بان يرجع الى الآيات و يراد منها بعضها فتأمل (ثم انه روى عن على رضى الله عنه انه عليه السلام قال انزل القرآن على عشرة اقسام بشيرا ونذيرا وناسخا ومنسوخا ومحكما ومتشابها وموعظة ومثلا وحلالا وحراما فمن استبشر ببشيره وانذر بنذيره وعمل بناسخه وآمن بمنسوخه واقتصر على محكمه ورد متشابهه الى عالمه واتعظ بعظته واعتبر بمثله واحل حلاله وحرم حرامه فاولئك من المؤمنين حقا لهم الدرجات العلى مع النبيين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا وهو وارثى ووارث الانبياء قبلى ولا يزال فى كنفه تعالى وحيثما تلا القرآن غشيته الرحمة ونزلت عليه السكينة و يحشر فى زمرتى و تحت لوائى)والفاء فى فما يبقين تفريعية اى لما كانت الآيات محكمات فما يبقين الخ و يبقين جمع مؤنث من الابقاء بمعنى الدوام ومن زائدة وشبه جمع شبهة ولذى ظرف مستقر صفة شبه والشقاق بمعنى الخلاف والمراد من اهل الخلاف من كان مخالفا لشرعنا ولا يبغين عطف على ما يبقين و يبغين بفتح الياء كما كان يبقين بضم الياء وهو من البغى بمعنى الطلب ومن زائدة والحكم بفتحتين بمعنى الحاكم اى القرآن لايحتاج الى حاكم آخر فوقه بخلاف الحديث فانه مستند الى الكتاب وكذا الاجماع والقياس فانهما محتاجان الى احدهما وقرئ حكم بكسر وفتح على انه جمع

حكمة فالمعنى ان القرآن لايحتاج الى حكم زائدة لوضوح قوانينها بل جميع الحكم والقواعد مأخوذة منه فلم يكن شئ يشتمل على مايشتمل عليه القرآن ثم ان هذا البيت فيه صنعة تلميح الى قوله تعالى (هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب) الآية وجناس كامل بين يبغين و يبغين كما لايخفى على اهل البديع

ما حوربت قط الا عاد من حرب ✻ اعدى الاعادى اليها ملقى السلم

لما بين فى البيت السابق ان الآيات قد قطعت شبهة المشتبهين مع ان الفصحاء والبلغاء كامرئ القيس وغيره قد عارضوا القرآن دفعه بقوله ما حوربت الخ ما نافية وحوربت ماض مجهول من المحاربة بمعنى المعارضة على سبيل الاستعارة بان شبه المعارضة بالمحاربة فى مدافعة الخصم ومضرته ولاستعداده ثم استعير المحاربة لمفهوم المعارضة ثم اشتق من المعارضة عورضت ومن المحاربة حوربت فذكر حوربت واريد عورضت والمراد من المعارضة للقرآن اتيان مثله فى البلاغة والفصاحة وقط ظرف زمان للماضى على سبيل الاستغراق ولايستعمل الا فى النفى والا للاستثناء والمستثنى منه محذوف اى فى حال من الاحوال الا فى حال عود الاعادى فعاد اما من العود بمعنى الرجوع و بمعنى صار وانتقل ومن حرب متعلق بعاد ومن لابتداء الغاية وحرب بفتحتين بمعنى الغضب والغيظ وقيل هو لغة فى الحرب فيكون بمعنى المحاربة وهى بمعنى المعارضة واعدى بالرفع تقديرا فاعل عاد وهو اسم تفضيل من العداوة والاعادى جمع اعداء وهى جمع عدو واضافة اعدى اليها للمبالغة فيكون اشارة الى انه لا معارض القرآن الا من كان فى شدة العداوة والبغضاء واليها متعلق بعاد والضمير راجع الى الآيات وفيه حذف مضاف اى الى حقيتها وملقى السلم بالنصب حال من فاعل عاد على تقدير كون عاد بمعنى رجع او بالنصب على الخبرية على تقدير كونه بمعنى صار وملقى اسم فاعل من القى بمعنى متلقيا ومقبلا اليها السلم اى السلامة فالمعنى انه ما عورضت تلك الآيات بشئ من كلام الفصحاء ولا طولب احد بمعارضتها من العرب العرباء الا ورجع من المحاربة و المعارضة لما فيها من الفصاحة والبلاغة اكبر المعاندين واقوى المعارضين حال كونه ملقيا متلقيا بالسلامة وكان بريئا من الملامة روى ان الوليد بن المغيرة كان بين قريش فى غاية الفصاحة فجاء الى النبى عليه السلام ذات يوم لقصد

المعارضة فى البلاغة فقال للنبى عليه السلام اقرأ على فقرأ عليه قوله تعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى) الآية فاستعاده فاعاده صلى الله عليه وسلم فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق ما يقول هذا بشر وسكت وقام من المجلس ولم يقل شيئا غير هذا وحكى عن يحيى بن حكيم انه رام شيئا من المعارضة للقرآن فنظر فى سورة الاخلاص ليأتى بمثلها او ينسج بزعمه على منوالها فاعترته روعة وهيبة من الله فتاب وعاد عن نيته وروى انهم اتوا السورة القارعة بنظيرة فى زعمهم وهى قولهم الفيل وما ادراك ما الفيل له ذنب قصير وخرطوم طويل ان ذلك من خلق الله لقليل ولقوله تعالى (ولكم فى القصاص حياة) قولهم القتل انفى للقتل ثم تفكروا ووجدوا فى قولهم نقائص كثيرة فبعد التفكر بهتوا وتحيروا وتسخروا تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا

ردت بلاغتها دعوى معارضها ✻ رد الغيور يد الجانى عن الحرم

لما بين كون الآيات تدفع المعارضة بل تعيد اليها اعداءها اراد ان يبين ما تدفع به الخصوم من ارباب البلاغة والعلوم فقال ردت بلاغتها الخ ردت بمعنى منعت ودفعت والبلاغة فى اللغة ما ينبئ عن الوصول والانتهاء وفى الاصطلاح البلاغة فى الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته وفى المتكلم ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ وضمير بلاغتها راجع الى الآيات فالمصدر مضاف الى فاعله ودعوى بالنصب مفعول ردت والمراد من الدعوى المقاومة باتيان مثله فالمعارض بمعنى المتصدى لاتيان مثله والضمير للآيات ورد بالنصب صفة مصدره محذوف اى ردا مثل رد الغيور والمراد تشبيه الرد بالرد وهو مضاف الى فاعله والغيور صيغة مبالغة من الغيرة بمعنى شديد الغيرة وهو صفة موصوفه محذوف اى رد الرجل الغيور عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله يغار ان المؤمن يغار وقد جاء ايضا فى الخبر ان الله غيور يحب الغيور والغيرة فى الاصل كراهية مشاركة الغير فى حق من الحقوق وغيرة الله منعه عبده من الاقدام على الفواحش وغيرة المؤمن هيجان وانزعاج فى قلبه يحمله على منع المحارم من الفواحش ومقدماتها ممن هو ساكن فى بيته و يد الجانى بالنصب مفعول رد والمراد من اليد التصرف بذكر السبب وارادة المسبب لان اليد سبب للتصرف وتصرف الجانى عام للفواحش كالزنا واللواطة ومقدماتهما

كالتقبيل واللمس والنظر والمراد من الجانى من يأتى الجناية لمحرم الغير وعن الحرم متعلق برد والحرم بفتحتين بمعنى محرم الرجل وقرئ بضم الحاء وفتح الراء على انه جمع حرمة وهى مايكون فى حريم الرجل وحاصل المعنى الايات ردت بلاغتها وفصاحتها دعوى معارضها ومقابلها مثل رد من وصف بكمال الغيرة ونهاية الحمية مديد الجانى وتصرف الخائن الباغى عن حول حريم حرمه وعن الوصول الى [illegible]ول حرمه ثم اعلم انه حكى ان ابن المقنع وكان افصح اهل وقته طلب المعارضة للقرآن ونظم كلاما وجعله منفصلا وسماه سوارا فمر يوما على مكتب يقرأ فيه صبى قوله تعالى (يا ارض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى) الآية فقال ان هذا لايعارض ابدا وماهو من كلام البشر ومن تفحص كتب الانام فى احاديثه عليه الصلاة والسلام وجد فيها كلاما كثيرا يناسب لهذا المقام

﴿ لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ فِى مَدَدٍ ❊ وَفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِى الْحُسْنِ وَالْقِيَمِ ﴾

لما بين كون الالفاظ القرآن فى اعلى طبقات البلاغة والفصاحة توهم ان قائلا قال هل كانت معانيه مناسبة لهذه الالفاظ الموصوفة بالبلاغة والمنعوتة بالفصاحة فقال لها معان الخ لها خبر مقدم ومعان مبتدأ مؤخر والتنوين للتكثير والتعظيم والمراد من المعانى المقاصد وماتضمن من الحقائق والفوائد وكموج البحر ظرف مستقر صفة معان والموج مصدر ماج البحر بمعنى اضطرب ويقال لكل فرقة ماء ارتفعت منه وهو ههنا كناية عن الكثرة وعدم النهاية وفى مدد متعلق بالكاف فى كموج والمدد بفتحتين بمعنى النصرة والعون فان كل موج فى البحر يمد موجا آخر وكذلك القرآن يفسر بعضه بعضا ويمد بعضه بعضا وفوق ظرف مرفوع المحل بالعطف على الكاف فيكون صفة بعد صفة لآيات والتقدير والآيات معان كانت اوثبتت فوق جوهره والجوهر قدمر غيرمرة والضمير للبحر وجوهر البحر مايستخرج منه من اللؤلؤ والمرجان وفى الحسن متعلق بالزيادة التى تضمنها لفظ فوق والقيم بكسر القاف وفتح الياء جمع قيمة وحاصل المعنى ان الآيات البينات لها معان كثيرة كموج البحر فى الازدياد وعدم النفاد واحكام حسنة فوق جواهر البحر من اللؤلؤ والمرجان فى الحسن والقيمة كما لايخفى على اهل العرفان لان الجواهر وان كانت فى صفة عالية يوجد لها قيمة ولو كانت غالية بخلاف الايات ومعانيها وعجائبها ومحاسنها ولذا قال بعض اهل الحال

لو ظهرت حقيقة معانيها لم تطق سطوات نورها السموات والارض ولذا قال الله تعالى (لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا) الآية لكن الله تعالى ستر انوار تلك الحقيقة بكسوة صورة الحروف لتطيقها القلوب والالسن فكما ان شرف الابدان انما يكون بشرف الارواح فكذلك شرف الحروف انما هو بشرف معانيها وروى عن رسول الله عليه السلام ان القرآن لايشبع منه العلماء قيل لكمال لذته ونهاية حلاوته ولما فيه من الاسرار العجيبة والبدائع الغريبة والاساليب المستحسنة والعجائب المستكملة

﴿ فَلَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى عَجَائِبُهَا ❊ وَلَا تُسَامُ عَلَى الْإِكْثَارِ بِالسَّأَمِ ﴾

لما توهم من تشبيه معانى الآيات بموج البحر كون معانيها متناهية اذ موج البحر متناه مع ان معانى الآيات غير متناهية بالاتفاق اراد دفعه بتفصيل ماقبله فقال فلا تعد ولا تحصى الخ تعد وتحصى كلاهما على صيغة المجهول فالاول من العد والثانى من الاحصاء والفرق بينهما ان الاول العد واحدا واحدا والثانى جملة جملة وعجائبها بالرفع جمع عجيبة وهو مايتعجب منه وكذلك العجاب بالتخفيف والتشديد والاعجوبة وضميرها راجع الى الآيات يعنى ان الآيات لاتعد عجائبها ولاتحصى غرائبها من العلوم الغريبة والاسرار العجيبة والدقائق اللطيفة فى كل حد وزمان وجميع وقت وآن وقوله ولاتسام دفع لتوهم مقدر وهو ان القرآن اذا كان مشتملا على معان كثيرة لاتعد ولاتحصى تترك لاعطائها الملالة لناظرها وتقرير الجواب ظاهر ولاتسام مضارع مجهول على صيغة التأنيث اى لاتترك لانه من سامت السائمة اذا تركت على حالها او بمعنى لايقاسى منها ولايتعب فالضمير على كلا المعنيين راجع الى الآيات وعلى الاكثار متعلق بتسام وعلى بمعنى مع كما فى قوله تعالى (ويطعمون الطعام على حبه) الآية والاكثار الاتيان بالكثير والالف واللام عوض عن المضاف اليه اى اكثارها وبالسأم الباء سببية متعلقة بلاتسام والسأم بفتحتين السآمة والملالة يعنى ان الآيات لكونها فى اعلى طبقات المعجزات لاتترك بالملالة من اكثارها بل كلما ازداد ازداد فرح قارئها وفى البيت تلميح الى قوله عليه السلام ان هذا القرآن لاتنقضى عجائبه ولايخلق من كثرة الترداد يعنى ان القرآن لاتنتهى غرائبه لجميع العلماء فى جميع الازمان قال تعالى (لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا) وقال تعالى (ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام

والبحر يمده من بعده سبعة ابحر مانفدت كلمات الله) قال بعض الحكماء لكل آية ستون الف فهم وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان هذا القرآن ذو شجون وفنون وظهور و بطون لاتنقضى عجائبه ولاتبلغ غايته و كذلك ان هذا القرآن لايمل قارئه ولايسأم من تكرار تلاوته واستماعه ولايذهب رونقه و بهجته كما فى كلام الخلائق بل كلما ازداد التكرار ازداد حسن ولاتتغير حروفه بتكرار التلاوة والتدريس من العلماء والاعراب والاعجام بل يرد الخطأ الى الصواب كما فى حديث الجامع الصغير اذا قرأ القارئ فاخطأ ولحن اوكان عجميا كتبه الملك كما نزل وفى معنى هذا البيت قول الشيخ ابى القاسم الشاطبى فى وصف القرآن ولله دره

وخير جليس لايمل حديثه ❊ وترداده يزداد فيه تجملا ❊

❊ قرت بها عين قاريها فقل له ❊ لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم ❊

لما بين فى الابيات السابقة فضائل الآيات اراد ان يبين بعضا من فواضلها الساريه الى الغير فقال قرت بها الخ قرت فعل ماض من القرة بمعنى البرودة يقال قرت عينه تقر بالفتح والكسر قيل هو كناية عند العرب عن الراحة لان بلادهم كانت حارة جدا فالراحة عندهم فى البرودة ولايخفى انه يكون على هذا فى اسناد قرت الى العين برودة جدا والظهر انه كناية عن السرور فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين للمحبوب وسخنة العين للمكروه ذكره القاضى وغيره من اهل التفسير فى قوله تعالى (وقرى عينا) ويجوز ان يكون قرت بمعنى ثبتت وصارت عينه ذات قرار اى مستقرة لاتميل الى الجوانب اطيب ماتنظر اليه والباء فى بها للسببية والضمير للآيات وفيه حذف مضاف اى بقراءتها او بنظرها والعين بالرفع فاعل قرت والمراد بها الباصرة على كلا المعنيين فى قرت ومن جعله بمعنى النفس على التقدير الثانى فقد وقع فى تكلف فوق التكلف ثم ان قرت فى معناه الاصلى اعنى المضى والمعنى كان قارئها مسرورا بسبب قراءتها ويحتمل ان يكون اخبار الفظا وانشاء معنى اى لتقر فتدبر وقاريها اسكن همزته لضرورة الشعر ثم ابدلت بالياء والضمير للآيات والفاء فى فقل للفصيحة وقلت على صيغة المتكلم اى اذا كان قارئها مسرورا بسبب قراءتها فوجب ان اقول له اى لقارئها على وجه الرغبة وعلى طريق الغبطة والله لقد ظفرت فاللام توطئة للقسم وظفرت

على صيغة الخطاب خطابا لقارئها وظفرت بمعنى وجدت الفوز والنجاة من كل المكاره والمفاسد ونلت جميع المطالب والمقاصد والباء فى بحبل الله متعلق باعتصم والحبل بمعنى الآيات والشرائع على سبيل المجاز والاستعارة بان شبه الآيات بالحبل القوى الممدود منه تعالى الى العباد فى الايصال الى المطلوب ثم استعير الحبل لمفهوم الآيات فذكر الحبل واريد الآيات واضافة الحبل الى لفظة الله قرينة هذه الاستعارة وقوله فاعتصم الفاء جواب شرط محذوف اعتصم امر حاضر من اعتصم والمراد من الاعتصام هنا هو العمل بموجبها بطريق الاستعارة فليتأمل وفى البيت تلميح الى قوله عليه الصلاة والسلام (انى قد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا ابدا كتاب الله تعالى وسنة رسوله) عليه الصلاة والسلام والى قوله عليه السلام وهو اى القرآن حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم الحديث والى قوله عليه الصلاة والسلام ان هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا مأدبته مااستطعتم ان هذا القرآن حبل الله المتين والنور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه الحديث وفى معنى هذا البيت قول الشيخ الشاطبى

❊ وقارئه المرضى قر مثاله ❊ كالاترج حاليه مريحا وموكلا ❊

❊ وبعد فحبل الله فينا كتابه ❊ فجاهد به وحبل العدى متحبلا ❊

❊ ان تتلها خيفة من حر نار لظى ❊ اطفأت نار لظى من وردها الشبم ❊

لما فرغ من بيان بعض فضائل الآيات وفواضلها اراد ان يبين ايضا بعضا من خواصها وجعلها داخلة فى سلك فواضلها فقال ان تتلها خيفة الخ ان شرطية وتتلها مضارع من تلا بمعنى قرأ على صيغة الخطاب خطاب لقارئها المقدم واصله تتلوها فسقط الواو للجزم والضمير راجع الى الآيات وخيفة بالنصب على انه مفعول له حصولى لتتلها والخيفة كالخوف بمعنى الخشية ومن متعلق بخيفة واضافة الحر الى النار لامية ولظى من اعلام جهنم او طبقة من طبقاتها وهى غير منصرفة للتأنيث والعلمية ومن قال يمكن ان يكون لظى فعلا وهو مع فاعله صفة نار فلم يشم رائحة من علم العروض مع مافيه من المخالفة للقواعد المشهورة بين العوام واهل الفيوض فان قلت لم خص لظى بالذكر دون سائرها قلت لكون حرارة لظى شديدة بالنسبة الى سائر الدركات كما ذكره بعض الشارحين تأمل واطفأت جزاء الشرط وهو ايضا على صيغة الخطاب ونار لظى بالنصب مفعول اطفأت فان قيل لم اتى

بالظاهر مقام الضمير لان الظاهر ان يقول اطفأت نارها قلت ائلا يلتبس في المرجع اوائلا يلزم التفكيك الضمائر ووقع في بعض النسخ حر لظى والاول انسب بالاطفاء ومن وردها كلمة من اجلية متعلقة باطفأت والورد بكسر الواو بمعنى الاشراف على الماء والمصدر هنا بمعنى المفعول اى المورود فالمراد منه الماء والضمير راجع الى الآيات وفيه استعارة بالكناية بان شبه الايات في الذهن بالماء في كونهما سببا الحيوة فاستعير الماء للايات في الذهن وذكر في الخارج المشبه وترك المشبه به ثم اثبت الورد الذى هو من ملائم مشبه به للمشبه فيكون تخييلية ويكون الشبم ترشيحا لهذه الاستعارة ويجوز ان يكون الورد بمعنى ورد القرأن وهو قراءة جزء من القرأن في كل يوم على سبيل الادمان ويؤيد هذا المعنى اضافته الى الضمير الراجع الى القرأن ووصف الورد بالشبم بفتح المعجمة وكسر الموحدة اى البارد يقوى المعنى الاول ولكل وجهة هو موليها لكن يكون الشبم على المعنى الثانى بمعنى الدافع للحرارة كما لايخفى وحاصل معنى البيت ان تقرأ الايات القرآنية والبينات الفرقانية خشية من حرارة النار وعذاب الملك الجبار اطفأت نارها ودفعت ضرها من اجل ملازمتك ورد القرأن الدافع حرارة النيران ثم اعلم ان الفقهاء قالوا الافضل في قرأة القرأن ان يقرأ من المصحف لاعن ظهر القلب لان في امساك المصحف عمل اليد وكذا في حمله وفي نظره عمل البصر ويعين على تأمل معانيه ولهذا كان اكثر الصحابة يقرؤن من المصحف وعن على رضى الله تعالى عنه ثلاث يزددن في الحفظ ويذهبن البلغم السواك والصوم وقراءة القرآن ويقال النظر الى العلماء والقرأن عبادة كالنظر الى الكعبة وقال عليه السلام اتلوه فان الله تعالى يؤجر على تلاوة كل حرف عشر حسنات الحديث وعن بعض الصالحين قال كنت ليلة في وقت السحر اقرأ سورة طه فلما ختمتها اخذتنى سنة فرأيت شيخا نزل من السماء بيده صحيفة فنشرها بين يدى فاذا فيها سورة طه واذا تحت كل كلمة عشر حسنات مثبتة الاكلمة واحدة فانى رأيت مكانها محوا ولم ار تحتها شيأ فقلت والله لقد قرأت هذه الكلمة ولاارى لها ثوابا ولاادرى حكمتها فقال الشيخ صدقت لقد قرأتها وكتبناها الا انا سمعنا مناديا ينادى من قبل العرش امحوها واسقطوا ثوابها فمحوناها قال فبكيت في منامى وقلت لم فعلتم ذلك قالوا مر رجل فرفعت بها صوتك لاجله فذهب به ثوابها انتهى وذكر في المقامات انه اتى رجل الى النبى عليه الصلاة والسلام فقال يارسول الله ماجزاء

من علم ولده القرآن فقال عليه السلام القرآن كلام الله لامنتهى له لااعلم حتى يأتينى جبريل فلما اتاه سأله عنه قال لااعلم حتى اسأل رب العزة فنزل جبريل فقال يامحمد ان الله يقرأك السلام ويقول جزاء من علم ولده القرأن انه يعطى بكل حرف مدينة في الجنة من الذهب فيها الف قصر في كل قصر الف بيت وجاء في حديث صحيح من قرأ القرأن وعمل بما فيه البس والداه تاجا يوم القيامة ضوؤه احسن من ضوء الشمس ولذا قال الشاطبى

※ هنيئا مريئا والداك عليهما ※ ملابس انوار من التاج والحلى ※

※ فما ظنكم بالنجل عند جزائه ※ اولئك اهل الله والصفوة الملا ※

※ كَأَنَّهَا الْحَوْضُ تَبْيَضُّ الْوُجُوهُ بِهِ ※ مِنَ الْعُصَاةِ وَقَدْ جَاؤُهُ كَالْحُمَمِ ※

لما فرغ من بيان بعض فضائلها وفواضلها وخواصها اراد ان يبين بعضا من شفاعتها يوم القيامة للعصاة فقال كأنها الحوض الخ كأن للتشبيه والضمير للآيات والحوض مجاز اى ماؤه والالف واللام في الحوض للعهد فالمراد الكوثر الذى وعده عليه السلام وهو ثابت باجماع اهل السنة والاحاديث الصحيحة كقوله عليه السلام حوضى مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه اشد بياضا من اللبن وريحه اطيب من المسك وكيزانه اكثر من نجوم السماء من شرب منه لايظمأ ابدا) وفي تقديم الحوض على الصراط ترجيح لقول من قال ان الحوض مقدم في الحشر على الصراط اذ فيه اختلاف قال القرطبى ذهب صاحب القوت وغيره الى ان الحوض بعد الصراط والصحيح انه قبله وكذا قال الغزالى ذهب بعض السلف الى ان الحوض يورد اليه بعد الصراط وهو غلط من قائله قال القرطبى المناسب لكون الناس يخرجون من قبورهم عطاشا تقديم الحوض وقيل هو اثنان في القيامة وفي الجنة وقيل وهو في الجنة لكن ينقل من الجنة الى العرصات ومن العرصات الى الجنة وقيل هو في ظهر ملك يسير الى اين سار النبى عليه الصلاة والسلام وقوله تبيض بيان لوجه الشبه يعنى ان الآيات مشبهة بالحوض في تبييض الوجه وجملة تبيض بالرفع صفة الحوض فان قلت كيف يجوز جعل جملة تبيض صفة للحوض مع انه لامطابقة بينهما في التعريف والتنكير اذ الجملة نكرة قلت قد حقق في محله ان الصفة ثنتان صفة خاصة للموصوف وصفة عامة له فالمطابقة انما تلزم في الثانى لا في الاول والصفة ههنا من قبيل الاول كما لايخفى والوجوه اما على حقيقتها واما المراد بها ذواتها على طريق المجاز اللغوى او الحذفى ويؤيد

الثانى بيانها بالعصاة وبه متعلق بتبيض والضمير للحوض ومن العصاة بيان للوجوه والعصاة جمع عاص كالغزاة جمع غاز والواو فى وقد جاؤه للحال وضمير الجمع راجع الى العصاة والمفعول راجع الى الحوض والكاف للتشبيه والحمم بضم الحاء وفتح الميم جمع حممة كتهمة وهى بمعنى الفحم والفرق بينها وبين الفحم ان الفحم يقال لما بقى بعد احتراق الحطب والحممة لما بقى بعد احتراق الفحم واما الحممة التى بكسر الحاء فهى بمعنى الماء الجار الذى يخرج من الارض يستشفى به المعلول والمرضى قال عليه السلام العالم كالحمة يجتنبها القرباء ويتقرب اليها البعداء وفى البيت اشارة الى مافى الخبر من ان بعض عصاة المؤمنين يدخلون النار ويحترقون فيها قدر ذنوبهم فيخرجون منها فيلقون فى نهر الحياة وفى رواية فيصب عليهم ماء الحياة فيذهب السواد عنهم ويظهر البياض وهذا من فضل ربنا الفياض وحاصل معنى البيت ان الآيات البينات تشفى للعصاة يوم العرصات كما يشفى حوض نبينا للعصاة الخارجين من النار بتبيض وجوههم قبيل الدخول الى دار القرار وفيه اشارة الى قوله عليه السلام القرآن شافع مشفع وماحل مصدق فان من جعله امامه اوصله الى الجنة ومن جعله خلف ظهره ساقه الى النار يعنى ان القرآن شافع يوم القيامة اصحاب الكبيرة والصغيرة ورافع لدرجات من يتلوه ويعمل به وشاك بليغ مصدق فى شكايته لمن يضيعه بعدم العمل وعدم القراءة والنسيان وعدم الترتيل وعن الزهرى من شهد عليه القرآن بالتقصير فهو فى النار فان قيل كيف يمكن شفاعة القرآن فى القيامة لانه ان اريد من القرآن الكلام النفسى فهو قائم به تعالى وكونه شافعا باذنه تعالى يقتضى المغايرة له وهو باطل وان اريد الكلام اللفظى فهو كالعرض فى عدم البقاء واوسلم فلا يمكن انقلابه جوهرا لامتناع انقلاب الحقائق قلنا اجيب عنه بانه تعالى يجعل القرآن اللفظى فى ذلك اليوم جسما فى صورة يراها الناس كالاعمال عند الميزان وانقلاب الحقائق ليس بباطل مطلقا بل الباطل منه انقلاب الواجب الى الممكن والممكن الى الواجب فليتأمل

﴿ وَكَالصِّرَاطِ وَكَالْمِيزَانِ مَعْدَلَةً ❋ فَالْقِسْطُ مِنْ غَيْرِهَا فِي النَّاسِ لَمْ يَقُمِ ﴾

لما بين فوائد الآيات وخواصها النافعة يوم العرصات توهم ان يسئل ويقال ألم يك للقرآن فوائد نافعة فى الدنيا كما كانت فى الآخرة فقال مجيبا ودافعاله

وكالصراط الخ الواو عاطفة وكالصراط معطوف على كانها يعنى ان القرآن العظيم مشبه بالصراط المستقيم فى كونه موصلا الى المطلوب والصراط جسر ممدود على متن جهنم يعبره الاولون والآخرون من المؤمنين والكفار والنبى عليه السلام قائم عليه قائلا يارب سلم سلم وهو ادق من الشعرة واحد من السيف والناس فى جوازه متفاوتون وروى انه يكون على بعض الناس ادق من الشعرة وعلى بعض مثل الوادى الواسع بل بعض يمر عليه ولا يعلمه وفى جعل الصراط مشبها به رد للمعتزلة حيث انكروا الصراط وقالوا بانه لا يمكن العبور على مثل ذلك فايجاده عبث ولو امكن ففيه تعذيب للمؤمنين والانبياء ورد بان العبور عليه ممكن والانبياء والمؤمنون يمرون عليه من غير تعب والميزان عبارة عما يعرف به مقادير الاعمال والعقل قاصر عن ادراك كيفيته قيل توزن كتب الاعمال وقيل تجعل الحسنات اجساما نورانية والسيئات ظلمانية وقيل يوزن العبد مع عمله مرة بالخير ومرة بالشر وقوله معدلة تمييز من الاضافة فى كالميزان لا فى كالصراط وهو مصدر ميمى او اسم آلة والمعنى ان الآيات تشبه الميزان من جهة كونه معدلة ففيه رد للمعتزلة ايضا لانهم انكروا الميزان وقالوا لافائدة له ولاغرض . يجوز ان يكون المراد من الصراط والميزان جنس الصراط والميزان فوجه الشبه بالصراط هو العصمة عن الوقوع فى المكروه والتوصل به الى المطلوب وبالميزان اقامة العدالة والتحاشى عن الظلم وقوله فالقسط تفريع على التشبيه الثانى اى اذا كان القرآن كالميزان فى العدالة فالقسط الخ والقسط من قسط يقسط كنصر ينصر بمعنى العدل واما القسط بمعنى الجور فمن قسط يقسط كجلس يجلس ولذا روى ان الحجاج دعا سعيد بن جبير فجاء اليه فقال الحجاج له كيف تعلمنى ياسعيد قال انك قاسط عادل فاستحسن اهل المجلس جواب سعيد فقال الحجاج لا لانه اراد بقوله انك قاسط معنى انك جائر وظالم كما فى قوله تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا واراد بقوله عادل عادل عن الحق ومنصرف عنه انتهى وقوله من غيرها ظرف مستقر صفة قسط والضمير للآيات وفى الناس متعلق بلم يقم قدم للضرورة او القسط اى العدل فيما بين الناس والناس اسم للبشر وهو اما من النسيان او من الانس ويؤيده قوله

❋ وما سمى الانسان الا لانسه ❋ ولا القلب الا انه يتقلب ❋

وانما خص الناس بالذكر لكون احتياجهم الى القرآن اكثر من الجان

اولشر افتهم منه ثم ان المراد من الناس المعهود اعنى امة نبينا عليه السلام دون سائر الامم بقرينة السباق والحاق ولم يقم بمعنى لم يدم ولم يتحقق وحاصل معنى البيت ان الآيات البينات كالصراط فى تمييز الحق من الظلمة و كالميزان من جهة العدالة ورفع الخصومات فاذا كان كذلك فطلب العدالة فى الدنيا بين الناس من غير هذا القرآن الذى كالمقياس لم يثبت ولم يدم بل الاجماع بين الخلق على غير ذلك لم يقم فقيام الدنيا واهلها انما هو بالعدالة والعدالة قائمة بالشريعة والشريعة انما قامت بالقرآن فلو لم تكن الآيات ثابتة لما كانت الدنيا قائمة ولما كانت الخصومات بين الخلائق دافعة

✻ لاتعجبن لحسود راح ينكرها ✻ تجاهلا وهو عين الحاذق الفهم ✻

لما توهم ان يورد فى هذا المقام سؤال من طرف بعض بان يقال لو كانت الآيات متصفة بهذه الصفات لما انكرها بلغاء قحطان ولا جحدها فصحاء عدنان اجاب عن هذا السؤال بجواب مطابق للواقع وقاطع لشبهة السائل ودافع فقال لاتعجبن الخ لاتعجبن نهى حاضر مؤكد بنون مخففة اى لايكن لك تعجب والحسود متعلق به والحسود على وزن الصبور يقال لرجل له حسد شديد والفرق بين الحسد والغبطة ان الاول يستعمل فى تمنى زوال نعمة الغير اوتمنى تحويل نعمة الغير الى نفسه والثانى يستعمل فى تمنى مثل نعمة الغير بلا تمنى زوالها عنه وراح بمعنى صار واسمه تحته راجع الى الحسود وجملة ينكرها خبره وضمير الفاعل فى ينكر راجع الى الحسود ايضا والمفعول راجع الى الآيات وتجاهلا بالنصب مفعول لينكر والتجاهل اظهار الجهل وليس له جهل فى الواقع لان الكفار كانوا يعرفون حقية الآيات من بلاغتها وفصاحتها واخبارها عن المغيبات كما يعرفون ابناءهم لكن يظهرون الجهل وينكرونها عنادا واستكبارا والواو فى وهو للحال والضمير راجع الى الحسود والعين ههنا بمعنى النفس والذات من بين معانيها واضافته الى الحاذق من قبيل شجر الاراك والحاذق بمعنى الماهر والفهم بالكسر صفة الحاذق وهو بمعنى كثير الفهم وشديد العقل وفائدة الاتيان بهذا القيد اعنى قوله وهو عين الخ قطع توهم كون انكاره من جهله لابل من عناده مع ان فى هذا القيد تعظيما للقرآن العظيم من جهة كون عدو الشئ عظيما يدل على عظم ذلك الشئ كما لايخفى على اهله

✻ قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ✻ وينكر الفم طعم الماء من سقم ✻

فلما كانت علة نهى التعجب من انكار الحسود خفية اراد ان يبينها بتمثيل المعقول بالمحسوس واتيان نظيره من المأنوس فقال قد تنكر العين ضوء الشمس الخ قد للتقليل وتنكر من الانكار والعين ههنا بمعنى الباصرة والضوء بمعنى النور وانما قال ضوء الشمس ولم يقل نورها لان الضياء اقوى واتم من النور فبين النور والضياء فرق اذ النور كيفية ظاهرة بنفسها مظهرة لغيرها والضياء اقوى منه ولذلك اضيف الى الشمس فى قوله تعالى (هو الذى جعل الشمس ضياء و القمر نورا) وقد يقال ينبغى ان يكون النور اقوى على الاطلاق لقوله تعالى (الله نور السموات والارض) الآية وانت خبير بان هذا انما يتم اذا لم يكن معنى النور فى الآية المنور وقد حمله اهل التفسير على ذلك وقد يفرق بينهما بان الضياء ضوء ذاتى والنور ضوء عارضى تأمل والشمس كوكب نهارى معنىٌ للعالم وقد سبق تفصيلها ومن رمد من منشئية متعلقة بتنكر والرمد بفتحتين وجع العين يقال رمدت العين من الباب الرابع اذا هاجت ثم ان فى هذا المصراع تشبيه الحسود المنكر للآيات المتجاهل لها بعين فيها رمد فى كونهما مشتملين على مايضر ولاينفع و يورث اصاحبه انكار شئ ظاهر وتشبيه الآيات بضوء الشمس فى الظهور وعدم الخفاء والاشتهار عند الصغار والكبار وتشبيه التجاهل بالرمد فى ايراث الاذى لصاحبه وايراث انكار امر باهر وظاهر ثم اعلم انه يمكن ان يرتب ههنا قياسا تعبيره هكذا الحسود مثل من فى عينه رمد والآيات مثل ضوء الشمس والتجاهل مثل الرمد وكل من كان مثل فى عينه رمد ينكر ما كان مثل ضوء الشمس بما هو مثل الرمد ينتج الحسود كان ينكر الآيات من التجاهل وقوله وينكر الواو عاطفة والجملة معطوفة على جملة تنكر الاولى والفم يقرأ بتشديد الميم للضرورة واصل فم فوه على وزن سوط فحذف الهاء تخفيفا لشبهها بحرف اللين فبقى الاسم على حرفين فلم يروا ايقاع الاعراب عليه لئلا تنقل اللفظة فابدلوا من الواو ميما فقالوا فم لان مخرجهما من الشفة والدليل على ان الاصل فى فم الواو قولهم تفوهت بكذا ورجل افوه وقولهم فى تصغيره فويه لان التصغير يرد الاشياء الى اصولها قوله طعم بالنصب مفعول ينكر والطعم بمعنى اللذة والماء اسم جنس يقع على القليل والكثير ومن منشئية متعلقة بينكر والسقم المرض ثم ان فى هذا المصراع ايضا تشبيه الحسود بفم فى صاحبه مرض فى كونه مشتملا على مايمنع عن الوصول الى ما هو الحق فى الواقع وتشبيه الآيات

بالماء اللذيذ فى كونه سببا لحيوة كل شئ وتشبيه التجاهل بالسقم فى كونه مورثا للاذى الى صاحبه وكونه مانعا من الوصول الى الحق وفيه ايضا يمكن ترتيب قياس كالاول فتأمل ولا تكن من الحاسدين فان الفضل بيد الله يوءتيه من يشاء

يا خير من يمم العافون ساحته ❊ سعيا وفوق متون الاينق الرسم

لما اشتغل بذكر معجزاته و بيان ماهو من اعظم آياته اعنى به الكتاب الذى هو البحر البسيط ❊ والقرآن الذى هو اليم المحيط ▪ و بعدما ذكر ذات المحبوب اشتقاق الى تكرار بيان من هو المطلوب فاتى به مخاطبا بيا الدالة على الحضور لتحصيل العلم له من بيان اوصافه التى هى كالشمس فى الظهور فقال ياخير من يمم الخ كلمة يا وضعت لنداء البعيد وقد ينادى بها القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما اجلالا له كما فى قول الداعى يا الله و يارب و هو اقرب اليه من حبل الوريد استصغارا لنفسه واستبعادا لها من محافل الزلفى واما تنبيها على غفلته وسوء فهمه و قد يقصد به التنبيه على ان ما يقصده امر خطير يعتنى بشأنه وما وقع ههنا اما من قبيل الاول او الثالث فتأمل و خير اسم تفضيل ومن من الفاظ العموم ويمم بمعنى قصد اى ياخير من قصد العافون جمع العافى بمعنى السائل اى السائلون والساحة بالنصب مفعول يمم وهو بمعنى حريم الدار والضمير راجع الى من والساحة من قبيل ذكر المحل وارادة الحال اذ شرف المكان بالمكين ولذا قال الشاعر

❊ وماحب الديار شغفن قلبى ❊ ولكن حب من سكن الديارا ❊

والمعنى ياخير من قصد السائلون ذاته ونفسه و سعيا بالنصب على انه حال من فاعل العافون فان قيل كيف يجوز كونه حالا منه مع انه لا مطابقة بين الحال وذيه لان الحال مفرد وذا الحال جمع قلنا كونه حالا باعتبار الافراد كذا قيل فتأمل و المصدر اعنى السعى ههنا بمعنى الفاعل اعنى ساعين والواو فى وفوق عاطفة وفوق ظرف متعلق بمحذوف معطوف على سعيا اى وكائنين فوق المتون والمتون جمع متن وهو بمعنى ظهر كما فى قوله

❊ وفرع يزين المتن اسود فاحم ❊ اثيث كقنو النخلة المتعثكل ▪

والاينق بتقديم الياء على النون مقلوب الانيق بتقديم النون اصله انوق جمع ناقة فقدمت الواو فصار اونق ثم قلبت ياء لمزيد الخفة والرسم بالجر صفة الاينق وهو بضمتين جمع الرسوم و هى الناقة التى توءثر فى الارض

من شدة الوطئ اوناقة تسير سريعا وعلى كلا التقديرين ففيه تجريد ثم اعلم ان هذا القول من الناظم الفاهم اعنى وفوق متون الخ تكملة للكلام الاول يعنى ان الكلام الاول يدل على كونه مقصودا للسائلين الجائين من قريب وهذا الكلام يدل على كونه مقصودا للسائلين الجائين من مكان سحيق ومطلوبا للراكبين على كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع دنيوية واخروية بمشاهدة النبى الشفيق ▪ وحاصل معنى البيت ياخير كل من يقصد اليه ارباب الحاجات والمطالب ❊ وافضل من ترجى الى ساحته الركائب ❊ وكونه خير من يقصد اليه ارباب الحاجات ❊ يدل على كونه قاضيا لحاجاتهم ومعطيا مقاصدهم

ومن هو الآية الكبرى لمعتبر ❊ ومن هو النعمة العظمى لمغتنم

ثم كرر النداء لزيادة اشتياقه الى ذاته الاعلى ❊ مع بيان اوصافه الاسنى ❊ والاشارة الى حكمة عروجه الى سدرة المنتهى فقال ومن هو الخ فالواو عاطفة ومن معطوفة على المنادى اعنى خير فالتقدير يا من هو الآية وهو ضمير فصل يفيد القصر والآية بمعنى العلامة التى يميز بها بين الحق والباطل والكبرى تأنيث الاكبر وتنوينها معتبر للتكثير اى لكل معتبر والمراد من المعتبر المستدل على انه الحق وعلى دينه الحق المميز بين الحق والباطل والواو عاطفة والنعمة عبارة عن المنفعة المفعولة على جهة الاحسان الى الغير وقيل النعمة على قسمين نعمة المنافع كصحة البدن والامن والعافية والتلذذ بالطاعم والمشارب والمناكح ونعمة دفع المضار من الامراض والبلايا والشدائد والفقر وفى كتب التصوف النعم ست الاولى نعمة النفس وهى الطاعات والاحسان والنفس فيهما تتقلب و الثانية نعمة القلب و هى اليقين والايمان وهو فيهما يتقلب والثالثة نعمة الروح وهى الخوف والرجاء وهو فيهما يتقلب والرابعة نعمة العقل وهو الحكمة والبيان وهو فيهما تتقلب والخامسة نعمة المعرفة وهى الذكر والقرآن وهى فيهما تتقلب والسادسة نعمة المحبة وهى الالفة والمواصلة والامن من الهجران وهى فيها تتقلب والنعمة ههنا بمعنى المنعم به لانه عليه السلام نعمة عظمى لكونه رحمة لسائر الخلق مع انه قد صدر عنه نعم كثيرة لا يحصى عدد انواعها اجمالا فضلا عن افرادها تفصيلا والعظمى تأنيث الاعظم ولمغتنم اما متعلق بالنعمة واما ظرف مستقر صفة للنعمة كما كان قوله لمعتبر صفة للآية والمغتنم على

صيغة اسم الفاعل من اخذ الخبر واغتنم به يعنى انه عليه السلام هو الآية الكبرى لكل من اخذ العبرة لانه اكمل الوجودات ونعمة عظمى لكل من علمه غنيمة وخير لانه رحمة وهداية تامة ورافع للظلمات ودافع للشبهات ومقصود للسائلين فى الارض والسموات ثم اعلم ان هذا البيت والبيت الذى قبله اشارة الى حكمة معراج رسول الله عليه السلام وهو انه اختصم الملأ الاعلى وناظروا فى اربع مسائل مقدار الف سنة ولم يوفقوا لحلها فلما بعث نبينا عليه السلام علموا ان هذه المشكلات انما تحل منه عليه السلام فتضرعوا الى الله تعالى لاجله فدعا الله حبيبه الى مقام قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى ومن جملته قوله عليه السلام رأيت ربى باحسن صورة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى فقلت انت تعلم فوضع يده بين كتفى فوجدت بردها بين ثديى ثم قال يا محمد هل تدرى فيم يختصم الملأ الاعلى فقلت نعم فى الكفارات والمنجيات والدرجات والمهلكات قال صدقت يا محمد ثم قال يا ملائكتى وجدتم حلال المشكلات فاسألوا اشكالكم فقال اسرافيل ما الكفارات فقال عليه السلام اسباغ الوضوء فى المكاره والمشى بالاقدام الى الجماعة وانتظار الصلاة بعد الصلاة ثم قال ميكائيل وما الدرجات فقال اطعام الطعام وافشاء السلام والصلاة بالليل والناس نيام ثم قال جبرائيل وما المنجيات فقال خشية الله فى السر والعلانية والقصد فى الفقر والغنى والعدل فى الغضب والرضى ثم قال عزرائيل ما المهلكات فقال شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه فقال الله تعالى فى كل ذلك صدق كذا ذكره فى البريقة شرح الطريقة

سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلًا اِلَى حَرَمٍ ✿ كَمَا سَرَى الْبَدْرُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ

فلما ذكر النداء فى البيتين السابقين مع الاشارة الى تمام اوصافه و اظهار كمال اخلاقه اجمالا اراد ان يأتى بجواب النداء مشيرا ايضا الى اعجب امر آخر من الامور التى بين الله و بين افضل خلقه واخص عباده ولم يعط ذلك الامر لاحد من الانسان بل هو مخصوص بنبى آخر الزمان فقال سريت من حرم الخ سريت على صيغة الخطاب له عليه السلام وسرى لغة فى اسرى بمعنى سار فى الليل وكان الاسراء الذى حصل له قبل الهجرة بجسده وروحه معا و يدل عليه قوله تعالى (سبحان الذى اسرى بعبده) الآية لان العبد اسم للروح والجسد جميعا قال الشيخ الاكبر ان معراجه عليه السلام اربع وثلثون مرة واحدة بالجسد والباقى بروحه رؤيا رآها قبل النبوة ومن حرم متعلق بسريت والحرم بفتحتين حرم الكعبة شرفها الله تعالى قال فى الدرر اعلم

ان البيت لما كان معظما مشرفا جعل له حصن وهو مكة وحمى وهو الحرم وللحرم حرم وهو المواقيت حتى لا يجوز لمن وصل اليها ان يجاوزها الا بالاحرام انتهى وفى تفسير روح البيان ان حدود الحرم من جهة المدينة على ثلاثة اميال ومن طريق العراق على سبعة اميال ومن طريق الجعرانة على تسعة اميال ومن طريق الطائف على سبعة اميال ومن طريق جدة على عشرة اميال ثم ان الحرم عام لكل ما كان فى داخل الحرم فلا ينافى ما قال الرواة من انه عليه السلام كان اسراؤه من بيت ام هانى بنت ابى طالب لان بيتها كان فى الحرم وليلا نصب على الظرفية لسريت وهو تأكيد لاسرى والسرى بالضم فى لسان العرب لا يكون الا بالليل حتى لا يتخيل انه كان نهارا ولافادة تقليل مدة الاسراء اى فى جزء من الليل لما فى التنكير من الدلالة على البعضية وهى على ما قيل ليلة سبع وعشرين من رجب ليلة الاثنين فان قلت فلم جعل المعراج ليلا ولم يجعل نهارا حتى لا يكون فيه اشكال وطعن وما الحكمة فى اختيار الليل قلت اجيب عنه بانه انما جعل ليلا تمكينا للتخصيص بمقام المحبة لانه تعالى اتخذه عليه السلام حبيبا وخليلا والليل اخص زمان بجميع المحبين فيه والراحة فى الخلوة محققة بالليل وقال بعض الفضلاء لعل تخصيصه بالليل (ليزداد الذين آمنوا ايمانا بالغيب وليفتتن الذين كفروا زيادة على فتنتهم) اذ الليل اخفى حالا من النهار وقيل حكمته انه افتخر النهار على الليل بالشمس فقيل له لا تفتخر ان كان شمس الدنيا تشرق فيك فسيعرج شمس الوجود فى الليل الى السماء وقال بعض اهل المعارف حكمته انه لما محا الله آية الليل وجعل آية النهار مبصرة كان الليل محزونا ومنكسرا فكان الاسراء بمحمد عليه الصلاة والسلام فى الليل للعدالة وسيظهر جواب آخر من تشبيه الناظم الفاهم فتبصر والى حرم متعلق بسريت و المراد من هذا الحرم المسجد الاقصى والتعبير عنه بالحرم انما هو للمشاكلة وقيل اطلاق الحرم عليه لكونه محترما وقوله كما سرى البدر الخ تشبيه لسيره عليه الصلاة والسلام وقطع المنازل والانارة والمشبه به قاصر وفى داج من الظلم متعلق بسرى وداج صفة موصوفه محذوف اى فى ليل داج والداجى من الدجى بمعنى الظلمة فداج بمعنى راكد ظلامه ومن الظلم متعلق بداج بتضمينه معنى راكد والظلم بالضم فالفتح جمع ظلمة والمراد اظهار مبالغة الظلمة وما قيل من ان قوله من الظلم ظرف مستقر صفة داج والمراد من الظلم الليل مجازا فبعيد كل البعد ثم اعلم انهم قالوا ان انكار معراجه عليه السلام من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وكونه بروحه وجسده كفر بلا نزاع واما من المسجد الاقصى

الى السموات العلى ففيه اختلافات فنكره لايكون كافرا

وبت ترقى الى ان نلت منزلة ❊ من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم

فلما كان مظنة ان يتوهم من البيت السابق ان سيره انما كان من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى دون غيره من المنازل العلى اراد دفعه فقال وبت ترقى الخ فبت ماض مخاطب من البيتوتة وفى نسخة ظلت بفتح الظاء وكسرها فعلى كلا النسختين بمعنى صرت وترقى بمعنى تصعد والى متعلق بترقى ونلت بكسر النون ماض مخاطب من النيل بمعنى الوصول ومنزلة بالنصب مفعول نلت ومن بيان المنزلة وقاب قوسين بالنصب محكى على انه محكى عما وقع فى القرآن والقاب بمعنى المقدار والقوسين من قسى العرب وهو عبارة عن كمال القرب مع رعاية الادب وذكر القوس لكونه مذكورا فى القرآن والقرآن بلغة العرب وانما كان قاب قوسين عبارة عن كمال قوس القرب لان عادة العرب ان الاميرين او الخليفتين اذا ارادا الصلح وعقد العهد والصفاء خرجا بقوسيهما فالصق كل واحد منهما طرف قوسه بطرف قوس صاحبه والمعنى فقد وصلت الى منزلة هى كمال القرب ومعنى قرب الرسول عليه السلام الى الله ودنوه منه انما هو قرب المكانة لاقرب المكان ولاقرب الزمان بل هو قرب اللطف والمحبة بلا مشابهة الى قرب الانسان ولم تدرك مضارع مجهول مؤنث والجملة صفة منزلة لم يدرك تلك المنزلة احد من الانسان ولا ملائكة الرحمن بل لم ترم وهو ايضا على صيغة المجهول من الروم بمعنى الطلب اى فقد وصلت الى منزلة لم يطلب تلك المنزلة احد غيرك لانه ممتنع فى حق غيرك فلاوجه لطلب ماهو ممتنع وفى البيت اشارة الى ماورد فى الحديث من انه عليه السلام قال عرج بى جبرائيل الى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين اوادنى فاوحى اليه ربه ما اوحى قال العلامة المرزوقى (انه عليه السلام لما قرب الى ربه وكان قاب قوسين قال اللهم انت ماتفعل بامتى قال الله تعالى انزل عليهم الرحمة وابدل سيئاتهم حسنات ومن دعانى منهم لبيته ومن سألنى اعطيته ومن توكل على كفيته وفى الدنيا استر على العصاة وفى الآخرة اشفعك فيهم ولولا ان الحبيب يحب معاتبة حبيبه لما حاسبت امتك) ثم اعلم ان خاصية هذا البيت انه اذا كان احد معقودا فاراد الفتح فليأخذ ثلاث بيضات وليطبخها فى ماء ثم لينزع قشرها ثم ليكتب المصراع الاول من هذا البيت بالحروف المهملة على اثنين

من تلك البيضات بجعل حروف هذا المصراع منقسمة بينهما والمصراع الثانى على ثالثتهما فليؤكل الثالثة المرأة وليؤكل البيضتين الاولين زوجها فان عقده ينفتح باذن الله تعالى قال الاستاذ طول الله بقاءه وقد جربناه ووجدناه صادقا

وقدمتك جميع الانبياء بها ❊ والرسل تقديم مخدوم على خدم

فلما دفع شبهة المشتبهين اراد ان يبين بعض ما وقع فى ذلك السير من الفضيلة له عليه السلام والخير فقال وقدمتك جميع الانبياء الخ قدمتك فعل ماض من قدم وهو قد يكون متعديا وقد يكون لازما وههنا من الاول اى جعلك جميع الانبياء امامهم واقتدوا بك وصيروك امامهم وجميع بالرفع فاعل قدمتك وتأنيث فعله باعتبار الاضافة يعنى ان الجميع مضاف الى الانبياء والانبياء جمع وكل جمع مؤنث فالجمع قد اكتسب التأنيث بالاضافة كما فى قولهم قطعت بعض اصابعه وكقراءة تلتقطه بعض السيارة وكقول الشاعر ❊ وما حب الديار شغفن قلبى ❊ والنبى اعم من الرسول والباء فى بها بمعنى فى متعلق بقدمت والضمير راجع الى بيت المقدس بقرينة المقام ويكون الخدم الثانى عبارة عنه وقوله والرسل بالجر عطف على الانبياء والرسل بضم الراء والسين جمع رسول لكن يقرأ فى البيت بالسكون لضرورة الوزن وقولهم تقديم مخدوم صفة موصوفه محذوف بتقدير الجار اى تقديما مثل تقديم المخدوم والمصدر مضاف الى مفعوله وعلى خدم متعلق بالتقديم والخدم بفتحتين بمعنى الخادم والمراد من المخدوم فى هذا المقام رسول الله عليه الصلاة والسلام ومن الخادم سائر الانبياء عليهم السلام والبيت اشارة الى ماوقع فى ليلة المعراج من كونه عليه السلام اماما للانبياء فى المسجد الاقصى وصلاته معهم اذ روى انه لما اتى صلى الله عليه وسلم بيت المقدس نزل عن البراق فربطه فى الحلقة التى كانت الانبياء تربطه فيها فدخل المسجد فاذا المسجد مملوء بالانبياء فاقيمت الصلاة قال عليه الصلاة والسلام فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا فأخذ بيدى جبرائيل فقدمنى فصليت بهم ثم خرجت من المسجد فجاء جبرائيل عليه السلام باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة الحديث ثم اختلف هل كانت تلك الصلاة قبل عروجه عليه السلام الى السماء او بعده والمستفاد من هذا البيت كونها قبل العروج كما لايخفى وقال القاضى عياض يحتمل ان يكون

صلى بهم ببيت المقدس قبل العروج و بعده فان فى الحديث مايدل على ذلك ولامانع منه انتهى ثم انهم اختلفوا فى هذه الصلاة هل هى فرض اونفل فعلى رواية انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى بهم قبل العروج تكون نفلا وعلى رواية انه صلى بهم بعده تكون فرضا اعنى الصبح كذا فى المواهب

وَانْتَ تَخْتَرِقُ السبعَ الطِباقَ بِهِمِ ■ فِي مَوْكِبٍ كُنْتَ فيهِ صاحِبَ العَلَمِ

لمابين ماوقع فى المسجد الاقصى ممايدل على كمال مرتبته العليا اراد ان يبين ايضا بعض ماوقع له بعده من الامور العجيبة والاسرار الغريبة فى السموات العلى ومافوقها من العرش وسدرة المنتهى فقال وانت تخترق السبع الخ الواو للعطف اوللحال وتخترق من اخترق الطريق اذاقطعه ومربه اى وانت تمر وتقطع وفى اتيان صيغة المضارع مع ان الظاهر صيغة الماضى استحضار الحال الماضية وفى اتيان لفظ تخترق دون غيره رد للفلاسفة القائلين بان الافلاك اجرام صلبة غيرقابلة للخرق والالتيام لانهما لوكانت قابلة لهما لكانت اجزاؤها قابلة للتفرق فيلزم ان تكون الجهات محدودة قبلها اذالتفرق لايكون الابالحركة المستقيمة والجواب ان الاجسام متماثلة الحقائق تقبل الخرق والالتيام فعلى تقدير تسليمه انمايتم فى المحدود دون ماعداه والسبع بالنصب مفعول تخترق لكنه صفة موصوفه محذوف اى السموات السبع كما فى قوله فان خفتم ان لاتعدلوا فواحدة اى فزوجة واحدة و الطباق صفة بعد صفة للسموات المحذوفة وهو اما مصدر من طابق فحينئذ له ثلاثة اوجه اولها بمعنى مطابقة بعضها بعضا من طابق النعل وهذا وصف بالمصدر وثانيها ان يكون التقدير ذات الطبق و ثالثها ان يكون من قبيل قوله فانما هى اقبال وادبار واما جمع فيكون جمع طباق كجبل وجبال وقيل جمع طبقة و بهم حال من فاعل تخترق والباء للملابسة اى مارا بهم و الضمير للانبياء والرسل فيكون اشارة الى ماروى انه عليه السلام حيث قال جاءنى جبرائيل فعرج بى الى السماء فلماجئت الى سماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء افتح الباب قال من هذا قال جبريل قال هل معك احد قال معى محمد قال ءارسل اليه قال نعم فلما فتح صعدناها فاذا رجل قاعد وعلى يمينه وجوه بيض وعلى يساره وجوه سود اذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل يساره بكى فسلمت عليه فقال مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح قلت لجبريل من هذا قال هذا آدم ابيك وهذه الوجوه البيض التى

عن يمينه وهم ارواح اصحاب اليمين اهل الجنة والتى سود الوجوه فى شماله وهم ارواح اصحاب الشمال اهل النار من اولاده ثم عرج بى الى السماء الثانية فقال لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قال الاول ففتح فصعدناها فاذا فيها يحيى وعيسى عليهما السلام ثم الى السماء الثالثة فاذا فيها يوسف عليه الصلاة والسلام ثم الى السماء الرابعة فاذا فيها ادريس ثم الى السماء الخامسة فاذا فيها هرون ثم الى السماء السادسة فاذا فيها موسى ثم الى السماء السابعة فاذا فيها ابراهيم عليهم السلام ثم عرج بى حتى ظهرت لمستوى العرش اسمع فيه صريف الاقلام ففرض الله على امتى خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى مررت على موسى فقال مافرض الله على امتك قلت خمسين صلاة قال فارجع الى ربك فاسئل التخفيف فان امتك لاتطيق ذلك فرجعت فوضع عشرها ثم رجعت الى موسى فقلت وضع عشرها فقال ارجع الى ربك فان امتك لاتطيق فرجعت فوضع عشرها ثم رجعت الى موسى فقال ارجع الى ربك فان امتك لاتطيق فرجعت فقال تعالى هن خمس لايبدل القول لدى فرجعت الى موسى فقال ارجع الى ربك فقلت استحييت من ربى الحديث و يجوز ان يكون الباء فى بهم بمعنى مع اى مصاحبا معهم فيكون اشارة الى ماوقع فى بعض الروايات من انه عليه السلام لما صلى فى المسجد الاقصى مع الانبياء صعدوامعه الى السموات العلى وهذا يناسب لسباق البيت ولحاقه كما لايخفى وقوله فى موكب حال بعد حال اى كائنا فيهم والموكب جماعة الفرسان والمراد به ههنا جماعة الملائكة على الاحتمال الاول فى بهم بناء على ماروى انه عليه السلام صعد بملائكة عن يمينه وملائكة عن شماله وجماعة ارواح الانبياء على الاحتمال الثانى فيه وكنت بصيغة الخطاب وهو مع خبره صفة موكب والضمير فى فيه لموكب والعلم ههنا اما بمعنى اللواء فيكون كونه عليه السلام صاحب العلم فيهم كناية عن كونه رئيسهم لان صاحب العلم فى القوم يكون رئيسهم او بمعنى الجبل فيكون العلم استعارة بمعنى المرتبة كما لايخفى تعبير استعارته فيكون المعنى فى موكب كنت فيه صاحب المرتبة العالية التى لامرتبة فوقها

حَتّى اِذا لَمْ تَدَعْ شَأْوًا لِمُسْتَبِقٍ ■ مِنَ الدُنُوِّ وَلا مَرْقًى لِمُسْتَنِمِ

فلمادل البيت الاول على انه عليه الصلاة والسلام صعد السموات مع الملائكة وتوهم منه انهم عليهم السلام لم يفارقوه حتى وصلوا الى قاب قوسين اراد ان يدفعه بتخصيص ذلك المقام بنبينا عليه السلام فقال حتى اذا لم تدع الخ حتى غاية لقوله تخترق واذا للظرفية المحضة فلا تقتضى الجواب او للشرط فجوابه

محذوف اوقوله خفضت اولم تدع بمعنى لم تترك والشأو بمعنى الغاية اى لم تترك منتهى والمستبق اما متعلق بلم تدع وظرف مستقر على انه صفة شأوا والمستبق على صيغة اسم الفاعل بمعنى طلب السبق وتنوينه للتكثير اى لكل مستبق سواء كان نبيا اوملكا ومن الدنو اما متعلق بلم تدع اوصفة شأو والمراد من الدنو الدنو الى الله ومن الله والمراد من دنوه تعالى نهاية القرب ولطف المحل وايضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة اذلادنو للحق تعالى ولابعد له ولامرقى عطف على شأوا وتكرير النفى للتأكيد والمرقى بفتح الميم وسكون الراء بمعنى المصعد والمستنم كالمستبق فى التركيب وهو على صيغة اسم الفاعل من استنم بمعنى المرتفع والمراد من المستنم هوجبريل الامين لانه مرتفع ومطمئن اى متمكن لانه ذوقوة عندذى العرش مكين ففيه اشارة الى ماروى ان جبرائيل عليه الصلاة والسلام لماصعد به عليه السلام حتى انتهى الى سدرة المنتهى وهى شجرة اوراقها مثل آذان الفيلة فى اصلها نهران ظاهران ونهران باطنان سأل رسول الله جبريل عن هذا فقال له جبريل اما الباطنان ففى الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات فبقى جبريل فى ذلك المقام وقال لودنوت انملة لاحترقت ولذا قال تعالى ومامنا الاله مقام معلوم وكونه باقيا فى سدرة المنتهى لكون علم العالمين منتهيا اليها غير متجاوز عنها فالتجاوز عنها خاص بالنبى الجليل غيرلائق بمن عداه من الملائكة

* خَفَضْتَ كلَّ مقامٍ بِالإضافةِ اذ * نُودِيتَ بالرفعِ مِثْلَ المفرَدِ العلَمِ *

لما كان مضمون البيت السابق محل شبهة اراد ان يدفعها بتأكيد ذلك المضمون وتقرير ترقيه عليه الصلاة والسلام الى مرتبة لامرتبة فوقها فقال خفضت الخ خفضت اما بدل من قوله لم تدع اوجواب لاذا والخفض حط رتبة وجعل شئ تحت شئ ومنه الخفض فى الاعراب والمعنى جعلت فى الاسفل وتركت فيه وكل مقام بالنصب مفعول خفضت والمقام بفتح الميم اسم مكان بمعنى محل القيام اى كل مقام من مقامات الانبياء فان قلت ما الفرق بين المقام بفتح الميم والمقام بضم الميم قلت الفرق بينهما مختلف فيه قال بعضهم اذاقرئ من الثلاثى يقرأ بالفتح نحوقام زيد مقام عمرو واذا قرئ من المزيد يقرأ بالضم نحو اقيم فلان مقام عمرو ورده المولى ابو السعود حين سأل سائل بقوله

* ياوحيد الدهر ياشيخ الانام * افتنا فرق المقام والمقام *

فقال الفرق بينهما انه اذا قيل اقيم فلان اوقام فلان مقام فلان نظر الى فلان الثانى ان كان المقام له يقال مقام بفتح الميم سواء قرئ الفعل اقام اوقام وان كان لغير فلان الثانى فى نفس الامر يقال مقام بضم الميم سواء قرئ الفعل اقيم اوقام كالباء من حروف القسم لانها اصل فى القسم والواو بدل منها والتاء بدل من الواو فاذا قيل التاء اقيم مقام الواو يقال المقام بالضم لان المقام ليس للواو بل للباء فاذا قيل الواو اقيم مقام الباء يقال المقام بفتح الميم لان المقام للباء فى نفس الامر لانها اصل فى القسم وماوقع فى هذا المقام بفتح الميم كما لايخفى على ذوى فهم قويم وبالاضافة متعلق بخفضت والمراد من الإضافة ههنا معناها اللغوى اعنى النسبة والمعنى بنسبتك الى مقامك لان مقامك ارفع من مقامات جميع الانبياء والملائكة ويقول هذا الفقير يحتمل ان يكون مراده من الاضافة الاضافة التى وقعت فى سورة الاسراء اى فى قوله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده حيث اضيف العبد الى نفسه المراد به رسولنا الذى له كمال فى العبودية لاكمال فوقه الى المعبود الذى لامعبود فوقه فيكون اشارة الى كون المعراج بجسده وروحه عليه السلام لان العبد انما يطلق عليهما معا كما سبق واذ ظرف لقوله خفضت اعلم انهم قالوا ان كلمة اذ تستعمل على اربعة اوجه الاول ان يكون اسما للزمان الماضى فحينئذ قد يكون ظرفا نحو فقد نصره الله اذ اخرجه الذين الاية وقد يكون بدلا من المفعول نحو واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت وقد يكون مفعولا به نحو واذكروا اذ انتم قليل وقد يكون مضافا اليه لاسم زمان نحو يومئذ والثانى اسما للزمان المستقبل نحو يومئذ تحدث اخبارها والثالث ان يكون للمفاجاة نحو خرجت اذ زيد قائم لكن هذا قليل الرابع ان يكون للتعليل نحو ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم وماوقع فى هذا المقام من اول الاول ومن جعله للتعليل فلم يأت بشئ يشفى العليل ونوديت فعل ماض مجهول على صيغة الخطاب من النداء بمعنى طلب الاقبال والمنادى هو الله تعالى حيث روى انه تعالى قال له عليه الصلاة والسلام فى تلك الليلة ادن يامحمد ادن يامحمد وقوله بالرفع ملتبسا برفع الله تعالى اياك فالمراد بالرفع معناه اللغوى اعنى الارتفاع لاالنحوى ومثل بالنصب صفة مصدر محذوف منصوب على المفعول المطلق والمفرد بمعنى المنفرد الواحد فى قومه والعلم بفتحتين بمعنى العالى والتشبيه فى الارتفاع والامتياز عن سائر جنسه وحاصل معنى البيت جعلت وتركت فى الاسفل كل مقامات الانبياء ومراتب الاصفياء ببركة اضافتك الى الرب الكريم وشرافة

نسبتك الى الخالق العظيم حين طلب الله تعالى اقبالك بفضله وعنايته مميزا اياك عن سائر الناس مثل مايطلب المميز فيما بين الانام بنحو يا هذا الرجل بالتعظيم والاكرام ثم اعلم ان فى هذا البيت من صنائع البديع صنعة مراعاة النظير وهى جمع امر ومايناسبه لابالتضاد حيث جمع بين الخفض والاضافة و بين النداء والرفع والمفرد العلم وصنعة الطباق وهو الجمع بين المعنيين المتقابلين فى الجملة يعنى بين الخفض والرفع كما لايخفى على اهل الصنع والصنائع والله الحافظ من الموانع

❊ كَيْمَا تَفُوزَ بِوَصْلٍ اَيِّ مُسْتَتِرٍ ❊ عَنِ الْعُيُونِ وَسِرٍّ اَيِّ مُكْتَتِمِ ❊

فلما ذكر سيره ومعراجه عليه السلام من الارض الى السموات العلى بالاكرام وكانت علته الغائية خفية بين اولى الاوهام اراد ان يبينها باختصار فى الكلام فقال كيما تفوز الخ فكى حرف جر بمعنى اللام للتعليل وما زائدة وتفوز منصوب بان مقدرة بعد كى اومنصوب بكى فيكون كى بمعنى ان واللام مقدرة قبلها وتفوز من الفوز بمعنى الظفر و بوصل متعلق بتفوز والمراد من الوصل الوصلة الى الله تعالى واى مستتر صفة لمحذوف اى بوصل مستتر اى مستتر بمعنى كامل الاستتار وعن العيون متعلق بمستتر العيون جمع عين بمعنى الباصرة والمراد جميع عيون الناس حتى عن اعين الملائكة والانبياء وقوله وسر بالجر معطوف على بوصل واى مكتتم كاى مستتر بمعنى كامل فى الاكتتام ثم اعلم ان فى قوله بوصل اشارة الى رؤيته عليه السلام ربه والمناجاة له وقد اختلف القوم فى انه عليه السلام رأى الله تعالى فى ليلة الاسراء بقلبه او بعين رأسه فقال بعضهم جعل بصره فى فؤاده فرأى بفؤاده فيكون معنى قوله تعالى (ما كذب الفؤاد مارأى) على هذا ماكذب الفؤاد مارأى به الفؤاد وقال بعضهم رأى بعينه لقوله عليه السلام ان الله اعطى موسى الكلام واعطانى الرؤية وقوله عليه السلام رأيت ربى فى احسن صورة اى صفة قال فى الكواشى هذا لاحجة فيه لانه يجوز انه اراد الرؤية بالقلب بان زاده معرفة على غيره وقال الحق فى روح البيان يقول الفقير ايراد الرؤية فى مقابلة الكلام يدل على رؤية العين لان موسى سألها فمنع منها فاقتضى ان يفضل نبينا عليه السلام بما منع منه وهو الرؤية البصرية ولاشك ان الرؤية القلبية يشترك فيها جميع الانبياء حتى الاولياء وقد صح ان موسى عليه السلام رأى ربه بعين قلبه حين خر فى الطور مغشيا عليه وحمله على

زيادة المعرفة لايجدى نفعا انتهى وقال بعض الفضلاء ذكر الله تعالى فى الاية رؤية فؤاده عليه الصلاة والسلام ولم يذكر رؤية العين لان رؤية العين سر بينه و بين حبيبه والى هذا اشار الناظم بقوله وسر اى مكتتم والحاصل انا نذهب الى صحة رؤيته بعينه و بقلبه لحديث رواه مسلم فى صحيحه رأيت ربى بعينى و بقلبى ولكنا عاجزون عن درك كيفيتها وفى قوله سر اى مكتتم اشارة الى اسرار لاتنكشف لاحد غير محمد عليه الصلاة والسلام على مايدل عليه قوله تعالى (فاوحى الى عبده ما اوحى) قال بعض الفضلاء ستر الله تعالى بعض ما اوحى الى عبده عليه السلام عن الخلق لئلا يطلع عليه غيره لان ذلك من خواص محبته ومعرفته وعلو درجاته اذ بين الاحباب يجرى من الاسرار مالايطلع عليه غيرهم من الاجانب والاغيار انتهى قال الشاعر

❊ لايكتم السر الاكل ذى خطر ❊ والسر عند كرام الناس مكتوم ❊
❊ والسر عندى فى بيت له غلق ❊ قدضاع مفتاحه والباب مختوم ❊

وقال آخر ❊ بين المحبين سر ليس يفشيه ❊ قول ولاقلم للخلق يحكيه ❊
❊ سر يمازجه انس يقابله ❊ نور تحير فى بحر من التيه ❊

وقال بعض اهل الحال لو بين كلمة من تلك الاسرار لجميع الاولين والآخرين لما تواجيعا من ثقل ذلك الوارد الذى ورد من الحق على قلب عبده وتحمل ذلك المصطفى عليه الصلاة والسلام بقوة ربانية ملكوتية لاهوتية البسه الله اياها ولولا ذلك لم يحتمل ذرة منها لانها انباء عجيبة واسرار ازلية اوظهرت كلمة منها لتعطلت الاحكام ولفنيت الارواح والاجسام واندرست الرسوم واضمحلت العقول والعلوم وقال بعض المفسرين ان ما اوحى اليه عليه السلام تلك الليلة على اقسام قسم اداه الى العوام وهو الاحكام والشرائع وقسم اداه الى الخواص وهو المعارف الالهية وقسم اداه الى اخص الخواص وهو الحقائق والنتائج للعلوم الذوقية وقسم آخر بقى معه لكنه مما خصه الله تعالى به وهو السر الذى بينه و بين الله تعالى عز وجل

❊ فَحُزْتَ كُلَّ فَخَارٍ غَيْرَ مُشْتَرَكٍ ❊ وَجُزْتَ كُلَّ مَقَامٍ غَيْرَ مُزْدَحَمِ ❊

لما بين العلة الغائية للمعراج من الوصلة الى جمال الرب الفتاح ومن نيله السر الذى لم يطلع عليه احد من الاولياء والانبياء والملائكة الذين هم فى السموات كالسراج الوهاج اراد ان يبين بعض ما يتفرع على تلك الوصلة من الفضائل والفواضل التى تورث للامة السرور والابتهاج ومايدفع به بلاياهم فى الدنيا

وما ينجيهم فى الآخرة من عذاب ذى امواج فقال فحزت كل فخار الخ الفاء للتفصيل والتفريع و حزت على صيغة الخطاب كفلت من حاز بمعنى جمع والخطاب له عليه السلام اى جمعت وكل بالنصب مفعول حزت و الفخار بكسر الفاء مايفتخر به من الفضائل والفواضل والشمائل وغير بالنصب على انه حال من فاعل حزت اوعلى انه صفة كل اومجرور على انه صفة لفخار وجزت عطف على حزت و هو بالجيم والزاى من الجواز كما كان الاول بالحاء المهملة والزاى من الحوز وجزت بمعنى عبرت وذهبت وتعديت وكل مقام ككل فخار وغير مزدحم كغير مشترك والمزدحم كالمشترك اذ كلاهما اسم مفعول بمعنى المصدر فالمشترك بمعنى الاشتراك والمزدحم بمعنى الازدحام بمعنى الاجتماع والمنازعة قال بعض الفضلاء المراد بكل فخار غير مشترك مثل الوسيلة و الدرجة الرفيعة والكوثر والشفاعة العظمى والمقام المحمود واللواء الممدود ومن المقام الغير المزدحم مقام المحبة وختم النبوة والرسالة العامة وامثالها ماعدا مافيه من الاشارة الى ماروى عنه عليه الصلاة والسلام فى حديث الاسراء حيث قال فتقدمت وجبريل على اثرى حتى انتهى بى الى حجاب الذهب فحرك الحجاب فقيل من هذا قال انا جبرائيل و معى محمد قال الملك الله اكبر فاخرج يده من تحت الحجاب فاحتملنى فوضعنى بين يديه فى اسرع من طرفة عين وغلظ الحجاب مسيرة خمسمائة عام فقال لى تقدم يا محمد فمضيت فانطلق الملك فى اسرع من طرفة عين الى حجاب اللؤلؤ فحرك الحجاب فقال ملك من وراء الحجاب من هذا قال انا صاحب الحجاب اللؤلؤ وهذا محمد معى فقال الله اكبر فاخرج يده من تحت الحجاب فاحتملنى حتى وضعنى بين يديه فلم ازل كذلك من حجاب الى حجاب حتى جاوز بى سبعين حجابا غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام ثم دلى لى رفرف اخضر يغلب ضوءه ضوء الشمس ووضعت على ذلك الرفرف ثم احتملنى حتى وصلت الى العرش فابصرت امرا عظيما ثم تدلى لى قطرة من العرش فوقعت على لسانى فما ذاق الذائقون شيأ قط احلى منها وانبأنى الله بها نبأ الاولين والآخرين الحديث

﴿ وَجَلَّ مِقْدَارُ مَا وُلِّيتَ مِنْ رُتَبٍ ❁ وَعَزَّ اِدْرَاكُ مَا اُولِيتَ مِنْ نِعَمِ ﴾

لما كان فى ليلة المعراج اسرار بين رسولنا وربنا الفتاح وكانت تلك الاسرار مكنونة عند الاخيار والابرار حتى عجز كل من بين اخبار تلك الليلة العظيمة عن بيان تلك الامور الجليلة اراد الناظم افهامهم ايضا بيان عجزه عنها ببيان

جلالة ماوقع فيها و بيان عدم ادراك احد من الخلائق ماكان بينهما من الاسرار والدقائق فقال وجل مقدار الخ بالواو الاستيناف وجل بمعنى عظم والمقدار بالرفع فاعل جل ووليت ماض مجهول على صيغة الخطاب من ولاه اى جعله واليا ومن رتب بيان لما والرتب جمع رتبة وعز معطوف على جل وعز اى عسر وندر والادراك الاحاطة بالشئ ذاتا وصفة واوليت ماض مجهول على صيغة الخطاب ايضا لكنه من اولاه بمعنى اعطاه والمعنى مااعطيت ومن نعم بيان لما والنعم بكسر النون وفتح العين جمع نعمة وفى قوله ماوليت من رتب اشارة الى كونه عليه الصلاة والسلام واليا يوم القيامة على اهلها بالشفاعة حيث اعطى له الشفاعة ليلة المعراج وكذا مما اعطى له فيها ما اوحى اليه من ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها امتك وقوله تعالى له عليه الصلاة والسلام لولاك لما خلقت الافلاك وكذا اعطى له فيها قوة جبروتية يهلك بها اعداءه وغير ذلك مما لا يحيط به قلم وفى قوله مااوليت من نعم اشارة الى اعطائه تعالى له عليه الصلاة والسلام فيها علم الاولين والآخرين وجعل امته خير الامم وارسال النصيحة لامته حيث روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال شكا الى الله تعالى من امتى ليلة المعراج شكايات الاولى انه قال انى لم اطلب منهم اليوم عمل الغد وهم يطلبون منى رزق الغد والثانية انه قال لا ادفع ارزاقهم الى غيرهم وهم يدفعون عملهم الى غيرى والثالثة انه قال انهم يأكلون رزقى و يشكرون غيرى ويخونون معى و يصالحون خلقى والرابعة ان العزة لى وانا المعز وهم يطلبون العز من سواى والخامسة انى خلقت النار لكل كافر وهم يجتهدون ان يوقعوا انفسهم فيها وقال قل لامتك ان احببتم احدا لاحسانه اليهم فانا اولى به لكثرة نعمى عليهم وان خفتم احدا من اهل السماء والارض فانا اولى بذلك لكمال قدرتى وان انتم رجوتم احدا فانا اولى به وان انتم استحييتم من احد لجفائكم اياه فانا اولى به لان منكم الجفاء ومنى الوفاء وان انتم آثرتم احدا باموالكم وانفسكم فانا اولى بذلك لانى معبودكم وان صدقتم احدا فى وعده فانا اولى بذلك لانى انا الصادق وكذلك قال تعالى له عليه الصلاة والسلام يا محمد لم اكثر مال امتك لئلا يطول حسابهم يوم القيامة ولم اطل اعمارهم لئلا تقسو قلوبهم ولم افجأهم بالموت لئلا يكون خروجهم من الدنيا بدون التوبة واخرتهم فى الدنيا عن الآخرين لئلا يطول فى القبور حبسهم كذا فى روح البيان تفسير القرآن لاسماعيل حقى صاحب الكشف والعرفان

بشرى لنا معشر الاسلام ان لنا ❊ من العناية ركنا غير منهدم

لمابين من اول هذه القصة اللطيفة الى ههنامايدل على افضليته عليه السلام واشرفيته من جميع الانام وعلورتبته وسمودرجته وكونه نائلا النعم الكثيرة والاسرار والكلم الغفيرة وكأن قائلا قال هل اصاب شئ امته من تلك النعم وهل طاب لهم ذلك العروج وكان فى حقهم من الكرم لجاب عنهم بالبشارة والسرور وبيان نعمة مااصابهم من ذلك العبور فقال بشرى لنا الخ بشرى اماخبرمبتدأ محذوف اى هذه القصة بشرى ولناصفة اومبتدأ اى بشرى قدثبتت واما بشرى مبتدأ خبره لنا فحينئذ يرد عليه ان بشرى نكرة والمبتدأ لايكون نكرة و يجاب بانه مخصص لانه موصوف بصفة محذوف اى بشرى عظمى اوبانه فاعل فى المعنى اى ماثبت بشرى ثم ان البشرى بمعنى المسرة والفرح ومعشر بالنصب على انه منادى اوعلى الاختصاص كما فى الحديث نحن معاشر الانبياء لانورث والمعشر بمعنى الجماعة قال فى كليات ابى البقاء كل جماعة امرهم واحد فهو معشر والتسمية بجماعة الاسلام خاص بهذه الامة لان التسمية باسم المسلم من خصائصهم كماسيأتى وقوله ان بكسر الهمزة تعليل للدعوى المستفادة مماسبق اى البشارة مخصوصة لنا فترتيب قياسه هكذا البشارة خاصة لنا يامعشر الاسلام لان لنا من العناية ركنا غيرمنهدم وكل من شأنه كذا فالبشارة خاصة له فينتج المطلوب ولنا ظرف مستقر مرفوع على انه خبران واسمه قوله الآتى ركنا من العناية ظرف مستقر منصوب على انه حال من ركنا قدم على ذى الحال لكونه نكرة وجعله صفة لركنا بعيد كل البعد كما لايخفى والمراد من العناية مزيد الاعتناء بمصالحهم والكرامة عليهم وهى العنايات الازلية التى تورث السعادة الابدية وهى الخصائص التى لم توجد فى سائر الامم منها احلال الغنائم ولم تحل لامة قبلها ومنها انه جعل الارض لهم مسجدا ومنها انه جعل تراب الارض لهم طهورا ومنها الوضوء فانه لم يكن الاللانبياء دون اممهم ومنها مجموع الصلوات الخمس ولم تجمع لاحد غيرهم ومنها الاذان والاقامة ومنها البسملة حيث لم تنزل على احد من الامم ومنها التأمين خلف الامام ومنها الاختصاص بالركوع ومنها الصفوف فى الصلاة كصفوف الملائكة ومنها الجمعة ومنها ساعة الاجابة التى فى الجمعة ومنها انه اذا كان اول ليلة من شهر رمضان نظر الله اليهم ومن نظر اليه لايعذبه ابدا ومنها تزيين الجنة

لهم فيه واستغفار الملائكة لهم فى كل ليلة منه وكون ذنوبهم مغفورة جميعا فى آخر ليلة منه ومنها السحور و تعجيل الفطر ومنها ليلة القدر ومنها ان لهم الاسترجاع عند المصيبة ومنها ان الله تعالى رفع عنهم الاصر والاغلال ومنها ان الله تعالى لم يجعل عليهم فى الدين من حرج ومنها ان الله تعالى رفع عنهم المؤاخذة بالخطاء والنسيان ومنها ان الاسلام وصف خاص بهم لايشاركهم فيه غيرهم الا الانبياء ومنها ان شريعتهم اكمل الشرائع ومنها انهم لايجتمعون على الضلالة ومنها ان اجماعهم حجة واختلافهم رحمة ومنها انهم اقل الامم عملا واكثرهم اجرا ومنها ان الطاعون شهادة ورحمة لهم وكان على سائر الامم عذابا ومنها انهم اذا اشهد منهم اثنان لعبد بخير وجبت له الجنة ومنها انهم اوتوا الاسناد وهو خصيصة فضيلة من خصائص هذه الامة ومنها انهم اوتوا تصنيف الكتب ومنها ان فيهم اقطابا واوتادا ونجباء وابدالا ومنها انهم يدخلون قبورهم بذنوبهم ويخرجون منها بلاذنوب لانها تغفر لهم باستغفار المؤمنين لهم ومنها انهم اختصوا فى الاخرة بانهم اول من تنشق عنهم الارض من بين الامم ومنها انهم يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء ومنها انهم يكونون فى الموقف على مكان عال ومنها انهم يؤتون كتابهم بايمانهم ومنها انهم يدخل الجنة منهم سبعون الفا بغير حساب ومنها انهم يدخلون الجنة قبل سائر الامم وركن الشئ جانبه الاقوى الذى يستند ذلك الشئ اليه لغة قال الله تعالى (اوآوى الى ركن شديد) وفى الاصطلاح ركن الشئ مايقوم به ذلك الشئ والمراد ههنا معناه اللغوى اعنى معنى المستند يعنى ان لنا مستندا وظرفا قويا وهو النبى عليه الصلاة والسلام وشريعته وغير منهدم بالنصب صفة ركنا ومنهدم اسم الفاعل من الانهدام بمعنى الزوال والمعنى غير مخوف انتساخه فان هذه الشريعة باقية الى يوم التناد بعناية رب هاد

لما دعا الله داعينا لطاعته ❊ باكرم الرسل كنا اكرم الامم

لما كان الصغرى المذكورة فى البيت السابق اعنى قوله ان لنا من العناية الخ نظرية اراد ان يثبتها فقال لما دعا الله الخ فترتيب قياسه هكذا ان لنا من العناية ركنا متينا لانه لما دعا الله داعينا لطاعته باكرم الرسل كنا اكرم الامم وحيثما كنا اكرم الامم فان لنا من العناية ركنا غيرمنهدم لكن المقدم حق فالتالى مثله ثم ان لما ظرف بمعنى اذ يليه فعل ماض لفظا اومعنى وههنا وليه ماض لفظا

و يكون جوابه فعلا ماضيا لالفظا كما وقع ههنا اومعنى اتفاقا وقد يكون جوابه ماضيا مقرونا بالفاء وقد يكون جملة اسمية مقرونة باذا المفاجاء و بالفاء عند ابن مالك وفعلا مضارعا عند ابن عصفور وقد يكون لما حرف استثناء بمعنى الا فتدخل على الجملة الاسمية نحو قوله تعالى (ان كل نفس لما عليها حافظ) اى الا عليها وقد يكون فعلا نحو لم لما لمواوتكون جازمة اذا ادخلت على المضارع قال فى الارشاد فى قوله تعالى (وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا) ان لما ظرف استعمل للتعليل وليس المراد منه الوقت المعين انتهى وكذلك ماوقع ههنا ودعا بمعنى سمى والله فاعله وداعينا مفعول دعا وسكون يائه للضرورة والداعى ههنا بمعنى الهادى والسفير للدعوة والمراد به رسول الله عليه الصلاة والسلام ولطاعته اللام بمعنى الى متعلق بداعينا والطاعة بمعنى العبادة والضمير اما راجع الى الله اوالى الداعى المراد به الرسول والطاعة اليه طاعة الى الله ولذا قال تعالى (من يطع الرسول فقد اطاع الله) الآية و باكرم الرسل متعلق بدعا الله ووجه تسميته تعالى اياه عليه الصلاة والسلام باكرم الرسل قد ثبت بالاخبار الصحيحة كقوله عليه الصلاة والسلام انا اكرم الخلق على الله وآدم ومن دونه تحت لوائى وقد سبق تفصيله وكنا جواب لما واكرم الامم بالنصب خبر كنا والامم جمع امة والامة بمعنى الجماعة فان كل امة جماعة لنبيهم والنبى امامهم والحاصل ان كونه عليه الصلاة والسلام اكرم الرسل سبب لكوننا اكرم الامم لان الامة تابعة والنبى متبوع فاكرمية التابع انما هى من اكرمية المتبوع و بعض اهل الكلام من العلماء الاعلام جعل القضية بالعكس كما لايخفى على اولى الافهام ثم اعلم انه مما يدل على اكرمية هذه الامة حديث ذكره ابو نعيم فى الحلية عن انس انه قال قال رسول الله عليه الصلاة والسلام اوحى الله تعالى الى موسى نبى بنى اسرائيل انه من لقينى وهو جاحد باحمد ادخلته النار قال يارب ومن احمد قال تعالى ماخلقت خلقا اكرم على منه كتبت اسمه مع اسمى فى العرش قبل ان اخلق السموات والارض وان الجنة محرمة على جميع خلقى حتى يدخلها هو وامته قال ومن امته قال الحمادون يحمدون صعودا وهبوطا وعلى كل حال يشدون اوساطهم ويطهرون اطرافهم صائمون بالنهار ورهبان بالليل اقبل منهم اليسير وادخلهم الجنة بشهادة (ان لا اله الا الله) قال موسى يارب فاجعلنى نبى تلك الامة قال نبيها منها قال اجعلنى من امة ذلك النبى قال استقدمت واستأخرت ولكن سأجمع بينك و بينه فى دار الجلال

راعتْ قلوبَ العدى انباءُ بعثتهِ ❊ كنبأةٍ اجفلتْ غفلاً من الغنمِ

لما فرغ من قصة المعراج و مايتعلق به من حصول الوصول و قطع كل مراتب من الفروع والاصول و صعوده الى مافوق سدرة المنتهى و بلوغه الى المقصود والمنى شرع فى بيان بعض غزواته وشجاعة صحابته فى مجاهدة الجهاد لدفع اهل الكفر والعناد وتطهير الارض من اهل الزيغ و الفساد فبين اولا وقوع الخوف فى قلوبهم بهيبة اخبار بعثته وانباء نبوته فقال راعت قلوب العدى الخ راعت من الروع بمعنى التخويف و قلوب العدى بالنصب مفعول راعت وهو جمع قلب وهو محل الادراك وكيفية ادراكه مجهولة و كونه عبارة عن الروح المسمى بالقوة العاقلة والنفس الناطقة على ما فى التلويح لم تقم عليه شبهة فضلا عن الحجة وقد يطلق على المضغة التى فى الجانب الايسر والمراد به ههنا المعنى الاول كما لايخفى والعدى بكسر العين مقصورا جمع عدو كالاعداء والمراد بهم اعداء الدين اعنى الكفار والمشركين والانباء بالرفع فاعل راعت اوهى جمع نبأ بمعنى الخبر وخبر البعثة وان كان فى ذاته واحدا جمع بالنظر الى المخبر به لانه كثير او باعتبار المخبرين او جمعه مجاز للتعظيم لشانه فتدبر والبعثة مصدر بمعنى الرسالة والنبوة والضمير راجع اليه عليه السلام اى كونه مرسلا وكونه مدعيا للنبوة واظهار بطلان اديانهم وكسر اصنامهم فى عيانهم ثم اتى بنظير لكون اعدائه متفرقة بخبر نبوته فقال كنبأة بمعنى الاسد وجملة اجفلت صفة نبأة وهو من الافعال بمعنى الاهراب اى اهربت وفرقت وافزعت وغفلا بالنصب مفعول اجفلت و الغفل بضم الغين جمع غافل و الغنم اسم جنس يقع على الكثير و القليل وحاصل المعنى ان اخبار نبوته وآثار بعثته خوفت قلوب الاعداء من الكافرين من اهل الكتاب والمشركين مثل صيحة الاسد اهربت الاغنام الغافلة وفرقت جمعهم بهيبة عالية وفى هذا البيت اشارة الى نصرته عليه السلام بالرعب اذ ورد فى الحديث الصحيح انه عليه السلام قال نصرت بالرعب مسيرة شهر وفى حديث شهرين حيث وقعت الهيبة فى قلوبهم بلا جهاد ولا مقاتلة بل من عند الله تعالى فكانوا يجيئون من الاقطار و يؤمنون بالنبى المختار

ما زالَ يلقاهمُ فى كلِّ معتركٍ ❊ حتى حكوا بالقنا لحماً على وضمِ

ثم شرع فى بيان جهاده وقتاله فى المعارك و الكتائب وكونه غالبا عليهم بالرماح والقواضب فقال مازال يلقاهم الخ مازال بمعنى دام مجازا و يلقاهم من اللقاء بمعنى الملاقاة وفاعله راجع اليه عليه السلام وضمير مفعوله راجع الى الكفار و يقرأ يلقاهموا باشباع ضمة الميم لضرورة الوزن والمعترك على صيغة المفعول بمعنى المعركة ومحل الحرب يعنى كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يلقى الكفار فى محل الحرب كما خرج لاجل المقاتلة و يغلب عليهم وكان عدد مغازيه عليه السلام التى خرج فيها بنفسه سبعا وعشرين مرة قاتل فى تسع منها بنفسه وهى بدر واحد والمريسيع والنضير و الخندق و بنى قريظة وخيبر وحنين والطائف وفتح مكة وسيأتى بيان بعضها ان شاء الله تعالى وحتى متعلق بمقدر اى كان يلقاهم فى كل معترك و يقتلهم حتى حكوا وحكوا من حكى بمعنى شابه كما فى قوله

* ظلمناك فى تشبيه صدغيك بالمسك * وقاعدة التشبيه نقصان ما يحكى *

وضمير الجمع راجع الكفار يعنى شابه الكفار بالقنا وهو بفتح القاف بمعنى الرمح والباء فيه للسببية وفيه حذف مضاف اى بسبب ضرب القنا و لحما منصوب مفعول لحكوا وعلى وضم ظرف مستقر على انه صفة لحما والوضم بفتحتين خشب واجد يقطع القصاب اللحم و يعلقه عليه و يترك معدا لكل من يميل اليه و يرغب فيه وحاصل معنى البيت دام النبى عليه الصلاة والسلام مجاهدا اعداء الاسلام فى كل معركة وكتيبة حتى تركهم جرحى وقتلى على رؤس القنا مشابهين اللحم الموضوع على الخشب والكلاليب والمتروك فى العيان بلا حجب ولا يخفى ما فيه من تشبيه الاصحاب بالقصاب والكفار بالغنم ورماح الاصحاب بسلاح القصاب فى كمال شجاعته واصحابه واتباعه واحزابه و كون قلوب الاعداء فى غاية الجبانة فى السر والعلانية وكون موتاهم معلقة على الرماح مع فضاحة وافتضاح

* وَدُّوا الفِرارَ فَكادُوا يَغْبِطُونَ بِهِ * أَشْلاءَ شالَتْ مَعَ العِقْبانِ والرَّخَمِ *

لما بين خروجه عليه السلام والملاقاة للكفار وقتلهم بعناية الملك الجبار اراد ان يبين بعض ما وقع فى تلك الغزوات من انهزام اهل النار وهربهم منه عليه السلام بلا قرار مع سرعتهم بتواطئ بعضهم بعضا فى الفرار فقال ودوا الفرار الخ ودوا من الود بمعنى المحبة يقال وده اى احبه او بمعنى التمنى وضمير الجمع للكفار والفرار بالنصب مفعول ودوا يعنى ان الكفار احبوا الفرار من المقابلة له عليه السلام

والجهاد لعدم اقتدارهم على المقابلة بل على المقاولة والفاء فى فكادوا للعطف والتفسير اودوا وكاد من افعال المقاربة اى قربوا وجملة يغبطون بالنصب خبر كاد وهو من غبط يغبط كضرب يضرب وقال فى القاموس كضرب وسمع والاسم الغبطة بكسر العين وهى تمنى حصول مثل النعمة الحاصلة للغير من غير زوالها وقد يراد بالغبطة لازمها وهى المحبة والسرور والمراد ههنا هو المعنى الاول والفرق بين الغبطة والحسد قد سبق قبيل مبحث الآيات فتذكر و به متعلق بيغبطون والباء سببية والضمير راجع الى الفرار واشلاء بالنصب مفعول يغبطون وهى كاشياء جمع شلو بمعنى العضو وشالت بمعنى ارتفعت وجملة شالت منصوب محلا على انه صفة اشلاء فضميره راجع اليها ومع حال من فاعل شالت ولا يجوز ان يكون ظرفا اشالت كما ذهب اليه بعض الشارحين لانهم قالوا ان كلمة مع تستعمل على ثلاثة اوجه بمعنى الحال نحو جاءنى زيد مع عمرو وبمعنى الظرف واما ان يكون بمعنى بعد او بمعنى عند ولا يجوز ان يكون ما وقع ههنا من هذين المعنيين فيكون حالا لا ظرفا كما لا يخفى والعقبان بكسر العين جمع عقاب وهو نوع من سباع الطير يصاد و يصاد به والرخم بفتحتين جمع رخمة وهو ايضا نوع من الطير الذى يقع على الميتة وفى بعض الاوقات يرفع الدجاجة ومن قال ان الرخم جنس واحده رخمة فقد غفل عن كتب اللغات كما لا يخفى على الثقاة وحاصل معنى البيت ان اهل الشرك والعناد انهزموا فى الجهاد وتمنوا الفرار من مجاهدة سيد الابرار فقاربوا من كمال خوفهم ونفرة جوفهم ان يكونوا مثل قطع اللحم التى ترفعها الطيور كى يخلصوا من جهاد نبى الله الغفور

* تَمْضِي اللَيالِي وَلا يَدْرُونَ عِدَّتَها * ما لَمْ تَكُنْ مِنْ لَيالِي الأَشْهُرِ الحُرُمِ *

لما بين انهزامهم وفرارهم لخوفهم من القتال اراد ان يبين كون خوفهم باقيا فيهم فى كل حال بلا مفارقة عنهم ولا زوال وكون رعبهم حاملا اياهم على حال لم يعرفوا عدد الايام من الشهور والاعوام حتى يجيء الايام المعدودة فى الشهور الاربعة المعهودة فقال تمضى الليالى الخ تمضى بمعنى تمر والليالى فاعل تمضى وفى الليالى تغليب المؤنث على المذكر اعنى الايام فانه وان كان الاصل تغليب المذكر على المؤنث كما فى القمرين للشمس والقمر وكما فى الآيات الكثيرة كقوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا) لكن غلب ههنا على خلاف الاصل بناء على الاصل ولان فى ذكر الليالى ايماء الى سوء حال او قاتهم فان

ظلمة الزمان وسواده كناية عن ذلك ولان فيه اشارة الى ان حالهم فى الليالى التى هى اوقات الاستراحة كانت كذلك فكيف زمان ايامهم المخلوطة بالكدورات ومن لم يجعله من باب التغليب بل جعله من قبيل قوله تعالى سرابيل تقيكم الحر فليس له من الفهم نصيب ولايدرون الواو للحال و يدرون من الدراية اى لايعلمون وعدتها بالنصب مفعول يدرون والعدة بكسر العين بمعنى العدد وضميره راجع الى الليالى اى لايعرفون عدد الايام والليالى لشدة قتاله عليه السلام وغاية خوفهم منه عليه السلام حيث كان تصورهم وفكرهم فى كل زمان وآن التخلص من عذاب الحر والنيران ومافى مالم تكن ظرفية مصدرية اى دوام لم تكن وضمير المؤنث فى تكن راجع الى الليالى ومن متعلق بلم تكن والاشهر جمع شهر والحرم بالجر صفة الاشهر وهو بضمتين جمع حرام والمراد بالاشهر الحرم اربعة اشهر وهى ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم ورجب والمحرم اول الشهور ولذا يدخل عليه الالف واللام فى اكثر استعماله وعدوا الشهور اثنى عشر شهرا اولها المحرم وكان اسم المحرم فى صدر الجاهلية المؤتمن لانهم كانوا يأتمنون فيه من الغارات فسمى بالمحرم لتحريم القتال فيه وقيل لتحريم الجنة فيه على ابليس وثانيها صفر وكان اسمه فى الجاهلية ناجر لانه تنجر فيه الابل اى تهزل فسمى صفرا لاصفرار الاشجار فيه اولاصفار مكة من اهلها اذا سافروا يقال دار صفر اى خالية اولاصفرار وجوههم حين وقع فى الناس حمى اووباء وثالثها ربيع الاول وكان اسمه فيها خوان ورابعها الربيع الاخر وكان اسمه فيها بصان فسميا بعين لارتباع الناس فيهما اى اقامتهم فى الخصب وخامسها جمادى الاولى وكان اسمها فيها حنين وسادسها جمادى الاخرة وكان اسمها فيها رنى فسميا جمادين لجمود الماء فيهما وجميع الشهور مذكرة الا جمادين وسابعها رجب وكان اسمه فيها الاصم لانه لا يسمع فيه صوت السلاح فسمى رجب لتعظيم الله وتعظيمهم له وفى الروضة لم يعذب الله امة محمد فى رجب وثامنها شعبان وكان اسمه فيها عجلان ثم سمى شعبان لانشعاب القبائل فيه و تفرقهم بالغارات اولا نشعاب الخير فيه وتاسعها رمضان وكان اسمه فيها ناتقا فسمى رمضان لانه ترمض فيه الذنوب اى تحرق اولرمض الفصال وعاشرها شوال وكان اسمه فيها العازل ثم بشوال لشول الناقة فيه بذنبها ليعلم الذكر انها حامل اولان العرب كانت تشول فيه اى تنسرح عن

امكنتها وحادى عشرها ذوالقعدة وكان اسمه فيها رنة ثم سمى ذا القعدة لقعودهم فى رحالهم عن العدو والحرب وثانى عشرها ذوالحجة وكان اسمه فيها برك ثم سمى ذا الحجة لاداء الحج فيه فاعلم ان تسمية هذه الشهور بهذه الاسامى انما هى بالنظر الى ماوقع يوم تسميتها ولايلزم كلية وجه التسمية كما لايخفى ثم اعلم ان عدد ايام الاسبوع سبعة اولها السبت كما يدل عليه قول الشاعر ❊ الم تران الدهر يوم وليلة ❊ يكران من سبت عليك الى سبت ❊ وكان اسماء ايام الاسبوع فى الجاهلية ايضا غير الاسماء المعهودة حيث كانوا يقولون للاحد اول وليوم الاثنين اهون وللثلاثاء جبار وللاربعاء دبار وللخميس مونس وللجمعة العروبة وللسبت شيار ثم ان اسماء الايام الاسبوع من الاعلام الغالبة فيلزمها اللام وقد يجرد لفظ الاثنين من اللام وحاصل معنى البيت ان الكفار قد بلغوا الى حال قد كانت تمر الليالى ولايعلمون عددها من شدة الآلام والهموم لمارأوا فيها من المقاساة والغموم وغابوا عن حساب الايام والليالى مالم تجئ ايام الاشهر الحرم والليالى فاذا جاءت تلك الاشهر الاربعة المكرمة كانوا فى بيوتهم بالاستراحة متنعمة لكون النبى فارغا عن القتال فى تلك الاشهر بلازوال لكونه مشغولا بعبادة ربه الكبير المتعال ذى الجمال والجلال

❊ كَأَنَّمَا الدِّينُ ضَيْفٌ حَلَّ سَاحَتَهُمْ ❊ بِكُلِّ قَرْمٍ إِلَى لَحْمِ الْعِدَى قَرِمِ ❊

لما بين انهزام المشركين فى المقاتلة وفرارهم وعدم قدرتهم على المقابلة وكان مظنة ان يسئل عن سبب الانهزام وباعث عدم قرارهم فيها والقيام اراد كشف القناع واللثام عن وجه سببه وبيان كون باعثه مقابلتهم بالاسلام وقد ورد ان الاسلام يعلو ولايعلى عليه فى كل عام فقال بتشبيه لطيف كأنما الدين الخ فكأن للتشبيه وما كافة والدين فى اللغة بمعنى العادة بدليل قول الفراء دين الرجل عادته وبمعنى الحساب كقوله تعالى ذلك الدين القيم اى الحساب المستقيم وبمعنى الجزاء خيرا وشرا كما فى قولهم كما تدين تدان وقول الحماسة

❊ ولم يبق سوى العدوا ❊ ن دناهم كما دانوا ❊

وفى العرف وضع الهى سائق لذوى العقول باختيارهم المحمود الى ماهو خيرلهم بالذات ثم ان الدين يقع على الحق والباطل جميعا لكونه عبارة عما يعتقد سواء كان حقا او باطلا ولهذا يقال دين اليهود والنصارى باطل ودين الاسلام

حق والمراد بالدين ههنا الاسلام لان الدين عند الله الاسلام ويمكن ان يراد بالدين ههنا صاحب الدين وداعيه ومظهره اعنى النبي عليه السلام مجازا من قبيل ذكر المسبب وارادة السبب والضيف بمعنى المسافر فالدين مشبه والضيف مشبه به وجملة حل ساحتهم صفة ضيف بيان لوجه الشبه مع قيوده وحل بمعنى نزل والساحة بمعنى ماحول الدار وضمير الجمع راجع الى الكفار وبكل قرم حال من فاعل حل اى ملتبسا ومصحوبا والقرم بفتح القاف وسكون الراء بمعنى السيد والمراد بكل قرم صحابة رسول الله عليه السلام والى لحم العدى متعلق بقرم المؤخر والمراد من العدو الكفار وقرم بالجر صفة بعد صفة لضيف اوصفة بكل قرم وهو الأقرب لفظا ومعنى والقرم بفتح القاف وكسر الراء بمعنى شديد الاشتهاء الى اللحم وحاصل معنى البيت ان دين الاسلام اوصاحبه اعنى نبينا افضل الانبياء الفخام مثل سلطان نزل للضيافة فى ساحة دارهم مستوليا على حيطان بلادهم مصاحبا لجنوده كلهم ازمة الاسلام والسادات الكرام مطيعين لسيدهم مع القيام فى خدمته بالاهتمام مشتهين الى لحوم العدى وازالة الاشقياء وتمزيق اجسادهم وتخريب بلادهم واسر اولادهم مع الغلبة فى كل الايام والاسلام لا يقبل الانهزام لانه يعلو ويغلب فى كل حال ولا يعلى ولا يكون مغلوبا ولو كانت اعداؤه كالجبال ومن كان خصمه هذا الدين المتين فله فى الدنيا والاخرة عذاب مهين ومن كان فى الدنيا له حبيبا اعطاه الاله من الجنة نصيبا

يجر بحر خميس فوق سابحة ❊ ترمي بموج من الابطال ملتطم

لما اتم بيان انهزام الكفار وسببه وباعثه بكلام لم يبق فيه شبهة للصغار والكبار اراد بيان شجاعة جيشه عليه السلام ومتانة صحابته الفخام وكون عسكره تام الاركان وكونه كثيرا كامل الاطراف بلا نقصان فقال يجر بحر خميس الخ جملة يجر خبر مبتدأ محذوف اى هو يجر والضمير المستتر فيه راجع الى الدين المراد به رسول الله عليه السلام والعدول عن الماضى الى المضارع لاستحضار الصورة البديعة اولتأخر الجر بالنظر الى ذات النبي عليه السلام وبحر بالنصب مفعول يجر واضافة البحر الى الخميس من اضافة المشبه به الى المشبه الى مثل بحر والخميس بالخاء المهملة العسكر الشجعان واعلم ان تهيئة الصفوف للحرب لها خمسة اركان لانهم قسموا العسكر الى المقدمة والميمنة والميسرة والساقة والقلب وتشبيه الخميس يعنى الجيش المحارب بالبحر انما هو فى الهيبة والاهلاك وتموج

البعض على بعض بلا انفكاك والمراد بجر العسكر ايرادهم فى المحاربات والذهاب بهم الى المقاتلات وفوق صفة خميس وسابحة صفة موصوف محذوف اى خميس كائن فوق خيل سابحة والسابحة من السبح والسبوح الفرس الحسن الذى يجرى تحت راكبه بلا اتعاب له ولا مشقة عليه كأنه سفينة تجرى فى البحر وجملة ترمى صفة خميس فضميره راجع اليه اوراجع الى البحر والموج من ماج البحر اى اضطرب وارتفع بعضه فوق بعض والمراد بالموج ههنا السهام والرماح ففيه استعارة مصرحة بان شبه الرماح والسهام بامواج البحر فى الاهلاك والجريان وامتداد بعضه فوق بعض والهيجان فاستعير الموج للسهام والرماح فذكر الموج واريد السهام والرماح فترمى قرينة لهذه الاستعارة وقوله من الابطال تجريد اوفى الموج استعارة بالكناية كما لا يخفى وقوله من الابطال ظرف مستقر على انه صفة لموج اى موج حاصل من الابطال او بيان لقوله المؤخر ملتطم والابطال جمع بطل بمعنى الشجيع القوى وملتطم بالجر صفة موج وهو على صيغة اسم الفاعل بمعنى ضارب بعضه على بعض من شدة الهيجان ففى الضمير فى الملتطم الراجع الى الموج استعارة بالكناية اذ المراد بالالتطام هنا مصادمة الابطال واصطكاك اسلحتهم كما لا يخفى وحاصل معنى البيت مازال النبي عليه الصلاة والسلام يجر ويقود جندا تام الاطوار له خمسة اركان كأنهم بحر وكلهم من الاشراف يجرى كلهم على خيول جارية بالجريان اليسير وفوق سارية بجريان السفينة على وجه الماء الكبير الى مضمار المعارك وميدان المهالك يرمى ذلك الجند سهاما ورماحا الى الكفار كامواج البحار وهم ابطال تتصادم وتتصاكك اسلحتهم بالاضطراب بلا فرار من الاعداء ولا اجتناب

من كل منتدب لله محتسب ❊ يسطو بمستأصل للكفر مصطلم

ثم شرع فى عد اوصاف ابطال ذلك الجند العظيم من كون قصدهم من المقابلة هو الاجابة الى امر الله تعالى الكريم وكونهم ماهرين فى استعمال الاسياف والرماح وحاذقين فى علوم السهام والسلاح فقال من كل منتدب الخ ثم ان من كل منتدب بدل من الابطال والمنتدب اسم فاعل من الانتداب والانتداب بمعنى الاجابة للدعوة الى شئ بالحث والاغراء اى من كل مجيب لدعوة الله فى قوله لله حذف مضاف ومحتسب بالجر صفة منتدب وهو ايضا على صيغة اسم الفاعل من الاحتساب بمعنى العمل لله تعالى والاخلاص فيه طلبا لمرضاة الله كما فى قوله عليه السلام من صام رمضان ايمانا واحتسابا الحديث

وقوله يسطو صفة بعد صفة او حال وضميره راجع لكل منتدب و يسطو بمعنى يصول و يغلب على الاعداء و بمستأصل الباء فيه للمصاحبة او للاستعانة متعلق بيسطو والمستأصل على صيغة اسم الفاعل من استأصله اى قلعه من اصله وهدمه بلا بقية اثره والمعنى بآلة مستأصلة قالعة والكفر متعلق بمستأصل وفيه مجاز حذفى اى لاهل الكفر من قبيل قوله تعالى واسئل القرية اوقلع الكفر كناية عن قطع اهله فتدبر ومصطلم بالجر صفة مستأصل وتأكيد له وهو ايضا على صيغة اسم الفاعل من اصطلمه بمعنى اهلكه اى مهلك ثم ان فى هذا البيت ايماء الى قوله عليه السلام انتدب الله لمن خرج فى سبيله ومعنى الحديث من خرج وقصد الى الجهاد فى سبيل الله طلبا لمرضاة الله تعالى كان الله ضامنا وكفيلا لمغفرة ذلك العبد اوسارع الله الى ايفاء مقابلة جهاده بالمثوبات اواوجب الله ان يجزله ماوعده من الجنة والحور والغلمان وحاصل معنى البيت ان اولئك الابطال المهرة يسطو فى ابطال اهل الضلال كلهم مجيبا لدعوة ربهم الكبير المتعال مع الرغبة والميل اليه فى الغنى والعيلة ومجتهد فى اخلاص النية بلا اعراض ولاخوف من المنية مع الاحتساب الى مرضاة الله بلاغرض غير رجاء مثوبات الله يسطو ويحمل كلهم بالآت قوية مستأصلة للكفر الدنية وباسلحة مهلكة لجميع اهل الفساد ومطهرة وجه الارض من اهل العناد

﴿ حتى غدت ملة الاسلام وهي بهم * من بعد غربتها موصولة الرحم ﴾

لما بين كون النبى عليه الصلاة والسلام مورد للجنود الكاملة والكتائب المقاتلة وبعض اوصاف ابطال جنوده واحوال شجعان جيوشه كان مظنة ان يسأل عن ثمرة جهادهم وفائدة قتالهم وعمادهم فقال دفعا لذلك الظن ومبينا لثمرة ذلك الفن حتى غدت الخ قلة حتى اما غاية لجر اوليسطو والتخصيص بالاول تخصيص بلا مخصص كما لايخفى وغدت يعنى صارت وملة الاسلام بالرفع اسم غدت واضافة الملة الى الاسلام بيانية اى ملة هى الاسلام من قبيل شجر الاراك واعلم ان الدين والشريعة والملة والناموس متحدة بالذات ومتغايرة بالاعتبار اذ الطريقة المخصوصة الثابتة عن النبى عليه الصلاة والسلام تسمى من حيث الانقياد لها دينا ومن حيث ورودها الوارد دون المتعطشون لزلال نيل الكمال شرعا وشريعة ومن حيث تملى وتكتب او تجتمع عليها الناس للقبول ملة من الاملال يعنى الاملاء اومن املأ بمعنى اجتمع ومن حيث انها ملك

اسمه ناموسا وقوله وهى بهم الواو للحالية وهى مبتدأ و بهم ظرف مستقر خبر المبتدأ وضمير هى راجع الى الملة اى والحال انها منصورة بهم ومن بعد غربتها متعلق بمابعده وضمير المؤنث راجع الى ملة الاسلام والمراد من غربة الاسلام استغراب احكامه كل احد لعدم معرفته وعدم الائتلاف به اوالمراد منها كونه لاانيس له ولاصاحب ولاحافظ ولاحامى له يواسى امره ويسعى فى مصالحه كالرجل الغريب وموصولة الرحم بالنصب خبر غدت والموصولة من الصلة والرحم القرابة وصلة الرحم عبارة عن رعاية الاقارب بزيارتهم وتفقد خواطرهم واعطاء نفقة من تجب عليه نفقته وفى الحديث صلوا ارحامكم ولو بالسلام والمراد من صلة الاسلام الاكرام اليه باحبائه وباكثار اصحابه وحاصل معنى البيت انه قد كانت نهاية جره عليه السلام العسكر الكثير وفائدة صولتهم وحملتهم على اهل النار والزنهار بكون ملة الاسلام والحال انها منصورة بهم ومصونة عندهم موصولة من احبابه واصحابه الذين هم عززوها باتلاف ابدانهم فى بابه ومن اتباعه واتباع اتباعه ممن اقتدى بكتابه مادار الزمان الى يوم القيام بد ولابد بعد كونها غريبة ذات كربة وبعد ان لم يكن لها احد صحبه ثم ان فى هذا البيت ايماء الى قوله عليه السلام ان الدين بدا غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء رواه مسلم فى صحيحه

﴿ مكفولة ابدا منهم بخير ابٍ * وخير بعل فلم تيتم ولم تئم ﴾

ثم اراد بيان كون ملة الاسلام دائمة باحيائهم الى يوم القيام ومحفوظة من النسخ والتبديل ومصونة عن التغيير والتحويل فقال مكفولة ابدا الخ مكفولة اما بالنصب او بالرفع فعلى الاول اما بدل من موصولة او عطف عليه بحذف حرف العطف للضرورة اوحال منها او خبر ثان لغدت وعلى الثانى اما خبر مبتدأ محذوف اى هى اوهى خبر ثان لغدت تدبر والمكفول اسم مفعول من كفل يكفل بمعنى ضمن والكفيل بمعنى الضامن والحافظ فمعنى مكفولة محفوظة ومصونة وابدا منصوب على الظرفية لمكفولة والابد بمعنى الدهر والزمان الطويل وبمعنى الدائم وفى عناقيد القواعد الابد بمعنى الوقت المستقبل الغير المتناهى كما ان الازل بمعنى الوقت الماضى الغير المتناهى وقد يضافان الى جمعهما فيقال ابد الآباد وازل الآزال واما السرمد فاعم منهما انتهى ومنهم متعلق بمكفولة والضمير للكفار اى من شرورهم واضرارهم وافسادهم وبخير اب متعلق ايضا بمكفولة والمراد بالاب رسول الله عليه الصلاة والسلام

واصحابه الكرام والعلماء الاعلام مجازا واستعارة مصرحة ووجه التشبيه الكون مظهرا حافظا والسعى فى حمايتها من اعدائها وهذا بعد تشبيه الملة بالابن فى الظهور وكونه نافعا و باقيا بعد وفاة ابيه وكونه محتاجا الى حافظ له وقوله وخير بعل عطفا على خير اب فقيد ابدا معتبر ههنا والبعل بمعنى الزوج كما فى قوله تعالى (و بعولتهن احق بردهن) الآية واصل البعل السيد والمالك سمى الزوج بعلا بقيامه بامر زوجته كانه مالكها ورب والمراد بخير بعل النبى عليه السلام واصحابه وورثته من علماء امته شبه النبى عليه السلام واصحابه وورثته بزوج الملة فى القيام بمصالحها ومنع يد الجانى عنها وهذا بعد تشبيه الملة الزوجة فى احتياجها الى من يقيم مصالحها و يحفظها من مجانبها والفاء فى فلم تيتم تفريعية اى اذا كانت الملة محفوظة بخير اب دائما فلم تصر يتيمة فتيتم من يتم ييتم علم يعلم يقال يتم الولد اذا مات ابوه وهو صغير قيل اليتم اصل معناه الانفراد ومنه الدرة اليتيمة وقيل هو فى الآدميين من قبل الآباء وفى البهائم من قبل الامهات وفى الطيور من جهتهما وقيل انه يقال فى الآدميين لمن فقدت امه والاصح هو الاول ولم تئم عطف على مالم تيتم هو ناظر الى قوله وخير بعل من قبيل اللف والنشر المرتب اى اذا كان لها زوج فلم تئم وتئم من آمت المرأة اذا مات زوجها وخلت منه و منه قوله تعالى وانكحوا الايامى منكم وحاصل معنى البيت ان ملة الاسلام كانت كالابن الكرام او كبنت السلاطين العظام محفوظة ومصونة دائما بالاب الذى هو اكرم الانبياء العظام واصحابه الذين هم اشرف الانام وعلماء امته الذين هم ورثته الى يوم القيام وكانت كزوجة لها بعل اشرف البعول وهو النبى الرسول واصحابه وعلماء امته الذين كلهم مرغوب ومقبول حيث كانوا فى اقامة امورها ورؤية مصالحها وحفظها من الاغيار من اهل الشرك والكفار فنعم الاباء والازواج الكبار

﴿ هم الجبال فسل عنهم مصادمهم ❊ ماذا رأوا منهم فى كل مصطدم ﴾

لما بين بعض اوصاف شجاعته عليه السلام وثمرة جهاده مع ابطاله للكفار شرع فى بيان كون اولئك الابطال ثابتين فى المعارك كالجبال وغير فارين من الجدال والقتال فقال هم الجبال الخ هم مبتدأ راجع الى الابطال السابقة والجبال بالرفع خبر المبتدأ والف واللام فيه يفيد الحصر لكنه ادعائى والجبال جمع جبل والحمل من قبيل زيد اسد ووجه الشبه التمكن و الثبات وعدم الفرار واوجاء عساكر الاعداء من الجهات بالعظم و المهابة والمتانة والفاء فى فسل اما سببية او تفريعية اى ان لم تصدقنى فسل و سل امر من

سأل يسأل اى فيلزم لك السؤال وعنهم ظرف لسل والضمير للكفار ومصادمهم بالنصب مفعول به لسل والضمير للابطال والمصادم بضم الميم مصدر من صادم مصادمة بمعنى القاء العسكرين واصطكاك خيولهم وقيل هو بفتح الميم اسم مكان بمعنى محل الحرب وما ذا رأوا ابدل من مصادمهم اى فسأل عنهم اى شئ رأوا وضمير الجمع فى رأوا راجع الى الكفار ومفعول الرؤية محذوف اى رأوه والعامل فى ماذا رأوا المؤخر قدم عليه لاقتضاء الاستفهام الصدارة فى الكلام ومنهم متعلق برأوا و الضمير للابطال المراد بهم الاصحاب وفى كل مصطدم متعلق برأوا والمصطدم اسم مكان بمعنى محل الحرب وحاصل معنى البيت ان الاصحاب الذين هم الابطال مشبهون بالجبال فان لم تصدقنى فسل عن الكفار مضاربة اولئك الكبار و مقاتلتهم مع اهل النار وسل عنهم ماذا رأوا من اولئك الشجعان فى كل معارك وكتائب وميدان من السيوف والسهام

﴿ وسل حنينا وسل بدرا وسل احدا ❊ فصول حتف لهم ادهى من الوخم ﴾

لما ذكر مواضع حروبه عليه السلام فى قوله السابق فى كل مصطدم بالابهام اراد بعض تفصيل تلك الغزوات وذكر اسم بعضها للتبرك به فقال وسل حنينا الخ الواو عاطفة وسل امر كما سبق آنفا وحنينا بالنصب مفعول به لسل اى اهل حنين من قبيل واسئل القرية وحنين بضم الحاء وفتح النون وادبين مكة والطائف وقد وقع فيه محاربة عظيمة بين الفريقين وقصته انه لما فتح رسول الله عليه السلام مكة قام بها خمس عشرة ليلة فلما سمعت به هوازن جمعها مالك بن عوف النضرى اجتمع مع عليه هوازن وثقيف و بنوا النضر وسعد بن ابى بكر وغيرهم وقصدوا حرب رسول الله عليه السلام فلما سمع به رسول الله عليه السلام امر الناس بالخروج الى حنين يوم السبت لست ليال خلت من شوال فخرج عشرة آلاف من المسلمين الذين شهدوا فتح مكة وثلاثة آلاف من غيرهم فنظر رجل من المسلمين الى عسكر الاسلام فقال العجب ما من كثرتهم لن نغلب اليوم من القلة فساءت تلك المقالة رسول الله عليه السلام وذلك قوله تعالى و يوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم ثم ساروا ولا يعلمون كون العدو مخبوء عنهم وكان الاعداء قد كمنوا فى شعاب ظلمة الوادى فحملوا على المسلمين بلا اخبار فوقع ما وقع لكون عسكر الاسلام مغرورين بالكثرة وعدم قولهم ان الله هو الناصر فتفرق المسلمون و بقى رسول الله وحده وهو ثابت فى مركزه ليس معه الا عمه العباس آخذا لجام بغلته البيضاء وابو بكر وعمر وعلى وخمسة

من سائر الصحابة ثم طفق رسول الله عليه السلام يركض بغلته نحو الكفار ويقول انا النبي لاكذب * انا ابن عبد المطلب * ثم قال يارب آتني ماوعدتني من النصرة * وقال للعباس ادع الناس بالنداء وكان العباس بليغ الصوت فنادى الانصار وغيرهم فاجتمعوا والتقى الفريقان فانزل الله النصرة ونزلت الملائكة عليهم فنظر رسول الله الى الكفار فاخذ كفا من تراب فرماهم به وقال (انهزموا ورب الكعبة شاهت الوجوه) فر التراب كأنه غمامة فدخل في اعينهم كلهم فانهزموا وسل بدرا كرر العامل للوزن و بدر اسم موضع بين مكة والمدينة وقد وقع فيه محاربة فاعز الله الاسلام واهله مع قلة عدد المسلمين وكثرة العدو فبيض الله وجه النبي واصحابه واخزى الشيطان واحزابه قال تعالى ولقد نصركم الله ببدر الآيه وقد كانت هذه الغزوة اعظم غزوات الاسلام وكان خروجهم في رمضان وجملة عسكر الاسلام ثلثمائة وخمسة عشر رجلا وكان المشركون قريبا من الالف فكان في تلك البقعة قتال عظيم فانزل الله سكينته على رسوله وايده بجنود الملائكة فقتل من المشركين في ذلك اليوم سبعون واسر منهم سبعون وقتل اكثر صناديد قريش في ذلك اليوم وقد وقع في هذه الغزوة عجائب ومعجزات لايحتمل هذا المقام ذكرها ولو باجمال في الكلام وسل احدا عطف على القريب اوالبعيد واحد بضمتين موضع بقرب المدينة وهو محل المحاربة وقصته انه لما اصابت قريشا يوم بدر بليات وقتل صناديدهم اجتمعوا لحرب رسول الله واطاعهم قبائل كثيرة وكان عددهم ثلاثة آلاف رجل فارسلوا اليه عليه السلام اخبار مجيئهم وكان يوم الجمعة فخرج رسول الله الى الخطبة فامر الناس بالتهيئ وقال ايها الناس اني رأيت في منامي بقرا بحر ورأيت كأني في درع حصينة ورأيت كان سيفي انفصم ورأيت كأني مردف كبشا فاولت البقر بنفر من اصحابي يقتلون واما الدرع الحصينة فالمدينة واولت انفصام سيفي بشيء يصيبني في نفسي واما الكبش فكبش كتيبة القوم اقتله ان شاء الله تعالى فتشاور رسول الله مع اصحابه فرأى رسول الله الاقامة في المدينة وقال رجال من المسلمين اخرج بنا يارسول الله الى اعدائنا فخرج رسول الله يوم الجمعة فلما التقى الجمعان انهزم المشركون فالتفت الناس الى الغنائم فاجتمع الكفار فحملوا على المسلمين فوقع حينئذ للمسلمين ماوقع من الشهادة واصابة المحن لرسول الله عليه السلام وفيه حكم ومصالح له تعالى كاظهار كمال استغنائه عن العالمين واختبار المحبين حتى يتبين الراضي بقضائه والصابر على بلائه والشاكر على نعمائه وقوله فصول

حتف بالنصب مفعول لسل اى عن فصول والفصول جمع فصل وهو طائفة من الزمان والحتف الهلاك اى ازمنة الهلاك ولهم ظرف مستقر صفة حتف اي حاصل لهم وادهى صفة فصول اوحتف اوحال وهو اسم تفضيل من الداهية بمعنى الآفة العظيمة والبلية النازلة الجسيمة من الوخم متعلق بادهى والوخم بفتحتين و بالخاء المعجمة مرض يقال له الوباء وهو مرض عام لايسلم من ابتلى به غالبا من الموت ومعنى البيت معلوم

* المَصْدِرِي البِيضِ حُمْراً بعدماوردت * مِنَ العِدَى كُلَّ مُسْوَدٍّ مِنَ اللِّمَمِ *

ثم شرع في بيان كمال مهارتهم في استعمال السلاح وغاية حذاقتهم في تقليب الرماح فقال المصدري الخ المصدري اما منصوب على المدح اى امدح المصدر اومجرور على انه بدل من الضمير في منهم في البيت السابق والمصدري جمع مصدر اسم فاعل من اصدره بمعنى جعله صادرا فاصله مصدرين سقط نونه بالاضافة والاضافة فيه كاضافة الضارب الرجل والبيض جمع ابيض والمراد به السيوف المصقولة كما في قوله

* وقد كانت البيض القواضب في الوغى * بواتر فهي الان من بعدها بتر *

وحمرا بالنصب على انه حال من البيض اى ملطخة تلك السيوف المصقولة بالدماء الحمر بضم الحاء وسكون الميم جمع احمر و بعد ظرف للاصدار وما مصدرية ووردت بمعنى دخلت واتصلت والضمير للسيوف ومن العدى ظرف مستقر حال من كل مسود المؤخر وكل مسود بالنصب مفعول به اوردت ومن اللمم بيان للمسود واللمم بكسر اللام جمع لمة وهي الشعر المسترسل الى المنكب والمراد منبتها وهو الرأس والتعبير بالمسود اشارة الى ان الكفار المقتولين بان اولو قوة وحاصل معنى البيت امدح الاصحاب الكرام والابطال العظام بانهم المصدرون السيوف المصقولة متلطخة بدماء الكفار بعدما اتصلت تلك السيوف ووصلت الى رؤسهم وبعد ماقطعتهم بايد انهم وافراسهم فنعم السيوف سيوفهم ونعم النفوس نفوسهم

* والكاتبين بسمر الخط ماتركت * اقلامهم حرف جسم غير منعجم *

لما بين كون الاصحاب ماهرين في استعمال السيوف اراد ان يبين كونهم حاذقين في استعمال السهام والسيوف فقال والكاتبين بسمر الخط الخ الواو عاطفة والكاتبين عطف على المصدري والكاتب بمعنى الساطر والناقش على شيء والباء في بسمر الخط متعلق بالكاتبين والسمر كالحمر جمع اسمر والمراد به

نصال الرماح والخط اسم بلدة فى البحرين نسب اليها الرماح اعنى خشبها يقال رماح خطية اى رماح حسناء ذات قيمة غالية فاضافة السمر الى الخط لادنى ملابسة و منافية وجملة تركت حال من الكاتبين واقلامهم بالرفع فاعل تركت اى غير تاركة اقلامهم والجملة استينافية والاقلام جمع قلم والمراد بها السهام والرماح مجازا واستعارة بالكناية كما لايخفى تعبيرها وحرف جسم منصوب مفعول تركت والحرف بمعنى الطرف او بمعنى الناقة المهزولة كما فى قوله

❊ وحرف كنون تحت راء ولم يكن ❊ بدال يؤم الرسم غيرة النقط ❊

واضافة الحرف الى الجسم بمعنى اللام على الاول او للبيان اومن قبيل اضافة المشبه به الى المشبه اى جسم كحرف على الثانى والمراد من الجسم جسم من قابلهم من العدى وغير منجم بالنصب حال من حرف جسم ومن جعله صفة له فقد بعد عن المعنى كما لايخفى ومنجم على صيغة اسم الفاعل من انجم بمعنى قبل النقطة ومعنى غير منجم غير منقوط وهو بمعنى مطعون مجازا واستعارة تبعية كما لايخفى تدبر و لايخفى ما فى هذا البيت من ايهام التناسب من ذكر الكتائب والخط والقلم والحرف ومنجم وحاصل معنى البيت ان الاصحاب كانوا يكتبون و ينقشون على صفحات اجسام العد و المرذولة التى هم كالحرف المهزولة بالرماح الخطية المأمونة من الانكسار وما تركت اقلامهم التى هى الرماح طرف جسم من الكفار الا بعد جعله منقوطا ومطعونا ومنقوشا بالآثار

❊ شَاكِي السِّلَاحِ لَهُم سِيمَا تُمَيِّزُهُم ❊ وَالوَردُ يَمتَازُ بِالسِّيمَا مِنَ السَّلَمِ ❊

لما بين الاوصاف اللطيفة للاصحاب التى هم بها يمتازون عن المشركين واهل الكتاب اراد ان يبين ايضا كونهم ممتازين بذواتهم و سيماهم ماعدا الثياب فقال شاكى السلاح الخ شاكى السلاح اما صفة للمصدرى او بدل اوحال منه وشاكى مقلوب شائك اى تام السلاح كما فى قوله

❊ لدى اسد شاكى السلاح مقذوف ❊ له لبد اظفاره لم تقلم ❊

وهو جمع شاكى اصله شاكين حذف نونه بالاضافة وتوهم احتمال كونه مفردا لايصدر عن غافل فضلا عن فاضل كما لايخفى ثم ان قوله شاكى السلاح اجمال بعد تفصيل ولهم ظرف مستقر خبر مقدم وسيما مبتدأ والجملة صفة بعد صفة للمصدرى اوحال منه وتقديم ماحقه التأخير يفيد الحصر والسيما بمعنى العلامة التى تكون فى وجه الانسان يستدل بها على بعض

احواله و جملة تميزهم صفة السيما وتميز بمعنى تفرق وضميره المستتر راجع الى السيما والسيما مؤنث بالالف المقصورة وضمير المفعول راجع الى الاصحاب اى للاصحاب سيما تفرقهم عن الكفار وقوله والورد جواب سؤال مقدر كأنه قيل يمتاز بالسيما شيئان كانا من جنس واحد لان الاصحاب والعدى كلهم من بنى آدم فاجاب عنه مع تشبيه لطيف بهذا المقال و الورد بفتح الواو ثمر شجر معلوم يقال له بالعربى ايضا حوجم والسلم بفتحتين شجر يشبه شجر الورد وشجر الورد يمتاز عنه بحسن الخلقة و بهاء المنظر فالورد مجاز بمعنى الشجر اوالورد على حقيقته والسلم مجاز بمعنى زهر السلم تدبر وحاصل معنى البيت ان اصحاب رسول الله كانوا تامى الاسلحة ممتازين من الكفار و اهل الشقاء بالاوصاف اللطيفة و حسن السيما لانهم اشداء على الكفار رحماء بينهم بالتواضع والانكسار كما انه يمتاز شجر الورد من شجر السلم وزهر الورد من نورة السلم وقد ورد فى حق الاصحاب سيماهم فى وجوههم من اثر السجود فهم ثمار اشجار حدائق الوجود وازاهير رياض عسكر الاسلام والجنود

❊ تُهدِي إِلَيكَ رِيَاحُ النَّصرِ نَشرَهُمُ ❊ فَتَحسَبُ الزَّهرَ فِي الأَكمَامِ كُلَّ كَمِي ❊

ثم شرع فى بيان كونهم منصورين فى جمع الجهاد وان لم يكن كذلك فى بعضه فى عيون العباد فقال تهدى اليك الخ تهدى من اهدى يهدى بمعنى توصل او بمعنى ارسال الهدية واليك متعلق بتهدى والخطاب لكل احد وجملة تهدى حال ورياح بالرفع فاعل تهدى وهى جمع ريح والمراد من رياح النصر التأييدات بالنصرة كما فى قوله عليه الصلاة والسلام (نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور) او المراد من الرياح الدولات كما فى قوله

❊ اذا هبت رياحك فاغتنمها ❊ فعقبى كل عاصفة سكون ❊

واضافته الى النصر بمعنى النصرة مجازا ذوورد (وما النصر الا من عند الله) ونشرهم بالنصب مفعول تهدى والضمير راجع الى الصحابة والنشر فى الحقيقة بمعنى الرائحة الطيبة والمراد به هنا اخبارهم الطيبة وانباؤهم العجيبة ففيه استعارة ومجاز كما لايخفى والفاء فى فتحسب للتفريع وتحسب بصيغة الخطاب بمعنى تظن والزهر بالنصب مفعول تحسب والالف واللام فيه للاستغراق بمعنى كل زهر والزهر نورة النبات وفى الاكمام ظرف مستقر حال من الزهر اوصفة له والاكمام جمع ايضا فيقتضى انقسام الآحاد الى الآحاد اى كل واحد من الازهار فى كل واحد من الاكمام ومن جعل الاكمام جمع كم بضم الكاف وجعل اللام فيه عوضا عن المضاف اليه اعنى رسول الله واعتبر القلب

فى البيت وقع فى التكلف كل كمى بالنصب مفعول ثان لتحسب والكمى بمعنى الشجاع وهو بتشديد الياء فعيل خفف للضرورة قال اكثر الشراح فى البيت قلب اعنى ان المفعول الثانى لتحسب وهو قوله كل كمى مقدم على المفعول الاول اعنى قوله الزهر فى المعنى فحينئذ يكون المعنى فتحسب كل شجاع فى درعه زهرا فى اكامه وحاصل معنى البيت ان الاصحاب الاكرام كانوا منتصرين فى جميع الجهاد وغالبين على الكفار حتى تهدى وتوصل اليك هدية كلما هبت رياح النصرة وتحركت اخبارنا يداتهم بالبركة والدولة اخبارهم واذا كان كذلك فتحسب كما رأيت الازهار فى اكامها كأنها اولئك الاصحاب الشجاع فى الدروع لان الازهار كما كانت ذات رائحة طيبة فكذلك اولئك الاصحاب اولوانشر وفوحة عجيبة

﴿ كَأَنَّهُمْ فِى ظُهُورِ الْخَيْلِ نَبْتُ رُبًى ❊ مِنْ شِدَّةِ الْحَزْمِ لَا مِنْ شِدَّةِ الْحُزُمِ ﴾

لما بين كونهم ماهرين فى استعمال السيوف والنصال اراد ان يبين كونهم حاذقين فى استعمال الخيول فى مضمار القتال فقال كأنهم الخ كأن للتشبيه والضمير للاصحاب وفى ظهور ظرف مستقر حال من الضمير والظهور جمع ظهر بمعنى المتن والخيل اسم جنس يقع على الذكور والاناث واضافة النبت الى الربى من قبيل شجر الاراك والربى بالقصر جمع ربوة بالحركات الثلاث فى الراء وتشبيه الاصحاب بنبت الربى وخيولهم بالربى انما هو فى الثبات والتقرر فى مدة كثيرة اذ نبت الربى اثبت على الارض من سائر النباتات لطول عروقه ووصوله الى الماء ومن شدة متعلق بكاف التشبيه والشدة بكسر الشين والحزم بفتح الحاء وسكون الزاى بمعنى قوة الثبات ومراعاة الاستعمال وقوله لا من شدة دفع توهم نشأ مما قبله من ان ثباتهم على الخيول يجوز ان يكون لشدة سروجها وقوة ربطها لا من ذواتهم فدفع بقوله من شدة الحزم لا من شدة الحزم والشدة الثانية بفتح الشين كما ان الحزم الثانى بضم الحاء والزاى جمع حزام وهو ما يشد به سرج الفرس على ظهره بالربط التام والاستحكام التام وحاصل معنى البيت ان الاصحاب كانوا ماهرين فى استعمال الخيول وكانوا ثابتين عليها بلا تحرك كأنهم عليها نبت ربى فى الثبات والتقرر وشدة الرسوخ وقوة المتانة لا مما يشد به سرجها ولا مما يستحكم به جلها

﴿ طَارَتْ قُلُوبُ الْعِدَى مِنْ بَأْسِهِمْ فَرَقًا ❊ فَمَا تُفَرِّقُ بَيْنَ الْبَهْمِ وَالْبُهَمِ ﴾

لما بين كون الاصحاب فى غاية الشجاعة ونهاية المتانة ومهارتهم فى استعمال

آلات الحروب اراد بيان ما يتفرع عليه من الخوف الحاصل منهم فى عقول العدى وقلوبهم فقال طارت الخ فجملة طارت ابتدائية وهى من الطيران بمعنى التحرك من مكانها وقلوب العدى بالرفع فاعل طارت وفيه مجاز واستعارة فاما فى طارت استعارة تبعية او فى القلوب استعارة مكنية كما لا يخفى وبالجملة المراد من طيران القلب اضطرابه وانزعاجه ومن بأسهم متعلق بطارت ومن منشئية والبأس بمعنى الشدة كما فى قوله تعالى (واطعموا البائس الفقير) وضمير الجمع راجع الى الاصحاب وفرقا بالنصب مفعول له حصولى لطارت كما فى قعدت عن الحرب جبنا او مفعول مطلق له او تمييز من نسبته او حال من فاعله تدبر والفاء فى فما تفريعية او سببية وما نافية وتفرق من التفريق وضميره المستتر راجع الى القلوب والبهم الاول بفتح الباء وسكون الهاء جمع بهمة وهى السخلة ولد الغنم والبهم الثانى بضم ففتح جمع بهمة بضم فسكون بمعنى الشجاع ولا يخفى ما فى هذا البيت من الجناس المحرف فى قوله بهم وبهم والجناس الشبيه بالمشتق فى قوله فرقا وتفرق وحاصل معنى البيت ان قلوب الاعداء اضطربت من اجل شدة اولئك الاصحاب فى الحرب وفزعت وزالت عقولهم الى ان صارت لا تميز بين الشجاع والسخلة

﴿ وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللّٰهِ نُصْرَتُهُ ❊ اِنْ تَلْقَهُ الْاُسْدُ فِى آجَامِهَا تَجِمِ ﴾

لما بين كون الاصحاب منصورين فى كل الغزوات غير فارين من الكفرة واهل النار شرع فى بيان السبب الموصل الى ذلك فقال ومن تكن الخ الواو ابتدائية ومن شرطية وتكن بالجزم اما تامة او ناقصة وبرسول الله خبر مقدم لتكن والباء فيه اما للاستعانة او للسببية وتقديمه لضرورة الشعر ونصرته بالرفع اسم تكن واضافته اما الى الفاعل او الى المفعول وان شرطية وتلقه مجزوم بان اصله تلقاه وضمير المفعول راجع الى من والاسد بضم الالف وسكون السين جمع اسد بمعنى الهزبر وهو بالرفع فاعل تلقه وتقديم مفعول تلقه على فاعله اشارة الى ان الرجل لا يلاقى باختياره الاسد وفى آجامها اما متعلق بتلقه او بتجم المؤخر والآجام بالمد جمع اجمة وهى ارض كثيرة القصب واضافة الآجام الى الضمير الراجع الى الاسد لادنى ملابسة ثم ان هذا القيد اعنى فى آجامها يفيد مزيد المبالغة والتأكيد فان الاسد فى اجمته اشد بأسا واصعب حالا منها فى امكنة آخر لتوفير الغيرة فى الدفع عن ساحته وتجم بفتح التاء وكسر الجيم من وجم يجم وجوما وهو اما بمعنى حزن او سكت والضمير المستتر فيه راجع الى الاسد وجملته جواب الشرط الثانى والشرطية جواب للشرط الاول

وحاصل معنى البيت ان الاصحاب الكرام ماكانوا منصورين فى الجهاد الابنصرته عليه الصلاة والسلام واعانته فانه من كانت نصرته واعانته واغاثته على محاربة الاعداء بواسطة رسول الله فهو منصور ومحفوظ من جميع المصائب والانهزام حتى ان تلقه جميع افراد الاسد المشهورة باهلاك من لاقته فى امكنتها المسمة بالغابة وهى فيها اجزأ منها فى غيرها تسكن على حالها خوفا واحتراما لرسول الله عليه السلام ثم اعلم ان البيت اشارة الى ماروى من تسخير الاسد لمولى رسول الله الذى اسمه سفينة حين ارسله عليه السلام الى معاذ باليمن فلقيه الاسد فى الطريق فقال سفينة انا مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعى كتابه ففهمهم الاسد وتنحى عن الطريق وفى رواية اخرى عن سفينة ان السفينة تكسرت فخرجت الى جزيرة فاذا الاسد فقلت له انا مولى رسول الله فجعل يغمز نى بمنكبه حتى اقامنى على الطريق ودلنى عليها

﴿ ولن ترى من ولي غير منتصر ❊ به ولا من عدو غير منقصم ﴾

ثم اكد البيت السابق لكونه نظريا بهذا البيت فلذا قال ولن ترى الخ الواو عاطفة ولن نافية وترى على صيغة الخطاب من الرؤية اما العينية او العلمية ومن ولى كلمة من زائدة وتنوين ولى للتكثير والولى بمعنى القريب وغير اما بالجر على انه صفة ولى او بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او بالنصب على انه حال وهذا كله ان كانت الرؤية الرؤية البصرية والافهو المفعول الثانى ومنتصر اسم مفعول من انتصر وبه متعلق به والضمير راجع اليه الصلاة والسلام والمراد بالانتصار به التقوى والتأييد به ومن قال ان المنتصر بكسر الصاد اسم فاعل فهو عن معنى البيت غافل ولا من عدو عطف على من ولى اى ولا ترى من عدوله عليه السلام وغير بالجر او بالرفع او بالنصب ومنقصم اسم فاعل من انقصم بمعنى انقطع وتفرق وروى فى بعض النسخ بالفاء وهو كسر بلا فصل كما كان الاول مع فصل وحاصل معنى البيت ان الاصحاب منتصرون به عليه السلام فى كل الاوقات اذ لن تعلم ولا تبصر وليا له عليه السلام غير منصور به ولا ترى عدوا غير مكسور به بل كل ولى به منتصر وكل عدوله منكسر اعلم ان جميع الاولياء منتصرون به عليه السلام ولذا قال الولى الشيخ احمد الملثم لم تكن الاقطاب اقطابا ولا الاوتاد اوتادا ولا العماد عمادا الا برسول الله وبتعظيمهم له واجلالهم شريعته وكل من كان عدو الشريعته كان عدواله عليه الصلاة والسلام وكذا كل من كان عدوا لصواحب الشرع من العلماء وكل من يتكلم بما يتأذى به عليه الصلاة والسلام فهو عدوه ولذا قال الحق فى روح البيان حكى عن بعض

الكبار انه قال كنت فى مجلس بعض الغافلين فتكلم الى ان قال لا مخلص لاحد عن الهوى ولو كان فلانا اراد به النبى عليه السلام حيث قال (حبب الى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عينى فى الصلاة) فقلت له اما تستحيى من الله فانه عليه السلام ماقال احببت بل قال حبب فكيف يلام العبد على ماكان من الله كرامة ثم حصل لى غم وهم من استماعى مثل هذا الكلام فرأيت النبى عليه السلام فى المنام فقال لى لا تغتم فقد كفينا امره ثم سمعت انه خرج الى ضيعة له فقتل فى الطريق نعوذ بالله من التطاول على الانبياء وورثتهم من العلماء والاولياء انتهى

﴿ احل امته فى حرز ملته ❊ كالليث حل مع الاشبال فى اجم ﴾

لما توهم ان يستفاد من الابيات السابقة ان الانتصار به عليه السلام خاص باصحابه دون سائر امته دفع ذلك الوهم بتعميمه فقال احل امته بمعنى انزل وامته بالنصب مفعول احل والامة نوعان امة الاجابة وهى كل من آمن به عليه السلام وامة الدعوة وهى كل من بلغت دعوة النبى عليه السلام والمراد بها ههنا الاول وفى حرز متعلق باحل والحرز بكسر الحاء بمعنى الحصن ففيه تشبيه الدين بالحصن الحصين فى حفظ من دخله من الاعداء وكالليث حال من فاعل حل والليث اسم للاسد وحل الثانى صفة الليث بناء على ان اللام فيه للعهد الذهنى او حال وهو ايضا بمعنى انزل والاشبال جمع شبل بكسر الشين وهو ولد الاسد وفى اجم متعلق بحل الثانى والاجم بفتحتين بمعنى مكان يسكن فيه الاسد شبه الناظم الفاهم نبينا عليه السلام بالاسد فى السلطنة وكمال الشجاعة والهيبة وشدة البطش وحماية الاولاد وشبه امته باولاده فى كونه عليه السلام سبب حياتهم كالاسد وشبه الملة بالاجم فى ان كلا منهما سبب للحفظ ومنع ضرر الغير وحاصل معنى البيت انزل رسول الله الامين امته فى دينه الحصين كما انزل الليث اولاده فى آجامه للتحصين فلا يستولى على امته شخص بظلم ولا ينزل عليهم بلية فان قلت كثيرا ماترى امته يغلب عليهم عدوهم وينزل عليهم بليات لا تعد ولا تحصى فكيف يصح هذا التبيين من الناظم الفاهم قلت مراد الناظم كونهم محفوظين من بليات الآخرة ومن مثل الخسف والمسخ وغيرهما من البليات التى نزلت على سائر الامم اونقول ان امته محفوظة من جميع ماذكر ومن المغلوبية ومن كان مغلوبا ونزل عليه بليات فليس من كامل امته اذ امته من اتبعه ولا يتبعه الا من اعرض عن الدنيا فانه عليه السلام مادعا الا الى الله واليوم الآخر وماصرف الا عن الدنيا والحظوظ

لعاجلة ومن اعرض عن الدنيا يكون سالما من البلايا ومن كونه مغلوبا للاعداء واما من عدل عن سبيله واعرض عن متابعته واقبل على الدنيا ولحق بالذى قال الله تعالى فى حقه (فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هى المأوى) فقد خرج عن سبيله واعرض عن كونه امته فله البلايا والمغلوبية للاعداء فتأمل يارجل من حين تصبح الى حين تمسى لاتسعى الا فى الحظوظ العاجلة ولاتتحرك الا لاجل الدنيا الفانية ثم تطمع ان تكون غدا من امته واتباعه ويحك وياويلتا ما ابعد ظننا وما اخش طمعنا ثم اعلم ان فى هذا البيت اشارة الى ماجاء فى الحديث القدسى (قال تعالى لااله الا الله حصنى ومن دخل حصنى امن من عذابى) والى قوله تعالى (النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم) وفى قراءة شاذة (وهو اب لهم

﴿ كَمْ جَدَّلَتْ كَلِمَاتُ اللهِ مِنْ جَدِلٍ * فِيهِ وَكَمْ خَصَمَ البُرْهَانُ مِنْ خَصِمِ ﴾

لما استفيد من البيت السابق كون الاسلام حصنا حصينا لايستولى عليه احد من عدوه بل هو يغلب على اعدائه اراد تفصيله فقال كم جدلت كلمات الله الخ كم خبرية للتكثير وجدلت من التجديل وهو بمعنى الوضع على الارض اى كثير من المرات وضعت على الارض وكلمات الله بالرفع فاعل جدلت والمراد من كلمات الله القرآن العظيم اذ الاسلام عبارة عنه ومن جدل مفعول لجدلت ومن زائدة والجدل بكسر الدال بمعنى كثير الخصومة وفيه متعلق بجدل والضمير اما راجع الى الملة بتأويلها بالاسلام والدين او برسول الله فيكون مجازا حذفيا اى فى دين رسول الله وكم خصم عطف على كم جدلت وخصم بالتشديد من المبالغة بمعنى كثيرما غلب فى الخصومة والبرهان بالرفع فاعل خصم والمراد بالبرهان اعم من المعجزات والكرامات الباهرات ومن فى من خصم زائدة كمن فى من جدل وقد جاز زيادتها فى الاثبات كما فى قوله قد كان من مطر والفعلان المذكوران ههنا وان كانا مثبتين صورة لكنهما متضمنان معنى النفى تدبر وخصم بكسر الصاد بمعنى كثير الخصومة وحاصل معنى البيت كم مرة رمت الى الارض فى المجادلة كلمات الله التى جاءت من عنده منكوسا على الرأس شخصا كثير الجدال وكم مرة غلب الدليل القاطع شخصا كثير الخصام

﴿ كَفَاكَ بِالعِلْمِ فِى الأُمِّىِّ مُعْجِزَةً * فِى الجَاهِلِيَّةِ وَالتَّأْدِيبِ فِى اليُتُمِ ﴾

لما استفيد من البيت السابق ان له عليه الصلاة والسلام معجزة بها كان الخصم

مغلوبا وكان مظنة ان يسأل عن تلك المعجزات اجاب عنه ببيان بعض ما اشتهر فقال كفاك بالعلم الخ كفاك بمعنى حسبك والخطاب لكل احد والباء فى بالعلم زائدة ككفى بالله واللام فى العلم للعهد الذهنى وفى الامى صفة العلم او حال منه والامى منسوب الى الام وهو الاصل وهو فى العرف عبارة عمن لم يعرف الكتابة ولم يقرأ من الخط ولم يتعلم من معلم ولم يجلس بين يدى الاستاذ بطريق العادة بل بقى على اصل الخلقة والفطرة وقيل معنى الامى منسوب الى ام العرب وهم قوم الغالب عليهم عدم معرفة الكتابة والحساب ومعجزة بالنصب تمييز كما فى طاب زيد نفسا ومعنى المعجزة قد سبق لكن المراد ههنا معنى خرق العادة مطلقا فتذكر ومن اراد به المعنى السابق فلم يتبصر فان كنت ذا بصيرة فتدبر وفى الجاهلية متعلق بالعلم اى فى وقت الجاهلية وهى عبارة عن زمان انحرف فيه الشرع السابق ولم يكن فيه الوحى اللاحق وتفرق الناس فى اديانهم ويسمى ذلك الزمان ايضا بالفترة والتأديب بالجر على انه معطوف على العلم او بالرفع معطوف على العلم اذ الباء فيه زائدة والتأديب بمعنى كونه عليه الصلاة والسلام مؤدبا بمعنى عدم كونه فاحشا ولامتفحشا ولا غليظ القلب لانه عليه الصلاة والسلام كان مجمع محاسن الاخلاق من صباوته الى نبوته عليه الصلاة والسلام وفى اليتم متعلق بالتأديب بلاتكلف واليتم بضمتين بمعنى موت الاب وبقاء الابن صبيا بلااب وحاصل معنى البيت ان معجزاته عليه الصلاة والسلام كثيرة وشهيرة فاذا نظرت اليه عليه السلام بعين البصيرة كفاك ايها الطالب لمعجزاته وآياته العلوم التى لاتعد ولاتحصى فيه عليه السلام بغير تعلم من العلماء ولاكتابة مع الادباء فى زمان كثر فيه الجهل على الانام وزاد فيه الضلال بلاانفصام وكذا كفاك كونه مؤدبا بمكارم الاخلاق والخصال ومتأدبا على وجه الكمال فى اوان يتمه وزمان حداثة سنه واول خليقته

﴿ خَدَمْتُهُ بِمَدِيحٍ اَسْتَقِيلُ بِهِ * ذُنُوبَ عُمْرٍ مَضَى فِى الشِّعْرِ وَالخِدَمِ ﴾

لما فرغ من بعض اوصافه وبيان بعض معجزاته ومعراجه وغزواته وبعض اوصاف اصحابه الكرام اراد ان يشرع فى الاسترحام من جنابه الكريم والاستشفاع من ذاته الرؤف الرحيم وبيان الغرض من نظمه هذه القصيدة اللطيفة المباركة الطيبة الشريفة فقال خدمته بمديح الخ خدمته على صيغة نفس المتكلم من الخدمة اى مدحته والضمير له عليه السلام والجملة استينافية والمديح مايمدح به اعنى مابين فيه الفضائل والمراد هذه القصيدة وجملة استقيل صفة مديح او حال منه من الاستقالة بمعنى

طلب العفوو به متعلق به والباء فيه للاستعانة والضمير راجع الى المديح وذنوب بالنصب على انه مفعول به لاستقيل والذنوب جمع ذنب شامل للصغائر والكبائر وعمر الانسان عبارة عن مدة حياته واضافة الذنوب بمعنى فى وجملة مضى صفة عمر ومضى بمعنى ذهب يعنى لا كل العمر بل العمر الذى ذهب الخ وفى الشعر متعلق بمضى والشعر قول موزون وزنا عن تعمد كما ان البيت ماتركب من المصراعين والقطعة شعر يكون مؤلفا من سبعة ابيات والقصيدة ماتركب من عشرة ابيات فما فوقها والمراد من الشعر ههنا معناه المصدرى اعنى اتيان الكلام الموزون عن تعمد وان كان المراد الاول يقدر فيه مضاف اى فى استعمال الشعر واتيانه والخدم بالجر عطف على الشعر وهو بكسر الخاء وفتح الدال جمع خدمة والمعنى فى انواع الخدمة اوفى خدم المخلوقين تدبر وحاصل معنى البيت ان حاصل المرام من مدحى سيد الانام بهذه القصيدة المشتملة على اوصافه عليه السلام طلبى العفو من الله الملك العلام بسبب هذه القصيدة عن ذنوب فى مدة حياة مضت فى الاشتغال بالشعر فى مدح الناس ومذمتهم وتلفت فى خدمات ارباب الدنيا لاغراض فاسدة فى صحبتهم اذ روى ان الناظم كان فى اول الامر من مقربى السلاطين وكان يخدمهم ويدفع احزانهم بانشاد الشعر فى مدائحهم وفى مذمة اعدائهم وكان قصده جلب الدنيا واخذ المنصب الاعلى وقد سبقت الاشارة الى بعض هذا فى مفتتح الكتاب ثم اعلم ان فى البيت رد العجز على الصدر من قبيل قوله

سريع الى ابن العم يلطم وجهه ❊ وليس الى داعى الندا بسريع

اذ قلدانى ماتخشى عواقبه ❊ كاننى بهما هدى من النعم

لما كان مظنة ان يسأل عن مضموم البيت السابق من طلب العفو عن الذنوب الحاصلة من الشعر والخدم بانه هل حصل لك من الشعر والخدم ذنوب حتى تطلب العفو عنها قال نعم اذ قلدانى الخ فاذ للتعليل اطلب العفو وقلدانى على صيغة التثنية وضمير التثنية راجع الى الشعر والخدم وقلد من التقليد وهو ربط العنق ثم ان اسناد قلدانى الى الشعر والخدم مجاز من قبيل الاسناد الى السبب وفى قلد استعارة تبعية بتشبيه لزوم الاثم بالقلادة فى مطلق اللزوم وعدم الافتراق كما لايخفى وماتخشى منصوب محلا على انه مفعول ثان لقلد وتخشى على صيغة المجهول من الخشية بمعنى الخوف وعواقبه بالرفع نائب فاعل لتخشى وهى جمع عاقبة وضمير عواقبه راجع الى ما

والمراد بما تخشى عواقبه الآثام والاوزار الحاصلة بهما وكأن للتشبيه وبهما ظرف مستقر حال من اسم كأن وضمير التثنية راجع الى الشعر والخدم فان قلت اللائق ان يفرد الضمير ويرجع الى ما لان ماكان كالقلادة دون الشعر والخدم قلت ان الشعر والخدم لما كانا سببين قويين فى كون ماتخشى عواقبه قلادة ذكر السبب واراد المسبب كما لا يخفى وهدى بالرفع خبر ان والهدى بفتح الهاء وسكون الدال مايهدى الى مكة للذبح فيها ومن شانه ان يقلد بتعليق شئ فى عنقه ليعلم انه هدى فلايتعرض له بشئ ومن النعم بيان للهدى والنعم بفتح النون والعين هو الابل والبقر والغنم ثم ان فى تشبيه نفسه بالهدى اشارة الى انه متوجه فى كل امر الى جناب الحق وان فعل ماتخشى عواقبه من الاقبال على غير الله تعالى على مقتضى قوله تعالى (فاينما تولوا فثم وجه الله) وحاصل معنى البيت ان طلبى العفو من الله تعالى عن ذنوبى لازم لانه بسبب الشعر والخدم المذمومين لزم على الاثام والاوزار مما تخشى عواقبه من انواع العقاب فى عاقبة الدار فكأننى عينت للهلاك بسببهما

كالهدى المقلد المعد للهلاك وان لم يتحول قلبى عن خالق الافلاك

اطعت غى الصبا فى الحالتين وما ❊ حصلت الا على الآثام والندم

لما استفيد من السابق ان اشتغاله بالشعر والخدم كان فى بعض عمره اراد بيانه مع بيان سبب اشتغاله وعدم تحصيله شيأ من المحاسن فقال اطعت غى الصبا الخ اطعت اى اتبعت وغى الصبا بالنصب مفعول اطعت والغى بتشديد الياء بمعنى الغواية والضلالة والصبا بكسر الصاد الصباوة والمراد من غى الصبا الاغترار بالاباطيل وبالالتذاذ بالتماثيل والركون والميل الى العاجل وترك النظر فى الامر الآجل وفى الحالتين متعلق باطعت اوظرف مستقر صفة لغى الصبا اى الحاصل فى الحالتين والمراد من الحالتين الشعر والخدم واستفيد من هذا المصراع ان المقدم والباعث الى الاشتغال بالشعر والخدم اوان الصباوة والشباب فتأمل والواو فى وما حصلت للحال وما نافية وحصلت بالتشديد من حصل على كذا اى بقى عليه فالمعنى مابقيت منهما على شئ والا للاستثناء والاثام جمع اثم وهو الذنب والندم بفتحتين الندامة والمراد به مايترتب عليه الندامة والا فالندم نفسها توبة وهى موجبة للنجاة قيل فى البيت لف ونشر مرتب اذ الاثام ناظر الى الشعر والندم ناظر الى الخدم وحاصل معنى البيت انى وافقت وماخالفت ضلالة الصباوة والشباب فى الاستعمال بالشعر والاشتغال بالخدمة وتضييع العمر بهما والحال انى ماحصلت ومابقيت الا على المعاصى والندامة والتحسر والتحزن

﴿ فيا خسارة نفسٍ في تجارتها ❊ لم تشترِ الدين بالدنيا ولم تسمِ ﴾

لما بين كون نفسه ثابتة على الآثام والاوزار غير محصلة لما ينفعها يوم القرار اراد اظهار التحسر والندامة عليها فقال بالفاء التفريعية فيا خسارة نفس الخ كلمة يا للنداء وخسارة بالنصب منادى مضاف الى النفس ونداء الخسارة مجازا لان الخسارة لا يتأتى منها الاقبال والمعنى على المبالغة في شدة التحسر كانه نادى الخسران وقال تعال يا خسران فهذا اوانك قال ابن الشيخ في سورة يس النداء في مثل هذا المقام يكون لمجرد التنبه انتهى والخسارة اصابة الضرر الغير المقصود من التجارة وتنوين نفس عوض عن المضاف اليه اى نفسي وفي تجارتها متعلق بالخسارة وفيه حذف مضاف اى وقت تجارتها وهو حياة الدنيا والتجارة طلب الربح بالبيع والشراء وههنا مجاز عن طلب مرضاة الله ومثوباته وانما خسرت نفسه في تجارتها لانها اخرجت استعداد الاعراض عن الدنيا والتوغل في عبادة المولى عن اليد والقدرة فكأنها لا تملك الرجوع اليه ولذا قال لم تشتر الدين الخ فجملة لم تشتر استينافية كأنه قيل لم خسرت نفسك في التجارة فاجاب عنه ببيانه فقال لم تشتر الخ والضمير في تشتر راجع الى النفس ومعناه لم تختر ولم تؤثر ولم تستبدل والدين بالنصب مفعول به لتشتري والمراد من الدين ههنا كماله الذى تدور عليه النجاة من كل البليات الدنيوية والاخروية وبالدنيا متعلق بلم تشتر واذا قيل دنياك كل ما يشغلك عن مولاك وهي هنا بمنزلة الثمن ولم تسم عطف على لم تشتر وهو من سام يسوم سوما والسوم هو الاتيان بمقدمات البيع والشراء وهذا للمبالغة ثم ان الاشتراء مجاز عن الاستبدال والسوم عن القصد ويجوز في البيت استعارة تمثيلية تأمل وحاصل معنى البيت يا خسارة نفسي تعالى فهذا وقتك حتى يتعجب منك قومي في تجارتها اذ لم تأخذ الدين بدل الدنيا ولم تبدل الفاني بالباقي ثم لم تقصد لتحصيل الدين بترك الدنيا بحسن النية وصدق القصد قال في روح البيان ان الله تعالى خلق الروح نورانيا علويا وخلق النفس ظلمانية ثم اشرك بينهما وجعل رأس مالهما الاستعداد الفطري القابل للكمال والترقي في القربة والمعرفة والخسارة والنقصان فمن آمن وجاهد بنفسه وماله في سبيل الله وطلب في كل حاله رضى الله فقد ربح روحه وخسرت نفسه ومن لم يؤمن بالله ورسوله وكفر بهما وآمن ولم يأت بعمل حسن اصلا فقد خسر روحه ونفسه جميعا فعلى العاقل ان يجتهد قبل مجيء الفوت وربح في تجارته ببذل النفس والمال في طلب رضاء الله فان سلامة

رأس المال الذى هو الاسلام مادام حاصلا يمكن ان يتدارك الربح في صفقة وان لم يحصل في صفقة اخرى فلا ينبغي ان تضيع العمر فيما لا يعني اذ الفرصة غنيمة ولذا قال الشاعر الفارسي

■ مكن عمر ضايع بافسوس وحيف ❊ كه فرصت عزيزست والوقت سيف ❊

﴿ ومن يبعِ آجلا منه بعاجله ❊ يبن له الغبن في بيعٍ وفي سلمِ ﴾

لما استفيد من البيت السابق انه اشترى الدنيا بالدين اذ مفهوم المخالفة معتبر في مذهب الناظم الفاهم الامين فكأنه قيل ما يحصل لمن اشترى الدنيا بالدين اجاب عنه بقوله ومن يبع آجلا الخ الواو ابتدائية ومن اسم شرط مبتدأ ويبع مضارع مجزوم من باع يبيع بيعا والبيع وكذا الابتياع من الاضداد يقع على فعل المشتري والبائع كالشراء وكذا الاشتراء والمراد به هنا ما وقع على فعل البائع واريد منه المعنى المجازي اعني الاستبدال والاخراج من اليد وآجلا بالنصب مفعول يبع والآجل ما يأتي بعد اجل ومدة والمراد به هنا العقبى وما يتعلق بالدين اذ ثمرته تظهر في الآخرة ومنه ظرف مستقر صفة لآجل وضميره راجع الى الدين اى من حظ الدين ومن ارجع ضميره منه الى من فقد وقع في تكلف تدبر وبعاجله متعلق بالبيع والعاجل ما يأتي بعجلة والمراد به الدنيا وهو في مقام الثمن المأخوذ في البيع اذا دخل عليه الباء وضمير عاجله راجع الى من وجملة يبن جزاء الشرط وهو مضارع مجزوم من بان يبين اى ظهر فمعنى يبن اى يظهر قريبا قال الشاعر

❊ سوف ترى اذا انجلى الغبار ❊ افرس تحتك ام حمار ❊

وضميره له راجع الى من والغبن بالرفع فاعل يبن والغبن بفتح الغين وسكون الباء بمعنى الضرر الكامل الزائد زيادة فاحشة وفي بيع متعلق بالغبن او صفة له وفي سلم عطف على في بيع واعادة الجار لضرورة الشعر ولفظ البيع عام لانواع البيع كبيع العين بالعين وهو المقايضة وبيع العين بالدين وهو المداينة وبيع الثمن بالثمن وهو الصرف وبيع الدين بالعين وهو السلم بفتحتين وما نحن فيه من قبيل السلم ولذا تعرض الى تصريحه بقوله وفي سلم وفي البيت استعارة مصرحة وبيانها لا يخفى على اهل البيان وايماء الى رد من يقول الدنيا نقد والآخرة نسيئة واعطاء النقد لها غير معقول فان السلم انما يكون باعطاء النقد للنسيئة وحذاق التجار تلقوه بالقبول السلم اعلم ان الله تعالى خلق الانسان مركبا من الدنيا والآخرة ولكل جزء منهما ميل وارادة الى يتغذى كل منهما منه ويتقوى ويتكمل به ففي جزئه الدنيوي وهو النفس الامارة طريق

الی درکات النیران وفی جزئه الاخروی وهوالروح طریق الی درجات الجنان
وخلق من هذین الجزئین القلب وله طریق الی کونه بین اصبع الرحمة واصبع القهر
فمن یرد الله به ان یکون مظهر قهره ازغ قلبه وحول وجهه الی الدنیا فیرید
العاجلة و یرمی بها نفسه الی ان یبلغ الی درکات جهنم ومن یرد الله به ان یکون مظهر
لطفه اقام قلبه وحول وجهه الی العالم العلوی فیرید الاخرة ویسعی لها سعیها

﴿ انْ آتِ ذَنبًا فَما عهدي بِمنتقِضٍ ❁ مِنَ النَّبِي وَلَاحبلي بِمنصرِمِ ﴾

لما ذکر کون نفسه منغمسة فی اودیة المعاصی والاوزار وخسارتها فی تجارتها
وعدم کسبها ربحا ینفع فی دار القرار وفهم منه انه لم یکن له فوز ونجاة من
العذاب الالیم فی یوم الحشر والمیقات فوقعت نفسه فی دهشة وحیرة وکاد
یقطع الرجاء من مغفرة تلك الذنوب شرع فی تسلیة النفس وتأنیسها ودفع
وحشتها وحیرتها ببیان مایکون سببا لمغفرتها فقال ان آت ذنبا الخ ان حرف
شرط وآت بمد الهمزة وکسر التاء نفس متکلم وحده اصله آتی بأتی فسقط
الیاء للجزم بمعنی ان آت ان فعلت وذنبا بالنصب مفعول آت والذنب عام یشمل
کل الذنوب واحدا بعد واحد والفاء فی فما الجزاء ای فلا احزن ولا اقطع
الرجاء وطلب العفو اوفلا تحزنی یانفسی و لاتتحیری و لاتقطعی الرجاء ففی
العبارة علی کلا التقدیرین ایجاز الحذف فیکون قوله ماعهدی علة للجزاء
المحذوف کما لایخفی ومانافیة والعهد بمعنی المیثاق والمراد به التزامه التوحید
والدین والعقائد والمنتقض من نقض العهد بمعنی عدم الوفاء به ومن النبی
متعلق بمنتقض ولاحبلی عطف علی ماعهدی وتکریر النفی للتأکید لانه
لم تکن حبلی الخ والمراد من الحبل الوسائل التی بینه وبین النبی علیه الصلاة
والسلام والاصوب ان یکون المراد من العهد والحبل ماسیأتی فی البیت الآتی
وهو الوعد الذی جاء فی التسمیة بمحمد ومنصرم علی صیغة اسم الفاعل
بمعنی المنقطع وحاصل معنی البیت ان فعلت ذنبا وکسبت سیئا فانی ارجو
ستره وغفرانه لان عهدی الذی هو الایمان لیس بمنتقض لان نقض التوبة
بارتکاب المعصیة لاینقض عهد الایمان ولان حبلی ای الوعد الآتی لیس
بمنقطع من جهته علیه الصلاة والسلام بل هو مأمول فی کل حال وزمان

﴿ فَاِنَّ لِي ذِمَّةً مِنْهُ بِتَسْمِيَتِي ❁ مُحَمَّدًا وَهوَاَوْفَى الْخلقِ بِالذِّمَمِ ﴾

لما بین فی البیت السابق ان له عهدا وذمة مع النبی علیه السلام وکان فی مفهوم

ذلك خفاء اراد دفعه وتفسیره فقال فان لی ذمة الخ الفاء للتفسیر والذمة
بمعنی الامان کما فی قوله علیه السلام (و یسعی بذمتهم ادناهم) وتطلق علی
العهد ایضا ومنه ظرف مستقر صفة لذمة والضمیر راجع الی النبی علیه السلام
وبتسمیتی متعلق بالذمة والباء فیه للسببیة والتسمیة ان کانت مصدر المعلوم
تکون اضافة المصدر الی المفعول الاول والفاعل متروك ای تسمیة الله ایای لان
الالقاب تنزل من السماء وتلقی علی المسمی او تسمیة مسمی ایای محمدا ویحتمل
ان یکون النبی خاطب الناظم فی رؤیاه بهذا الاسم اوفی الیقظة کما وقع لبعض
المشایخ الکبار فیکون التقدیر بتسمیته علیه السلام ایای ومحمدا بالنصب مفعول
ثان للتسمیة ثم اعلم ان اسم محمد اسم کریم شریف وهو اشرف اسمائه
علیه السلام واخصها واعرفها وبه ینادیه الله تعالی ویسمیه فی الدنیا
والآخرة وهو المخصص بکلمة التوحید وبه کنی آدم علیه السلام وبه کان
یکتب من محمد رسول الله وبه یصلی علیه المصلون وبه صعد ملك الموت
السماء لما قبض روحه قائلا وامحمداه وتفصیل الکلام فی کتب الانام ثم
ان قوله وهو الخ جملة استینافیة والضمیر له علیه السلام واوفی صیغة مبالغة
للتفضیل من وفی بالعهد یفی اذا راعی مقتضاه ومن وفی بمعنی اتم ای اتم الخلق
بمعنی الانام والمخلوقات والذمم بکسر الذال جمع ذمة وحاصل معنی البیت فان لی
عهدا ومیثاقا علیه السلام لان اسمی محمد وهو دال علی محبته له والاسم
لایتغیر بمخالفة المسمی وهو علیه السلام بمراعاة الذمم اوفی فیقوم بحقها بالشفاعة
لاهلها فی دار العقبی وفی البیت اشارة الی ماورد فی الحدیث انه علیه السلام قال
اتانی جبرائیل فقال یامحمد ان الله یقرأ علیك السلام ویقول لك وعزتی وجلالی
لااعذب من یسمی باسمك بالنار والی ماورد فی حدیث آخر استحیی ان اعذب
بالنار من اسمه اسم حبیبی وروی القاضی عیاض فی الشفاء ان الله تعالی وملائکته
یستغفرون لمن اسمه محمد واحمد ولهذا کان اکثر اسامی العلماء الکرام محمدا

﴿ اِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي آخِذًا بِيَدِي ❁ فَضْلًا وَاِلَّا فَقُلْ يَازَلَّةَ الْقَدَمِ ﴾

ثم اراد بیان کونه محتاجا غایة الاحتیاج لشفاعة صاحب الآیات والمعراج وکونه
مقطوع الرجاء من سائر العباد ان لم یکن رسول الله له شافعا فی المعاد فقال
ان لم یکن الخ ان لم یکن جملة شرطیة والضمیر له علیه السلام وفی جواب هذا
الشرط وجهان احدهما ان یکون قوله الآتی فقل والثانی ان یکون محذوفا
ای فقل یاشدة البال و یابؤس الحال والمعاد مصدر او مکان او زمان والمراد به

حالة الموت ومابعده والاخذ باليد عبارة عن النصر والامداد والمعاونة ودفع البلايا وفضلا بالنصب على انه تميز من نسبة آخذ الى فاعله وايراد الفضل اشارة الى انه لم يكن له حق عليه عليه السلام بل شفع يشفع تفضلا واحسانا وقوله والافيه خلاف بين القوم فقال بعضهم اصله ان لا ادغمت نون ان فى لام فجزاء هذا الشرط محذوف ان كان قوله فقل جوابا ان لم يكن اوفقل ان كان جواب ان لم يكن محذوفا وجملة هذا الشرط والجزاء تكون تأكيدا لجملة ان لم يكن فتدبر وقال بعضهم الا بالتنوين وكسرة الهمزة بمعنى العهد قال تعالى لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة وهو الاصوب وقوله فقل خطاب لمن جرده من نفسه ويازلة القدم اى احضرى فهذا اوانك وزلة القدم عبارة عن الوقوع فى المهالك ويمكن حملها على زلق القدم عن الصراط بالوقوع فى النار انى محتاج الى شفاعة جنابه الكريم فى النجاة من المهالك والعذاب الاليم حتى لولم يكن معينالى فضلا اى احسانا زائد على الوعد وعهدا وهو الوفاء بالذمة والعهد فقل انت نفسك بالخطاب والعتاب يازلة القدم ويا سيء الحال وشتيت البال وشديد المآل

﴿ حاشاه ان يحرم الراجي مكارمه ۞ او يرجع الجار منه غير محترم ﴾

لما كاد ان يتوهم من البيت السابق كون رجاء الراجى وسؤال المناجى غير مقبول عند بابه عليه السلام اراد دفعه فقال حاشاه اى انزهه وابرئه وضمير المفعول له عليه السلام ويحرم من حرم يحرم كضرب يضرب اومن احرمه بمعنى منعه يتعدى الى مفعولين وهو على صيغة المعلوم او المجهول وسكون ياء الراجى لضرورة الشعر والراجى بمعنى السائل ومكارمه بالنصب مفعول الراجى والمراد بمكارمه هنا الالطاف والخيرات من جهته عليه السلام ويرجع بالنصب معطوف على يحرم ورجع يجيء لازما ومتعديا وههنا لازم اى يعود اومتعديا فالجار امامنصوب اومرفوع والجار بمعنى القريب وقديطلق الجار على المستجير الداخل فى الجوار وضميرمنه راجع اليه عليه السلام وغير محترم حال من فاعل يرجع وحاصل معنى البيت انه عليه السلام منزل عن ان يحرم راجيه وسائله من الاكرام او يرد المستجير منه بغير احترام فانه معدن الكرامات ۞ ومنبع الاحترامات ۞ بل جميع اهل الدنيا مستغيث بذاته عليه السلام

﴿ ومنذ الزمت افكارى مدائحه ۞ وجدته لخلاصى خير ملتزم ﴾

لمانزه رسول الله عن رد رجاء الراجى وسؤال المناجى اراد بيان حكم منه ما وقع له فى الدنيا من قبول رجائه عند بابه فقال ومنذ الزمت الخ العامل فى منذ قوله وجدت او كلمة منذ مبتدأ وهو بمعنى اول المدة التى الزمت افكارى الخ والزمت من الزمت الشيء اى جعلته كفيلا للشيء فتكفل به والافكار جمع فكر وهو استعمال القوة العاقلة لاستحضار ماليس بحاضر والمراد به هنا عدم الافتراق من رضاه وذكره ومحبته فى آن مدائحه بالنصب مفعول الزمت وهو جمع مديح والمراد مكارمه الحسنة واخلاقه المستحسنة والخلاص متعلق بقوله ملتزم المؤخر والخلاص بمعنى الفوز والنجاة من المصائب والبليات والمراد من بليات الدنيا كالسقم فى الجسم وغيره وخير ملتزم بالنصب مفعول ثان لوجدت وملتزم على صيغة اسم الفاعل بمعنى خير كل ملتزم لوعده واحدا واحدا وحاصل معنى البيت انى من اول المدة التى اوجبت على افكارى مدائحه باخلاص النية وصفاء الطوية وجدته وعلمته قد تكفل لى وقام بتخليتى من كل شدة وبلية وهذا ناشىء عن مكارمه الحسنة واخلاقه المستحسنة

﴿ ولن يفوت الغنى منه يدا تربت ۞ ان الحيا ينبت الازهار فى الاكم ﴾

ولما توهم من البيت السابق كونه اهلا للعطا ومستحقا للفضل والندى شرع فى هضم نفسه وبيان كثرة شفقته وعطيته حتى اصاب من لم يكن له استحقاق فقال ولن يفوت الغنى الخ ويفوت من الفوت والغنى بالكسر مع القصر بمعنى اليسار والمراد منه شفاعته عليه السلام ومنه ظرف مستقر صفة للغنى اوحال منه والضمير له عليه السلام ويدا اى عن يد وتربت بمعنى افتقرت واريد باليد ايدى المحتاجين والنكرة فى سياق النفى تفيد العموم وقيل يجوز ان يراد من الغنى المال ويؤيده نسخة الندى وقوله ان الحيا استيناف وتنظير الحكم المتقدم والحيا بالقصر المطر واما بالمد فمعناه الاستحياء قال مصنفك حدثنى بعض من تشرفت بملاقاته وتفاخرت باستماع مقالاته من اكابر السادات بمكة ان بعض صلحاء مكة رأى رسول الله عليه السلام فى المنام وسأل منه عليه السلام فقال ءانت قلت يارسول الله الحيا من الايمان بالقصر فقال رسول الله لا فاستيقظ وتعجب من ذلك وحكى هذه الواقعة عند علما مكة فتعجبوا من ذلك لانهم تيقنوا بالرواية الصحيحة وعلموا ان الرواة ثقاة امناء اذ هو مذكور فى البخارى وغيره فامروه بتكرار التوجه الى الحضرة العلية له عليه السلام فى الليلة الثانية ففعل فرأى تلك الحضرة على الطريق المذكور ثم حكى ذلك عندهم فامروه ثانيا بتكرير التوجه الى ان بلغ ثلاث ليال وكان الامر كما ذكر فاجتمعوا

وكتبوا هذه الواقعة فى صحيفة فارسلوا بها الى سلطان مصر وعلمائها وكان ذلك فى زمن شمس الدين ابن حجر من المحدثين فلما سمع ابن حجر ذلك تعجب وقال للسلطان مروه ليجيء الينا فنراه ونسمع من لسانه فارسل السلطان اليه مبلغا من النقود لترتيب اسباب السفر وطلبه فاى عن تلك النقود وذهب اليه بماله فلما وصل استقبله العلماء والكبراء فلما رأوه سألوه عن ذلك فحكى عندهم كما مر فتعجبوا من ذلك فرفعوا القضية الى الامام برهان الدين المحدث بالشام فقال اريد ان ارى هذا الرجل واسمع ذلك من لسانه فذهبوا به اليه فحكى عنده كما مر فتنبه برهان الدين لما سبق من الفرق بين الممدود والمقصور فقال لقد صدق رسول الله فان الحيا بالقصر المطر والحديث ممدود لكن وجه هذه الليلة واسأل الحضرة ففعل فرأى رسول الله فاستكشف منه فقال الامر كذلك بارك الله فيك وفى معلمك برهان الدين انتهى ثم ان اسناد ينبت الى الحيا مجاز من قبيل الاسناد الى سببه والازهار بالنصب مفعول ينبت وهو جمع زهر والاكم بفتحتين جمع اكمة بمعنى رأس الجبل الذى لا يستقر فيه الماء والمقصود تشبيه جوده بالجود فى عموم النفع وقطع النظر عن ان يستأهل العطاء محله وفيه اشارة الى انه رحمة للعالمين وسبب للغنى الظاهرى والباطنى للعلماء العاملين

﴿ ولم ارد زهرة الدنيا التى اقتطفت ❊ يدا زهير بما اثنى على هرم ﴾

لما كان البيت السابق موهما انه اراد النفع الدنيوى دون الحظ الاخروى ادفع الوهم والخيال فقال ولم ارد زهرة الدنيا الخ اى ما رجوت وما طلبت وزهرة بالنصب مفعول لم ارد وزهرة الدنيا عبارة عن زينتها ومتاعها وبهجتها ونضارتها وفى التعبير بالزهرة اشارة الى سرعة زوالها كالزهر والى كونها غرارة تفتن الناس بحسنها وطمعها وفى بعض النسخ هذه الدنيا وهذه للتحقير كما فى قوله تعالى (اهذا الذى يذكر آلهتكم) والتى صفة للزهرة لا للدنيا وقطفت من قطف الثمرة واقتطفها اجتناها كلاهما رواية فى البيت ويدا زهير فاعل قطفت اصله يدان وزهير اسم شاعر من فحول الشعراء وهو زهير ابن ابى سلمى كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا يقدم عليه احدا ويقول اشعر الناس زهير وولده كعب صحابى صاحب قصيدة بانت سعاد وفى الوشاح لابن دريد ان كنية زهير ابو بجير وذكر غيره انه مات قبل المبعث واخرج ثعلب عن ابن عباس بسنده قال قال لى عمر انشدنى اشعر شعرائكم قلت من هو يا امير المؤمنين قال زهير وعن ابن الاعرابى قال كان لزهير فى الشعر ما لم يكن لغيره كان ابوه شاعر وهو شاعرا وخاله شاعر واخته سلمى شاعرة وابناه كعب

وبجير شاعران واخته الخنسا شاعرة وكان معاويه يقول كان اشعر اهل الجاهلية زهير بن ابى سلمى وكان اشعر اهل الاسلام ابنه كعب والباء فى بما اثنى للسببيه او للبدايه وما اما موصولة اى الذى اثنى به او مصدرية اى باثنائه وهرم بفتح الهاء وكسر الراء هو هرم بن سنان من اجود ملوك العرب ولزهير فيه مدائح كثيرة ومن جملتها قصيدة انشأها فى مدحه اولها

❊ غشيت ديارا بالبقيع فثهمد ❊ دوارس قد اقوين من ام معبد ❊
❊ الى هرم تهجيرها ووسيجها ❊ تروح من الليل التمام وتغتدى ❊
❊ تقى نقى لم يكثر غنيمة ❊ بنهكة ذى قربى ولا بحقلد ❊

ووصل من الملك المذكور لزهير عطيات وخلع كثيرة خارجة عن التعداد وحاصل معنى البيت ظاهر

﴿ يا اكرم الخلق ما لى من الوذ به ❊ سواك عند حلول الحادث العمم ﴾

فلما ذكر نعوت ذاته وكمالات صفاته انتقل من حال الغيبة الى مقام الحضور وناداه فى الرجاء بالخطاب لان السؤال بالخطاب ادعى الى الاجابة من الغيبة فقال يا اكرم الخلق الخ وتفصيل الكلام فى اكرميته عليه السلام قد سبق فتذكر والالف واللام فى الخلق للجنس او للاستغراق والخلق بمعنى المخلوق وفى بعض النسخ يا اكرم الرسل ويلزم منه كونه عليه السلام افضل الخلق بطريق الدلالة وما نافية بمعنى ليس والوذ بمعنى التجئ واعوذ وبه متعلق بالوذ والضمير له عليه السلام اى للشفاعة الى الله وسواك منصوب على الظرفية وعند متعلق بالوذ والعمم بفتحتين وبكسر الميم الاولى وكلاهما مروى وهو من عم بمعنى شمل واحاط والمراد من الحادث الشامل لجمع الخلق اما الموت وهى القيامة الصغرى واما الساعة وهى القيامة الكبرى والمراد من حلوله ونزوله مجيء وقته

﴿ ولن يضيق رسول الله جاهك بى ❊ اذا الكريم تجلى باسم منتقم ﴾

ثم كرر الرجاء بطريق النداء الى رسول الله الكريم حرصا فى السؤال وطلبا للنوال فقال ولن يضيق الخ الواو حالية ورسول الله منصوب على انه منادى محذوف حرف ندائه والجاه بمعنى الوجاهة وهى رفعة المنزلة وسعة المرتبة وبى اى بشفاعتى واعتنائك بى واذ بمعنى اذا للطرفية وتجلى اما بالحاء المهملة بمعنى اتصف او بالمعجمة بمعنى انكشف باسم منتقم اى بصفة منتقم ثم علم انه ذكر الله اولا باسمه الكريم وخصه بالذكر مع انه من صفات الجمال ثم ذكر اسمه المنتقم فى مقام الانتقام مع انه من صفات الجلال ليحصل الاعتدال ولا ينقطع

قلوب الرجال وهذا مزج لطيف ومعجون شريف فان قلت انه يستفاد من قوله ذا الكريم الخ انه تعالى يتصف بصفة الانتقام فيما سيأتى لا فى الازل مع انه تعالى متصف بها ازلا وابدا قلت مراده منه اذا الكريم قد ظهر كال اثر
اتصافه بالاسم المنتقم كما لا يخفى

فَاِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتَهَا ❊ وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمَ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ

لما كان فى مضمون البيت الاول خفاء اراد تفسيره و بيانه وتعليله فقال فان من جودك الخ الجود افاضة ما ينبغي لا للعوض ولا لغرض والدنيا بالنصب تقديرا اسم ان وضرة الدنيا هى الآخرة وانما سماها ضرة لان الجمع بينهما متعذر الا ان يوفق الله تعالى كتعسر الجمع بين المرأتين كما قال عليه السلام من احب آخرته اضر بدنياه ومن احب دنياه اضر بآخرته الحديث ومن لطائف ما قيل
❊ عتبت على الدنيا لتأخير عالم ❊ وتقديم ذى جهل فقالت خذ العذرا ❊
❊ بنو الجهل اولادى لذاك رفعتهم ❊ واهل النهى اولاد ضرتى الاخرى ❊
قيل كون الكونين من جوده لانه واسطة فى فيضان الوجود على الماهيات وسيلان الجود على الموجودات فكأن الكونين من جوده او يكون مجازا اى حصول خيرهما من جودك و بركة شفاعتك وفى هذا المصراع تلميح الى حديث لولاك الحديث وفى قوله ومن علومك عطف على من جودك والعلوم جمع علم وهو اما بمعناه او بمعنى المعلوم اى من معلوماتك علم اللوح والقلم اى المعلومات الحاصلة منهما وعلم اللوح بالنصب معطوف على الدنيا اللوح هو الكتاب المبين ولا يقدر العقل ما فيه من العظمة واللطافة وما فيه من الحروف والكتابة قيل اللوح اربعة لوح القضاء السابق عن المحو والاثبات وهو لوح العقل الاول ولوح القدر اى لوح النفس الناطقة الكلية التى يفصل فيه كليات اللوح الاول و يتعلق باسبابها وهو المسمى باللوح المحفوظ ولوح النفس الجزئية السماوية التى ينقش فيه كل ما فى هذا العالم بشكله ومقداره وهو المسمى بسماء الدنيا ولوح الهيولى القابلة للصور فى عالم الشهادة والقلم وهو الذى خلق مقدما على جميع الاشياء وقد جعل الله له ثلاثمائة وستين سنا كل سن يعرب عن ثلاثمائة وستين صنفا من العلوم الاجمالية فيفصلها فى اللوح قال محى الدين بن عربى اعلم ان الله تعالى لما تجلى للقلم اشتق منه موجودا آخر سماه اللوح وامر القلم ان يتدلى اليه و يودع فيه جميع ما يكون الى يوم القيامة انتهى قال الشعرانى فى كتاب اليواقيت والجواهر فان قلت فهل اطلع احد من الاولياء على عدد الحوادث التى كتبها القلم على اللوح الى يوم القيامة

فالجواب قال الشيخ فى الباب الثامن والستين بعد المائة من الفتوحات المكية نعم انا ممن اطلعه الله على ذلك وقال الشيخ اطلعنى الله على عدد امهات علوم ام الكتاب وهو مائة الف نوع وتسعة وعشرون الف نوع وستمائة نوع كل نوع منها يحتوى على علوم انتهى ثم اعلم انه قيل ان العلم مصدر مضاف الى فاعله اى علم اللوح والقلم بالاشياء فاحتاج الى القول بان لهما ادراكا وشعورا وقيل انه مضاف الى المفعول اى علم الناس باللوح والقلم وقيل ان الله اطلعه عليه السلام على ما كتب القلم فى اللوح المحفوظ وزاده ايضا لان اللوح والقلم متناهيان فما فيهما متناه و يجوز احاطة المتناهى بالمتناهى وقال شيخ زاده هذا على قدر فهمك واما من اكتحلت عين بصيرته بالنور الالهى فيشاهد بالذوق ان علوم اللوح والقلم جزء من علومه كما هى جزء من علم الله تعالى وحاصل المعنى انه عليه السلام هو الواسطة فى افاضة المنح الظاهريات والباطنيات من المبدأ الاول فى الكائنات العلويات والسفليات واذا كان كذلك فلن يضيق جاهه بعنايته وكفالته ولا يعزب عن علمه
حال ضراعته فلا يقصر جوده عن شفاعته

يَا نَفْسُ لَا تَقْنَطِي مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَتْ ❊ اِنَّ الْكَبَائِرَ فِى الْغُفْرَانِ كَاللَّمَمِ

لما فرغ من الرجاء للشفاعة منه عليه السلام شرع فى تأنيس النفس مخاطبا لها بيا استبعادا عن مظان الزلق ناهيا اياها عن القنوط فقال يا نفس الخ روى نفس بضم السين على انه منادى مفرد معرفة و بكسرها على انه منادى مضاف الى ياء المتكلم وتخصيص النفس بالخطاب اشعار بان القنوط انما ينشأ من النفس ولا تقنطى من القنوط وهو اعظم اليأس وفى المفردات القنوط اليأس من الخير و بالفارسية نوميد شدن ازخير واعلم ان القنوط من رحمة الله علامة زوال الفطرة الاسلامية بانقطاع الوصلة بين الحق والعبد اذ لو بقى شئ من نوره الاصلى لاراه اثر رحمته الواسعة السابقة على غضبه فرجا وصول ذلك الاثر اليه لاتصاله بعالم النور بتلك البقية والزلة الذنب اعم من ان يكون كبيرة او صغيرة لا الزلة التى جاءت فى حق الانبياء او عظمت بمعنى كبرت وجلت وان الكبائر علة للنهى والكبائر جمع كبيرة وهى ما يوعد الشارع عليه بخصوصه والذنب ما يذم الآتى به شرعا وقد اختلفت الروايات فى المعصية الكبيرة روى عن ابن عمر انها تسع الشرك بالله وقتل النفس بغير حق وقذف المحصنة والزنا والفرار من الزحف والسحر واكل مال اليتيم وعقوق الوالدين المسلمين والالحاد فى الحرم وقيل كل معصية اصر عليها العبد فهى كبيرة وكل ما استغفر عنها فهى

صغيرة وتفصيل الكلام فى رسالة مستقلة لابن نجيم فى عد الذنوب وفى الغفران متعلق بالكاف فى قوله كاللمم واللمم بمعنى صغار الذنوب وحاصل المعنى يا ايتها النفس لاتيئسى من رحمة الله ومغفرته يأسا ناشئا من المعاصى التى كبرت وعظمت باصرارك لان الكبائر من المعاصى كصغار الذنوب فى جنب غفران غفار الذنوب وقد وعد الله تعالى على طريق التأكيد والتوكيد فى قوله ان الله يغفر الذنوب جميعا الآية بغفران الذنوب وان كثرت وكانت بعدد امال لرو الاوراق والنجوم سواء كانت صغائر او كبائر ونحوها قيل لما نزل قوله تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم انشد عليه السلام بهذا

﴿ ان تغفر اللهم فاغفر جما ✲ فاى عبد لك ما الما ﴾

﴿ لعل رحمة ربى حين يقسمها ✲ تأتى على حسب العصيان فى القسم ﴾

لما علل نهى النفس عن القنوط بقوله ان الكبائر الخ اورد عليه علة اخرى لكونه مما يعتنى بشأنه فقال لعل رحمة ربى الخ لعل للترجى واتما جاء به لان الاصلح لا يجب على الله تعالى وهو فاعل مختار ولا يتجاوز فعله عن الفضل والعدل والحكمة ورحمة منصوب على انه اسم لعل وحين ظرف لتأتى المؤخر يقسمها اى يفرقها على حسب صلة لتأتى والحسب بمعنى القدر والعصيان شامل للذنوب كلها صغيرها وكبيرها وفى ظرف لحسب والقسم بكسر القاف وفتح السين جمع قسمة بمعنى نصيب وحاصل المعنى يانفسى الامارة لاتقنطى من رحمة الله ومغفرته لان الكبائر كالصغائر بالنسبة الى مغفرته تعالى لانى ارجو واطمع ان تأتى رحمة ربى وغفرانه حين يقسمها ربى على مقدار العصيان وفى البيت اشارة الى ماروى عن ابى هريرة انه قال سمعت رسول الله يقول جعل الله الرحمة مائة جزء فامسك عنده تسعة وتسعين وانزل فى الارض جزأ واحدا فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية ان تصيبه فهذا يدل على كمال الحث والرجاء والبشارة للمسلمين لانه حصل من رحمة واحدة ماحصل من النعم الظاهرة والباطنة فما ظنك بمائة رحمة فى الدار الاخرة والى ماورد فى الخبر ايضا يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه واخبأوا كبارها فيقال له فعلت كذا يوم كذا وهو مقر لاينكر وهو مشفق من الكبار فيقال اعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة فيقول ان لى ذنوبا ماعلمتموها ههنا قال الراوى فلقد رأيت رسول الله يضحك حتى بدت نواجذه وهذا يدل على سعة الرجاء

﴿ يارب واجعل رجائى غير منعكس ✲ لديك واجعل حسابى غير منخرم ﴾

لماذكر الله تعالى فى البيت السابق بطريق الغيبة انتقل منه الى الخطاب اذ الرجاء بالخطاب ادعى الى الاجابة فقال يارب الخ كلمة يا موضوعة لنداء البعيد وقد ينادى القريب بماينادى البعيد لحرص المنادى على اقبال المدعو عليه لما يدعوله اولجعله نفسه فى عداد من لايستأهل القرب لحقارة المنادى ورب محذوف الياء اكتفاء بالكسرة والرب بمعنى المالك والصاحب والمبلغ الى الكمال شيئا فشيئا واجعل وقع فى بعض النسخ فاجعل بالفاء والرجاء بمعنى الامل فالرجاء اما بمعنى اسم المفعول او اسم مصدر ومرجوه النجاة والسعادة وغير منعكس بالنصب مفعول اجعل وهو بمعنى غير مردود اذ انعكاس الرجاء بالخيبة وانعكاس المرجو بالهلاك والشقاء ولدى بمعنى عند والحساب يطلق على ثلاثة معان العد والترقب والظن وكله جائز هنا فالمعنى على الاول واجعل عندى نعمك المتوالية وعلى الثانى واجعل ترقبى وانتظارى مزيد انعامك وعلى الثالث حسن ظنى بك وقد قلت انا عند ظن عبدى بى وغير منخرم بمعنى غير منقطع من خرمه قطعه

﴿ والطف بعبدك فى الدارين ان له ✲ صبرا متى تدعه الاهوال ينهزم ﴾

ثم اتم دعاءه من الله العلام برجاء لطفه العام الشامل فقال والطف الخ اللطف هو الاحسان الخفى او الذى ليس له سبب جلى قيل من لطفه تعالى بالعبد ابهام عاقبته عليه لانه لو علم سعادته لقل عمله واستند اليه ولو علم شقاوته لايئس وترك التذلل لديه قيل من لطفه اخفاء اجله عليه ثم انه وضع المظهر موضع المضمر فى قوله بعبدك مكان بى للاستعطاف كما فى قوله ✲ الهى عبدك العاصى اتاكا ✲ وان له استيناف وتعليل لطلب اللطف وفى الدارين متعلق باللطف والمراد بهما الدنيا والاخرة وصبرا بالنصب على انه اسم ان وله خبره وكلمة متى من الظروف الزمانية المتضمنة للشرط الجازمة للفعل وتدعه فيه روايات ثلاث بالدال بمعنى تطلبه وبالراء بمعنى تخوفه وفى اخرى تلقه من الملاقاة والاهوال جمع هول وهو الشدة والفزع ينهزم مجزوم على الجزائية والجملة الشرطية مع الجزاء صفة صبرا وحاصل المعنى يالطيف الطف واحسن بعبدك الضعيف المعترف بالمعاصى وسلمه فى الدنيا والاخرة من الشدائد والافزاع لان لعبدك صبرا كائنا متى طلبته الاهوال او لاقته يفر صبره منه لكمال ضعفه

﴿ وأذن لسحب صلاة منك دائمة ✲ على النبى بمنهل ومنسجم ﴾

لما علم انه لاملجأ اقوى ولا منجى اوثق من ملازمته عليه السلام ومتابعته فى كل الاوقات والايام قال وأذن الخ الواو عاطفة وهذه الجملة معطوفة على

اجعل او الطف وأذن بمعنى اعط الاجازة والسحب جمع سحاب والمراد من الصلاة مزيد الشرف والكرامة ومنك صفة صلاة ودائمة صفة بعد صفة له وعلى النبي متعلق بصلاة او دائمة او بمقدر والمراد من النبي محمد عليه السلام وبمنهل متعلق بأذن اى بافاضة مطر منصب سائلا بلا انقطاع من انهلت السماء اى صبت وانهل المطر سال ومنسجم من سجم الدمع وانسجم بمعنى سال ولله در الناظم الماهر حيث اتى بالصلاة على سيدنا الكرام بابلغ الوجوه واحسن الاكرام حيث جمع فى بيت ذكر الصلاة ودوامها ونزولها ومبدأ النزول ومنتهاه وكثرتها فى ضمن الانصباب وعمومها فى طى السيلان ومحلها وتشبيهها بالامطار واثبات السحاب قيل فى لفظ ائذن ايذان بان سحب الصلاة حاضرة موقوفة على اذنه تعالى والاذن متحقق فانه تعالى والملائكة يصلون عليه

﴿ والآلِ وَالصَّحْبِ ثُمَّ التَّابِعِينَ لَهُمْ ❊ اهلِ التُّقَى وَالنُّقَى وَالحِلْمِ وَالكَرَمِ ﴾

لما كان تقرب العبد الى الله تعالى كما يتوقف على التوسل بحضرة النبي عليه السلام كذلك يتوقف على التوسل بحضرات آله واصحابه الكرام عقب الصلاة عليه عليه السلام بالصلاة عليهم تحصيلا للقربة وارشادا للامة وتكميلا للملة فقال والآل الخ اصله اهل وآله عليه السلام كل من تبع دينه وقيل كل تقى نقى وفيه تفصيل لكن المراد به ههنا اهل بيته والصحب تخفيف صاحب او جمع له عند من يذهب الى جعل ركب جمع راكب وايراد كلمة ثم تنبيه على تأخر تبعهم عن رتبة الآل والاصحاب او ايراده لمجرد الوزن كما فى قوله ❊ وعجمة ثم جمع ثم تركيب ❊ ولهم متعلق بالتابعين والضمير للاصحاب والآل واهل التقى بالجر صفة لكل واحد منهم او بالرفع خبر مبتدأ محذوف اى هم والتقى بالضم التقوى واصله الوقى كالتراث والتقوى هو الاجتناب عن المحرمات ومافيه الشبهات والنقى اى الخيار والطهارة من خبث المعاصى وفى بعض النسخ النهى مكانه وهو جمع نهية وهى العقل والحلم والكرم قد سبق بيانه فى اوصافه عليه السلام تذكر وحاصل المعنى يا مفيض الخير والجود انزل وافض رحمة دائمة على نبيك المصطفى ورسولك المرتضى واهل بيته واصحابه واتباعه الذين كلهم جامعون الصفات الجميلة والخصال الحميدة كالتقوى والنقاوة والحلم والكرم وهم كاملون من جميع الجهات بشرف تصادفهم لمصاحبة اشرف المخلوقات ولذا استحقوا لذلك السلام والصلاة

﴿ مَا رَنَّحَتْ عَذَبَاتِ البَانِ رِيحُ صَبًا ❊ وَاطْرَبَ العِيسَ حَادِي العِيسِ بِالنَّغَمِ ﴾

ثم عقب الصلاة بما يبين دوامها وقيامها الى يوم القيامة فلذا قال ما رنحت الخ ما مصدرية بمعنى المدة وتلك مدة بقاء الدنيا ورنحت بمعنى حركت وامالت وعذبات مفعول رنحت وهو جمع عذبة بمعنى الغصن والبان نوع من الاشجار كما سبق فى مفتتح القصيدة وريح بالرفع فاعل رنحت وهو مؤنث سماعى واضافته الى الصبا من قبيل اضافة العام الى الخاص كشجر الاراك والصبا ريح تهب من مطلع الشمس اذا استوى الليل والنهار قال فى حاشية الكميت اعلم ان الرياح اربع الصبا وتسمى القبول وهى تنفس عن المكروب وفى ابن خلكان ان ريح الصبا استأذنت ربها فى ان تأتى يعقوب بريح يوسف عليه الصلاة والسلام قبل ان يأتيه البشير بالقميص فاذن لها فأتته بذلك فلذا يستريح كل محزون بريح الصبا وهى من ناحية المشرق واذا هبت على الابدان نعمتها ولينتها وهيجت الاشواق الى الاوطان والاحباب والجنوب وهى تجمع السحاب ومنها خلقت الخليل كما ذكره الحاكم ابو عبد الله فى تاريخ نيسابور باسناد عن على ابن ابى طالب عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لما اراد الله تعالى ان يخلق الخيل اوحى الى ريح الجنوب انى خالق منك خلقا فاجتمعى فاجتمعت فاتى جبريل فاخذ منها قبضة ثم قال الله تعالى هذه قبضتى ثم خلق فرسا كميتا وقال خلقتك فرسا وجعلتك عربيا وفضلتك على سائر ما خلقت من البهائم الحديث والشمال والدبور وهى التى تهدم البنيان وتقلع الشجر وهى الريح العقيم والعاصف والصرصر المذكورة فى القرآن وكل ما فى القرآن من لفظ الريح فالمراد به الدبور ثم ان اطرب بمعنى اوقع فى الطرب وهو بالتحريك الخفة الحاصلة للانسان من شدة السرور والعيس بالنصب مفعول اطرب والعيس جمع اعيس كالبيض جمع ابيض وهو الابل البيض او التى يخالط بياضها شئ من الصفرة وحادى العيس بالرفع فاعل اطرب والحادى بمعنى السائق للابل وراعيها وتكرير العيس لقصد الاستلذاذ والنغم بفتحتين جمع نغمة وهى حسن الصوت ثم ان فى الختم بالنغم ايذانا بانه يلزم فى قراءة هذه القصيدة من نغمة لكونها شعرا ومن المعلوم ان الشعر يقرأ بالنغم ويحسن به وحاصل معنى البيت يا مفيض الخير الجود ائذن وأمر للسحب بذلك ما دام تحريك اغصان شجرة البان ريح الصبا وما دام اعطاء طرب وسرور سائق الابل الكرائم البيض اياها بالاصوات الحسنة ❊ قد وقع الفراغ من تصنيفه وتأليفه بعون الله الملك العلام ❊ وبشفاعة سيد الانام فى شهر رمضان سنة اثنين واربعين بعد المائتين والالف من هجرة نبى آخر الزمان ❊ وارجو من كل الاخوان توجيه ما وقع فيه من الزلل والفساد

ناشئا من الجهل والغفلات * اذ هو اول ما افرغته فى قالب التصنيف * بعون
الله تعالى الملك اللطيف * مع تشتت الحال * واشتغال البال
* بالاستفادة من الاساتيذ الكرام * والعلماء
الفخام * والحمد لله رب العالمين وصلى الله
تعالى على سيدنا محمد وآله وصحبه
اجمعين وسلم تسليما
كثيرا

قد قرضه افاضل عصرنا واماثل جهابذة مصرنا * حيث قال الاستاذ العلامة * والجهبذ الفهامه * ذو التأليف المفيدة * والتصانيف المجيدة * مولانا الشيخ ابراهيم الباجورى * المحرز لقصبات السباق اذا جورى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى شرح قلوب اهل العلم لافادة الاحكام * وجعلهم نجوم الهدى وشموس الاقتداء بين الانام * واثبت لهم التمييز ورفع المقام * والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى تشرفت بمدحه البردة والقصائد * وعلى آله واصحابه وعترته السادة الاماجد * وبعد فقد نزهت طرفى فى هذا الشرح الذى شرح القلوب بيانه * وسطع فى سماء التحقيق برهانه * فرأيت اسرار البلاغة فيه فاشية * وابكار الفصاحة فى خدور السطور ناشية * والبردة به اكتسب رقة الحاشية * فياله من شرح لطيف قد طرز البردة * واضحى بين الشروح عمدة * واحتوى على كثير من الآداب * واتى بالعجب العجاب * بحسن سبكه تقر العيون * وفى ذلك فليتنافس المتنافسون فلله در مؤلفه لقد حقق لنا قول القائل الماهر * كم ترك الاول للآخر * كيف وهو زبدة افاضل السادة العلماء * وثمرة شجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها فى السماء * انسان عين اعيان الروم * رب المنطوق والمفهوم * حضرة سيد عمر افندى الحنفى مفتى مدينة خربوت المحميه * لازال مبلغ الامنيه * ولابرح رافلا فى اثواب المحاسن واردا من المعارف شرابا غير آسن * وجزاه الله خيرا عن هذا المرام * واحسن لى وله الختام

وقال الامام الاكمل * والهمام الامثل * مولانا الشيخ ابراهيم السقا *
الذى هو اجل من عنه يتلقى

بسم الله الرحمن الرحيم

لك الحمد اوجدت العلماء فى الاعصار والامصار وجددت بهم الدين * ولك الشكر اودعت فى قلوبهم من الاسرار والانوار ما اوزعت به نفوسهم تمام التبيين مننت عليهم بمنة توريث الانبياء فى العلم والعمل * واحسنت اليهم بنعمة مدح مصطفاك ومختارك فى الابد والازل * ومنك سلسل الصلاة * ومسلسل التسليمات * على عين العناية والنعمة * ونفس الحماية والرحمة * وعلى آله الاشراف * واصحابه اهل الانصاف * امابعد * فقد حظيت برؤية هذا الشرح البديع الفائق * المورد الصفى الهنئ الرائق * الذى خدم به اوحد العلماء الاعلام * ومفرد العظماء الفخام * الانسان الكامل * الجهبذ الفاضل ذو النسب الرفيع السامى * صاحب الادب البديع النامى * قاموس البلاغة والفصاحة ونبراس الافهام * السيد عمر افندى مفتى مدينة خربوت ومفيد الحكام صحيح الاحكام * بردة المديح للحضرة النبوية * الممدوحة بالمدائح العلية من رب البرية * فوجدته بحرا احتوى على الدرر * وروضا استوى منه الثمر * وحوى من فنون الافنان الغرر * انبجت قياساته الصحيحة وابتهجت اشكاله * فزال عن مشروحه بما تضمنه غموضه واشكاله * يحق ان يقال فيه هو البحر لكنه زاخر هو الروض لكنه زاهر * فنزه الطرف بافنان فنونه مالها آخر * فجزى الله مؤلفه خير جزاء واثابه * و بلغه بجاه الممدوح بالمشروح آرابه * واحسن لى وله ولاخواننا العواقب * واقنا معه وادمنا
على احسن الطرق واقوم المذاهب آمين

* وقال العمدة الفاضل * الجامع بين الفضائل والفواضل * مولانا الشيخ
محمد الابراشى الجدير بتحقيق الشروح والحواشى *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد منك اليك يامن جعلت العلماء مصابيح تهتدى بهم فى حلك الظلام * وخصصتهم بخصيصة الخشية حتى انتشر فضلهم وظهر للخاص والعام * والصلاة والسلام على سيدنا محمد محمد الاوائل والاواخر * وعلى آله واصحابه اولى المآثر والمفاخر * امابعد فلما نظرت الى محاسن روض ما تضمنته هذه الطروس من ازاهر المعانى * وما اودعه كنز هذه الصحائف من الدر المباهى به المعانى * قلت ان هذه روضة تمايلت اغصانها * وتدلت افنانها * وعبقت ازهارها *

وطابت ثمارها وتدفقت انهارها ❊ ام حلة بهر الناظر رونقها ❊ وادهش الالباب تأنقها ❊ ام بردة اجيد طرازها ❊ ام آيات اخرس البلغاء اعجازها ❊ ام عقود تلألأت فرائدها ❊ وانتظمت قلائدها ❊ بل هي درر تنافست التيجان في نفائسها فما طالت ❊ وتطاولت الاكاليل ان تحسن بها فما نالت ❊ لم لا وهي جمع من فضله بين البرية معلوم ❊ ومن حسدت العرب العرباء عليه الروم ❊ خرجت كلماته من قلب سليم ❊ واخلاص في حب صاحب الشفاعة من صميم ❊ فما كل من جمع الف ولا كل من اكثر النقل والعزو صنف ❊ انما تلك مواهب وهب بها المولى لمن شاء وجعله اولى ❊ وكل يدعي وصلا بليلى ❊ فدونك شرحا صار لبردة المديح كالطراز المعلم ❊ وابان ببلاغته وحسن انسجامه انه خير شرح عليها تكلم وترجم ❊ فمن تأمله كذب قول القائل ما ترك الاوائل كلمة لقائل ❊ هذا واني وان مددت ذراعي ❊ واجلت في ميدان مدحه يراعي ❊ وقطعت في ذلك ليلي ونهاري ❊ وشمرت عن الساق ازاري ❊ فما انا في كان محاسنه الاذو قصور ❊ اذلا تساوي الحجر الارضية القصور ❊ كيف لا ومؤلفه حائز الشرف في العلم والنسب ❊ مفخر العجم والعرب ❊ الهمام العلامة الا انه شيخ الاسلام ❊ والعمدة الفهامة الا انه ملاك العلماء الاعلام ❊ الحسيب النسيب ❊ الآخذ من كل فن اوفر نصيب ❊ المتوكل على المعيد المبدي ❊ سيدي السيد عمر افندي مفتي مدينة خربوت المحمية ❊ صانه الله تعالى وحفظه من كل رزية وبليه ❊ ابقاه الله راقيا ذرى المعالي رافلا في الحلل الحبور على ممر الليالي ❊ ما ترنم بمدح سيد الكائنات مادح ❊ وتليت قصيدة البردة بين الممادح وعبق مسك الختام

بار بحه القائح

طبع في المطبعة العامرة سنه ١٢٩٢ في ١٥ شعبان المعظم

Süleymaniye U. Kütüp.
Kısmı: Hacı Mahmud ef.